صورة المجتمع الأندلسي
في القرن الخامس للهجرة
(سياسيا واجتماعيا وثقافيا)

الدكتور
عمر إبراهيم توفيق

الطبعة الأولى
1432 هـ - 2011 م

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2009/12/5294)

956.061
توفيق، عمر ابراهيم
صورة المجتمع الاندلسي في القرن الخامس للهجرة/ عمر ابراهيم توفيق
عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩.

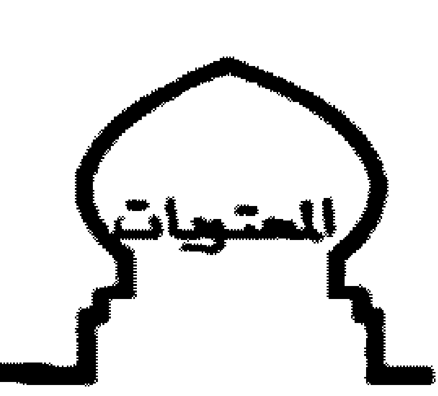
( ) ص
ر.إ: (2009/12/5294).
الواصفات:/ التاريخ الاسلامي//العصر الاندلسي

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 978-9957-480-46-2



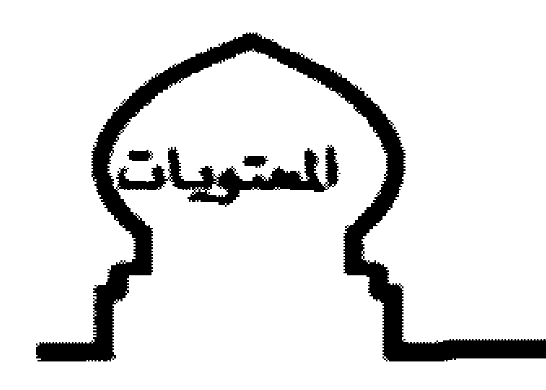
تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الاول
تلفاكس: 962 6 5353402
خلوي: 962 7 95667143+
ص.ب: 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com



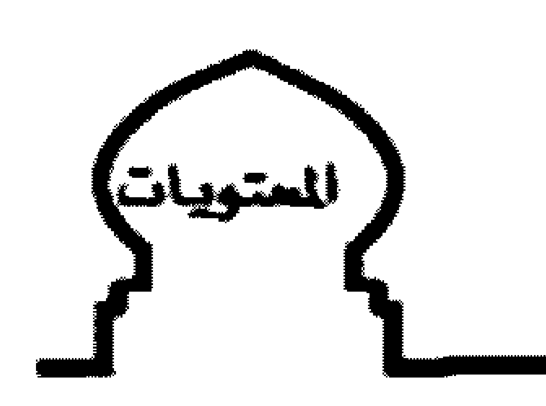
المحتويات

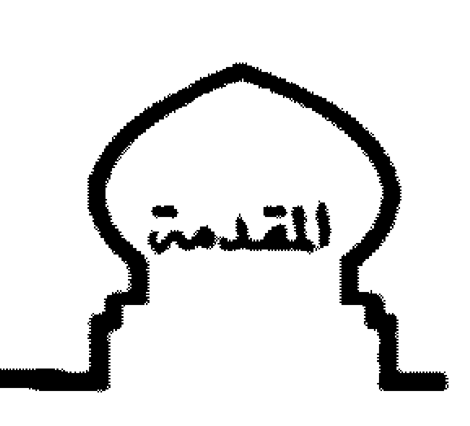
الفصل الاول
المظاهر السياسية

الفصل الثاني
المظاهر الاجتماعية والدينية


المحتويات

الفصل الثالث
المظاهر الثقافية و الفنية


المحتويات



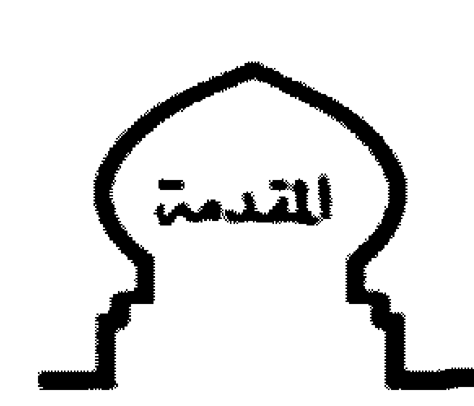
المقدمة

الحمد لله رب العلمين و الصلاة و السلام على رسوله الأمين المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم واله وصحبه أجمعين

أما بعد:

فإن الأدب الأندلسي ولاسيما الشعر منه مرآه لواقع الحياة الأندلسية، ولمشاعر الناس، ودراسة مجتمع ما من خلال ما أنتجته قرائح شعراته تكشف عن قضايا غامضة أو خافية من تاريخ أمة معينة، وقد تبتعد جوانب منها عن عيون المؤرخين الذين تغلب على دراساتهم الموضوعية والنظرة الخارجية في بيان الهياكل العامة للاحداث المقرونة بالزمان و المكان من غير التوغل في خلجات الفرد المكون للمجتمع و المسيّرة لاحداث عصره افرادا وقادة،لذلك آثرنا دراسة أهم حقبة من الأندلس، التي كانت مفتاح تاريخها ومحدد مسيرتها، قرن اتسم بالاضطراب السياسي و التطاحن على السلطة وتعدد المظاهر الاجتماعية و التقدم في المسيرة العلمية الأدبية من خلال شعراء أنتخبهم أديب أندلسي معاصر للحقبة المدروسة،هو ابن بسام الشنتريني(542هـ) الذي أرخ للقرن الخامس للهجرة في موسوعته الأدبية المعروفة(الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) الذي جمع فيها أخبارا،وسيرا، وحقائق تاريخية متفرقة،وتراجم لشعراء عاصرهم،أو سمع منه او قرأ عنهم،من خلال السرد،أو عن طريق إيراد نصوص شعرية ونثرية في تشابك متين بين التاريخ والأدب.

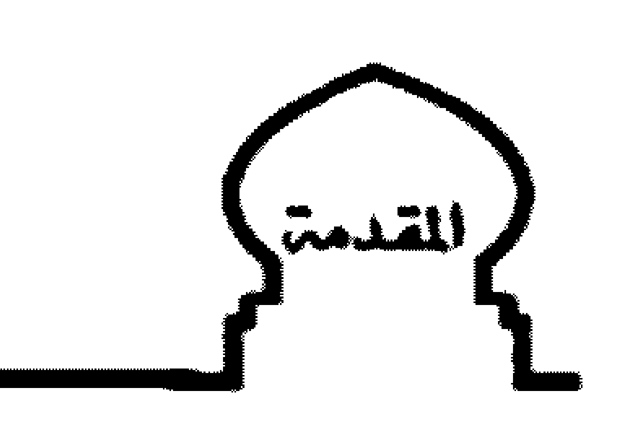
وكان كتابه العدسة التي نظرنا من خلال شعرائه إلى المظاهر السياسية و الاجتماعية و الثقافية لذلك العصر بالاعتماد على ما توافر من المصادر في العلوم المختلفة التي لها علاقة



بصورة موضوع دراستنا، ودواوين الشعراء الذين وردت أسماؤهم في الكتاب مع التحقق من تواريخ نظم الأشعار فيما يخص الذين وافاهم الأجل بعد انتهاء القرن الخامس للهجرة لغرض اعطاء صورة صادقة و متكاملة وواضحة الأبعاد والمعالم.

أما الشعراء فقد بلغ عددهم مئة واثنين وثلاثين شاعرا توزعوا بين مكثرين مثل: ابن دراج القسطلي(421 هـ) وابن شهيد(426هـ) وابن زيدون(463هـ)وابن عمار(477هـ)وابن اللبانة(507هـ) وابن حمد يس(527هـ) وابن خفاجة(533هـ)...وسواهم ، وبين مقلين لم نجد لهم إلا نتفا قليلة من الشعر، وقد توزعت اتجاهاتهم بين التيار المحافظ المتمسك بالموروث العربي القديم وسننه وبين التيار الجديد المتأقلم مع البيئة الأندلسية الطبيعية والاجتماعية و السياسية و الثقافية التي كانت سائدة في القرن الخامس للهجرة، وكان الشعراء جميعا يعكسون الواقع الأندلسي بكل تفاصيله من حيث المحاسن والمساوئ، وقد شغل كل واحد منهم حيزا مهما من صورة المجتمع في تلك الحقبة بعلاقاته و دوره في مسيرة الحياة السياسية أو انتمائه للطبقة العامة وشرائحها المختلفة، والذي يلفت النظر أن ابن بسام قد تغافل عن عدد من الشعراء كان لهم دور بارز في مسيرة الحياة في تلك الحقبة كأبي إسحاق الألبيري(ت460 هـ)الذي أشعل شرارة الثورة في غرناطة ضد اليهود في حكم باديس بن حبوس بقصائده المؤثرة، وقد حاولت أن أسد هذه الفجوة بالتركيز على شعراء آخرين مماثلين من الحقبة نفسها.

ولغرض إعطاء صورة كاملة عن القرن الخامس للهجرة لم يستغن البحث عن المصادر التاريخية التي أشرنا إليها في الهوامش التي كانت بمثابة حلقات وصل بين الصور المختلفة التي عكسها الشعراء، بحيث أصبح الأدب و التاريخ فصين يعكسان لحمة هذه الدراسة ولا



سيما أن ابن بسام في كتابه النفيس قد اعتمد كثيرا على كتاب ((المتين)) للمؤرخ ابن حيان (ت469هـ) وانّ جلّ المؤرخين كانوا يحملون سمتي الذاتية و الموضوعية في آن واحد، وقد جمع بعضهم بين الشعر و كتابه التراجم و التاريخ.

وكان منهجي في الفصل الأول يعتمد على السرد الزمني من خلال التاريخ و الشعر لبيان الصورة السياسية لعصري الفتنة(399_422هـ) ودويلات الطوائف (422_483هـ) وحقبة قصيرة من عهد المرابطين.

وفي الفصل الثاني، واعتمادا على منهج التفسير و التحليل وتتبع الأخبار حاولنا إعطاء صورة دقيقة عن المظاهر الاجتماعية و الدينية بتسليط الضوء على شرائح المجتمع كافة، وبيان نمط حياتهم و سلوكهم الاجتماعي و الديني من خلال الشعر.

ولغرض اعطاء صورة دقيقة عن الواقع الثقافي و الفني بسطنا القول في الفصل الثالث عن الحياة الثقافية بأبعادها المختلفة، ومن ثم عن الأنشطة الشعرية التي برزت في القرن الخامس للهجرة مع دراسة فنية للهيكل العام للقصيدة و المقطعات.

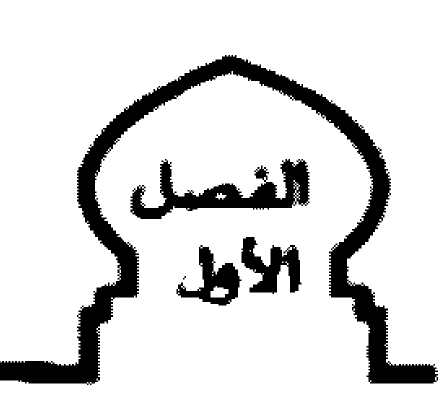
وتجدر الاشارة إلى اني لم أضع تمهيدا يسبق فصول الدراسة يتناول الحالة السياسية و الاجتماعية و الثقافية في الأندلس في القرن الخامس للهجرة لورودها مفصلة في متن البحث، ولم أعرض أيضا دراسة عن كتاب ((الذخيرة)) لدراسته من قبل الدكتور حسين يوسف حسين في كتابه"ابن بسام وكتاب الذخيرة" وارجو ان ينال الكتاب رضى القارئ الكريم وان يكون جامعا لتلك الحقبة المضطربة الشائكة من تاريخ الاندلس.

والله هو المعين

المؤلف

الفصل الأول

المظاهر السياسية



الفصل الأول

المظاهر السياسية

عصر الفتنة

توفي الحكم المستنصر سنة 366هـ بعد فترة من الازدهار العلمي و الادبي ووصى بالحكم لابنه هشام الملقب بالمؤيد، الذي لم يبلغ الحلم، وبأيحاء من امه صبح عُين المنصور بن ابي عامر حاجبا للصبي، فأستأثر بالحكم بعد ان ضرب خصومه واحدا بعد الاخر، ولم يبق للخليفة الا الدعاء على المنابر و ذكر اسمه على السكة والطرز وتلقب بالمنصور وامر ان يحيا بتحية الملوك وان يذكر اسمه عقب الدعاء للخليفة، وبنى مدينة الزاهرة قرب قرطبة و نقل اليها خزائن الاموال و الاسلحة، وامر ان تنفذ اليه الكتب و المخاطبات[1].

ونظم الجيش على اسس جديدة متماسكة خاضعة لقيادة عليا[2] واستخدم البربر المستقدمين من شمال أفريقيا محاربين محترفين في غزواته التي بلغت اثنتين وخمسين غزوة انتصر في جميعها، وتوسعت رقعة الدولة الاسلامية في عهده إلى اقصى حدودها، واستنجدت به امارتا قشتالة القديمة و ليون بعد خلاف بينهما فقضى عليهما[3] وتكدست اموال ضخمة و ارتفعت المستوى المعاشي و كثرت السبايا و الجواري وبلغت الدولة قمة مجدها العسكري و الثقافي و العمراني[4] وكان له باع طويل في الشعر و تذوقه،منه قوله[5]:

رميتُ بنفسي هولَ كل عظيمة   وخاطرت و الحر الكريم مخاطِرُ

---

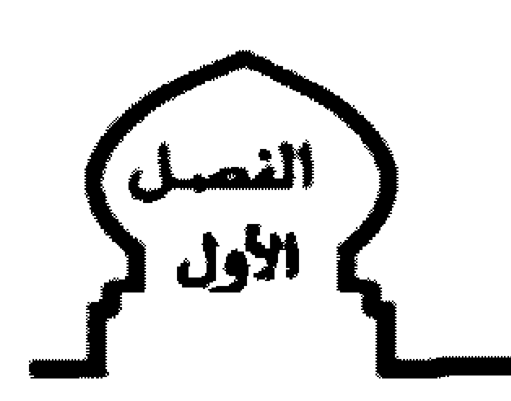
(1) النفح 1: 397-398.

(2) البيان المغرب 2: 301 تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس: 201.

(3) تاريخ ابن خلدون 4: 147-148، البيئة الأندلسية: 30 وغزواته النفح 56 غزوة.

(4) اشبيلية في القرن الخامس: 21.

(5) الحلة السيراء1: 274/ النفح1: 400.



وما صاحبي إلا جنان مشيّع ... وأسمر خطيّ وأبيضُ باترُ

فسدتُ بنفسي أهلَ كل سيادة ... وفاخرتُ حتى لم أجد من أفاخرْ

وحكم سبعا وعشرين سنة و توفي سنةهـ392 بعد غزوة، وكان يحمل كفنه بيده في غزواته ووصى ان يكتب على قبره [1].

آثاره تنبيك عن أخباره ... حتى كأنك بالعيان تراه

تالله لا يأتي الزمان بمثله ... أبدا ولا يحمي الثغور سواه

وخلفه في الحكم ابنه عبد الملك المظفر الذي لم يختلف عن ابيه في السياسة و البأس و القوة و العلم ، وصف المقري عهده بقوله: ((وكانت ايامه أعيادا دامت مدة سبع سنين وكانت تسمى بالسابع تشبيها بسابع العروس))[2] وتوفي سنة 399 هـ في ظروف غامضة، تولى الامر بعده اخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول نسبة إلى جده من امه [3] وتلقب بالناصر لدين الله، و سجل ابن دراج القسطلي ذلك في مرثيته في المظفر معزيا اخاه ومهنئا اياه بتنصيبه بقصيدة مطلعها [4]: -

ما اطبق الهم إلا ريثما انفرجا ... ولا دجا الخطبُ إلا وشك ما انبلجا

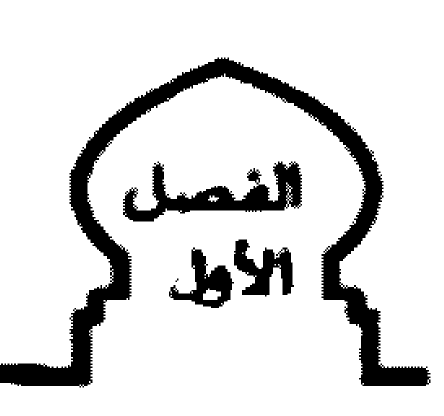
---

(1) الحلة السيراء 1: 273، النفح 1: 398.

(2) النفح 1: 423.

(3) بنت شانجة غرسيه ملك البشكنس اهداها الى المنصور فاعتقها وتزوجها لأنجبت له عبد الرحمن.

(4) ديوان ابن دراج: 386.



ولم يكن ذا خبرة بالسياسة و علمها ودرايتها افتتح امره ((بالخلاعة و المجانة مجاهرا بالفتك وشرب الخمر)) [1] واستمر في نهج ابيه و اخيه في الحجر على الخليفة و التودد اليه، وحمله على توليه ولاية العهد معلنا عنها في جمع من رجال الدولة وزعماء الطوائف وكان لذلك القرار اثره السيء على حكمه ((فكان فيه حتفه وانقراض دولته ودولة قومه وكان اسرع الناس كراهة لذلك الامويون و القرشيون)) [2] وتقليدا لابيه واخيه خرج في غزوة إلى قشتالة في ظروف سياسية ومناخية غير ملائمة فاجتمع الساخطون على حكمه واجمعوا أمرهم في غيبة المذكور، و وثبوا على صاحب الشرطة فقتلوه وخلعوا هشاما المؤيد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة للهجرة [3] وكانت بداية للفتنة التي استمرت ثلاثا وعشرين سنة، ونقطة انهيار من القمة إلى الهاوية في سرعة مذهلة ثم انحلال طويل استمر قرونا عدة، وعندما صلت الاخبار إلى عبد الرحمن الحاجب بن المنصور بمكانه في الثغر ، ارتد بقواته فتفرق عنه جنده ، وجوه البربر و تسللوا إلى قرطبة معلنين ولاءهم للخليفة الجديد محمد بن هشام عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمهدي ، فاعترضه جماعة منهم و قطعوا راسه [4] و انتهت الدولة العامرية و قال في ذلك أبو طالب عبد الجبار في أرجوزته الطويلة [5] :-

لما انقضت دولة آل عامر	قام بها المهدي من آل الناصر
فوقعت بينهم حروب	لاح له من بينها الهروب
فاظلمت في عصره الآفاق	وعمها الشقاق و النفاق

---

(1) البيان المغرب: 3: 47، تاريخ ابن خلدون4: 148.

(2) النفح 1: 426.

(3) نفسه.

(4) البيان المغرب 3: 49، تاريخ ابن خلدون 4: 149.

(5) الذخيرة 1/ 2: 941.

وقال ابن فرج الالبيري ــ السميسر ــ في بني عامر [1]:

اصــاب الزمـــان بنـــي عامـــر و كـــان الزمـــان بهـــم يفخـــر

فعـــاد نهـــارهم مظلمـــا و لـــيلهم بعـــد لا يقمـــر

وفي هذه الفتنة انكشفت الاحقاد الدفينة وقلبت المقاييس وخربت الدور و عمت الفوضى و فقدت الخلافة هيبتها و انهارت اركان الدولة، ووصف المقّري ذلك الحدث نقلا عن ابن الرقيق قائلا ((ومن اعجب ما روى انه من نصف نهار يوم الثلاثاء لاربع بقيت من جمادى الآخرة إلى نصف نهار يوم الأربعاء ، فتحت قرطبة، وهدمت الزهراء، وخلع الخليفة وهو المؤيد، وولي الخليفة وهو المهدي، و زالت دولة بني عامر العظيمة و قتل وزيرهم محمد بن عسقلاجة، و اقيمت جيوش من العامة، ونكب خلق من الوزراء اخرون وكان كله على يد عشرة رجال فحّامين و جزّارين و زبّالين، وهم جند المهدي هذا، و قد قيل فيه: ــ

قـــد قـــام مهـــدينا و لكـــنّ بملـــة الفـــسق و المجـــونِ

وشـــارك النـــاس في حريـــم لـــولاه مـــا زال بالمـــصونِ

مـــن كـــان مـــن قبـــل ذا أجمـــا فـــاليوم قـــد صـــار ذا قـــرونِ

....ولقد كان قيامه مشئوماً على الدين والدنيا فأنه فتح أبواب الفتنة بالاندلس..)) [2].

وضرب الزاهرة و اخذ اموالها ثم حرقها وهدمها وكان في ذلك يفرغ حقده الدفين على ال عامر لأن عبد الملك المظفر ابن ابي عامر سبق ان قتل اباه في المؤامرة التي دبرها عيسى بن سعيد المعروف بابن القطاع لخلع الدولة العامرية وتنصيب هشام المذكور [3] ولم يحسن المهدي

---

(1) نفسه.

(2) النفح 1: 426-427.

(3) أعمال الاعلام : 109-116.

التصرف فقد اجج الفرقة بين المسلمين باضطهاد البربر رغم ان روساءهم قد لحقوا به لما رأوا منه من سوء تدبير عبد الرحمن بن عامر وكان يظهر بغضهم وامرهم بان لا يركبوا ولايتسلموا،و انتهبت العامة دورهم[1] وانقسمت الملة الى فئتين متباغضتين استمر قرونا عدة، فتجمع القرطبيون حوله و اشادوا به، و للمستعين بالله ـــ خصمه اللدود فيما بعد ـــ قصيدة مدحية فيه مطلعها:ـــ[2]

الحمـــد لله حمـــدا لا نقللـــه   هـــذا الســـرور الـــذي كنـــا نؤملـــه

و لابن دراج القسطلي قصيدة طويلة فيه مطلعها [3]:-

قـــل للخلافـــة قـــد بلغـــت منـــاك   و رأيـــت مـــا قـــرت بـــه عينـــاك

مهـــدي أمـــة أحمـــد وكريمهـــا   وحليمهـــا يـــأوي الى مـــأواك

ومـــن أجراءاته سجن الخليفة هشام المؤيد وادعاء موته في السابع والعشرين من شعبان سنة 399هـ ، وسجنة لولي عهده سلـــيمان بن هشام ،وحله للجيش الذي بذل المنصور بن ابي عـــامر اموالا طائلة في اعداده للدفاع عن الدولة الاسلامية من خلال تسريحة لما يقارب من سبع مئة الف جندي وتحويلهم الى طبقة عاطلـــة تمتهن الشعب والفرقة[4] وقتله للخليفة المقترح هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر و اخيه ابي بكر[5] وتماديه في اضطهاد البربر الذين تجمعوا في ما بعد خارج قرطبة و وحدوا قواهم و اختاروا

---

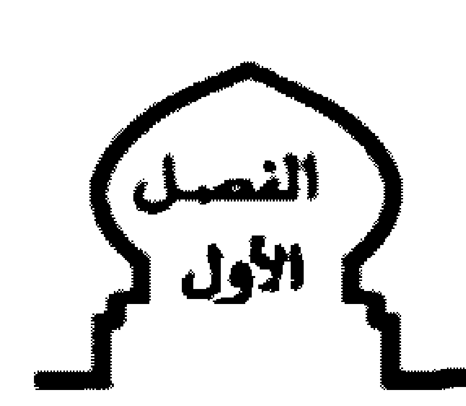
(1) النفح 1: 427.

(2) الحلة السيراء 2: 11.

(3) ديوان ابن دراج 43-45.

(4) البيان المغرب/ 3: 81، تاريخ ابن خلدون / 4: 150.

(5) النفح / 1: 427.



سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين بالله خليفة للمسلمين الذي اتخذ من قلعة رباح قاعدة له،واتفق مع امير قشتالة على معاونته مقابل تنازل له عن ما احب من مدائن الثغر [1] وتحركت قواته نحو قرطبة والتقت بجيش المهدي بقيادة واضح الصقلبي في 13 ربيع الاول سنة اربعمائه هـ في معركة ـ قنتيش ـ وانهزم المهدي وقتل فيها عشرة الاف رجل و ازيد ومال النصاري على المنهزمين وقتلوا منهم على رواية ابن حيان في صعيد واحد نيفا على ثلاثة الاف رجل،و انبسط البربر في ارض قرطبة يقتلون و يأسرون و ينهبون و اصيب في تلك الوقعة من المؤدبين خاصة نيف على ستين [2] واعلن سليمان نفسه خليفة و فر المهدي الى طليطلة [3] و اشار ابن دراج فصلا الى تلك المعركة في قوله [4]:

وشعاب قنتيش وقد حشرت لهم	أمم بغاة لا يُكت عديدها
تركوا بها ظهر الصّعيد وقد غدا	بطنا و اجساد الغواة صعيدها
وكتائب الافرنج اذ كادتك في	أشياعها والله عنك يكيدها

وفي قوله ((والله عنك يكيدها)) تحذير ضمني من معاونة الافرنج و قد اشار الى معاونة البربر له ولا سيما قبيلتي صنهاجة وزناته بقوله [5]:-

في قبة الملك الذي صنهاجة	و زنانة اطنابها و عمودها

(1) الحلة السيراء/ 2:5 -8، البيان المغرب/ 3: 86.

(2) الذخيرة / 1/ 1: 36.

(3) نفسه 1/ 1: 43-44.

(4) ديوان ابن دراج 71.

(5) نفسه.

وقوله [1]:

بكـــل زنـــاتي كـــأن حـــسامه وهامـــة مـــن لاقـــاه نـــار وقربـــان

وأبـــيض صـــنهاج كـــأن سِـــنانه شـــهاب اذا أهـــوى لقـــرنٍ وشـــيطان

وقدرعبد الواحد المراكشي في المعجب عدد القتلى بنيف وعشرين الف رجل [2] :-

ورثى ابن حزم الاندلس (ت 456هـ) قرطبة قبل فراره منها الى المرية، فصور ما حل بالمدينة من خراب و دمار فيها كانت في السابق مربضا للأسود من الرجال [3].

فيـــا دار لم يقفـــرك منـــا اختيارنـــا ولـــو اننـــا نـــسطيع كنـــت لنـــا قـــبرا

ولكـــن اقـــدارا مـــن الله انفـــذت تـــدمرنا طوعـــا لمـــا حـــل أو قهـــرا

ويـــا خـــير دار قـــد تركـــت حميـــدة ســـقتك الغـــوادي مـــا أحـــل و مـــا اسرا

وقوله:-

كانـــك لم يـــسكنك غيـــد او إنـــس وصـــيد رجـــال اشـــبهوا الأنجـــم الزهـــرا

كـــانوا وبـــادوا واســـتمرت نـــواهم لمـــثلهم اســـكبت مقلتـــي الـــصبرا

وقد تمـــادى المستعين باستعمال العنف والقتل والتنكير وهو صاحب المقطوعة [4]:-

حلفـــت بمـــن صـــلى وصـــام وكـــبرا لأغمـــدها فـــيمن طغـــى وتجـــبرا

وابـــصر ديـــن الله تحيـــا رســـومه فبـــدل مـــا قـــد لاح منهـــا وغـــيّرا

---

(1) نفسه 49.

(2) المعجب/ 22.

(3) أعمال الاعلام/ 107-108.

(4) النفح1/ 429-430.

فــوا عجبــا مـــن عبــشمى ملـــك   بـــرغم العـــوالي والمعـــالي تـــبررا

فلـــو أن امـــرأ بالخيـــار نبـــذتهم   وحـــاكمتهم للـــسيف حكـــما محـــررا

فإمـــا حيـــاة تـــستلذ بفقـــدهم   وامـــا حِمـــام لاتـــرى فيـــه مـــا زرى

وفي طليطلة اخذ المهدي يجمع فلوله ويعد العدة مستفيدا من طاعة الثغور له وعون امير برشلونة مقابل شروط قاسية،فزحف بجيشه، وفي منتصف شوال سنة 400 هـ التقى في "عقبة البقر " بقوات المهدي وانهزم الاخير ومن معه من الافرنج، وظن المستعين ان الدائرة قد وقعت عليه، ففر وأعاد البربر الكرة ودخلوا قرطبة وحملوا معهم ذويهم ومتاعهم وخرجوا منها ودخلها المهدي [1] فاخرج هشاما المؤيد للناس وبايع له وقام بامر حجابته ظنا منه ان بذلك سيوطد حكمه [2] وكان مستبدا شديدا ونقل ابن بسام عنه انه قد سبق المعتضد بن عباد الى اتخاد الحديقة المطلعة لروؤس اعدائه التي اصبحت شغلا للنضارة وذكرها شعراؤه مثل قول صاعد بن الحسين من قصيده اولها [3] :-

جـــلاء العـــين مبهجـــة النفـــوس   حـــدائق أطلعـــت ثمـــر الـــروؤس

هَنـــــاك الله مهـــــديّ المـــــساعي   جنـــى الهامـــات مـــن تلـــك الغـــروس

فلـــم ار قبلهـــا وحـــشا جمـــيلا   كريـــه روائـــه أنـــس الأنـــيس

فـــماذ يمـــلأ الاســـماع منهـــا   اذا ملئـــت مـــن انبـــاء الطـــروس

وفي اثناء ذلك اخذ سليمان المستعين ((يجوس خلال الاندلس و رجاله ومن معه من البربر ينهبون ويقتلون ويقفرون المدائن والقرى بالسيف،وينهبون كل ما يجدونه من اموال))[4]

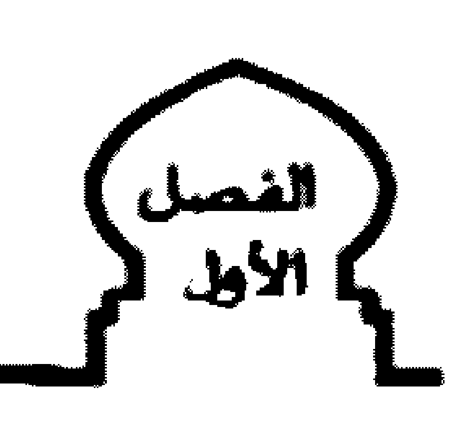
---

(1) الحلة السيراء 2/ 5-8، أعمال الاعلام / 113-128.

(2) النفح 1/ 428-429.

(3) الذخيرة 2/ 1:27.

(4) الحلة السيراء/ 2:4.



فخرج اليهم المهدي و واضح الصقلبي واصطدما بهم في وادي ــ آره ــ على نهر الوادي الكبير وبعد معركة شديدة انهزما وارتدا الى قرطبة [1] واشار ابن دراج الى تلك الوقعة قائلا:ــ

ودنـــتْ لهـــا اَر تحـــت صـــوارم وريـــت بعـــز المـــسلمين زنوُدهـــا[2]

وكان هذه المعركة اثرها على المهدي واتباعه، فحاصرهم المستعين، فخشي اهل قرطبة من الاقتحام عليهم،فأغروا اهل القصر، فدبر واضح الصقلبي مؤامرة انتهت بمقتل المهدي في ذي الحجة من سنة 400 هـ [3] ومبايعة هشام المؤيد من جديد الذي اصبح في تلك الفترة كهلا، فلم يسلم له الأمر و لاسيما ان هشاما لم يكن رجل سياسة ودولة وعقل وان قوات المستعين كانت تحاصر قرطبة وتنشر الخراب والدمار، وبعد مقتل واضح الصقلبي في اثناء محاولته النجاة بنفسه، دخل المستعين قرطبة في شوال سنة 403 هـ واستباح المدينة وقتل كثيرا من اهلها، وغيب سليمانُ هشامَ المؤيد فلم يره بعد ذلك احد واختفى في ظروف غامضة [4] واعلن المستعين نفسه خليفة للمسلمين للمرة الثانية، ورضى به اهل قرطبة على مضض و اقبل عليه الشعراء وقال فيه ابن دراج قصيدة مطلعها [5]:-

هنيئـــاً لهـــذا الـــدهر روح وريحـــان وللـــدين و الـــدنيا امـــان وإيـــمان

فـــإن قعيـــد الـــشرك قـــد ثـــل عرشـــه وان امـــير المـــؤمنين ســـليمانُ

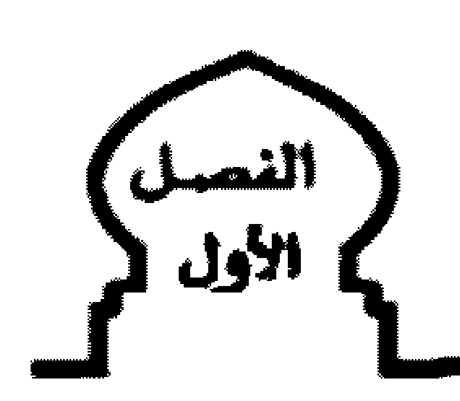
(1) البيان المغرب/ 3: 95-96، اعمال الاعلام/ 115.

(2) ديوان ابن دراج/ 55.

(3) المعجب، 43، البيان المغرب 3: 101، الحلة السيراء2: 7.

(4) الحلة السيراء/ 2: 8، النفح/ 1: 429.

(5) ديوان ابن دراج 47.



وخرج اليه اهلها متلقين له و مسلمين عليه فانشد [1]:-

اذا مـــا رأوني طالعـــا مـــن ثنيـــةٍ   يقولـــون ((مـــن هـــذا)) وقـــد عرفـــوني

يقولـــون لي اهـــلا وســـهلا ومرحبـــا   ولـــو ظفـــروا بي ســـاعة قتلـــوني

وفي تلك الوقعة خربت اجزاء كبيرة مـن الزهـراء وقـال في ذلـك ابـن حـزم ((ولقـد اخبرني بعض الوراد من قرطبة، وقد استخبرته عنها، انه رأى دورنا بـبلاط مغيـث في الجانـب الغربي منها، وقد امحت رسومها وطمست اعلامها وخفيت معاهدها، وغيرها البلى، وصارت صحارى مجدبة بعد العمران و فيافي موحشة بعـد الانـيس، وخرائـب منقطعـة بعـد الحسن، وشعابا مفزعة بعد الامن، ومأوى للذئاب، ومعازف للغيلان، و ملاعـب للجـان، ومكـامن للوحوش، بعد رجال كالليوث وخرائد كالدمى تفيض لديهم الـنعم الغاشـية تبـدد شـملهم فصاروا في البلاد ايادي سبأ)) [2]

وقد رثاها ابن شُهيد قائلا [3]:-

مـــافي الطلـــول مـــن الأحبـــة مخـــبرُ   فمـــن الـــذي عـــن حالهـــا نـــستخبر

فلمثـــل قرطبـــة يقـــل بكـــاء مـــن   يبكـــي بعـــينٍ دمعهـــا متفجـــر

وفي تلك الفتنة قتل حشد كبير من الناس منهم الاديب ابن الفـرضي الحـافظ المـشهور ((قتله البربر يوم فتح قرطبة.... و بقي في داره ثلاثة ايام ودفن متغيرا من غير غـسل ولا كفـن ولا صلاة)) [4] وخرج عنها العلماء والادبـاء وتفرقـوا في الارض و قـال في ذلـك ابـن حـزم الاندلسي [5]:-

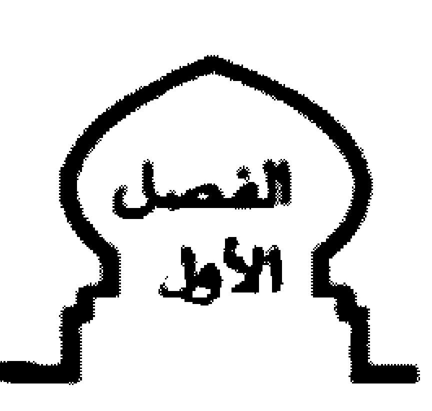
(1) الحلة السيراء 2: 12.

(2) طوق الحمامة/ 182.

(3) ديوان ابن شهيد/ 109.

(4) النفح 2/ 130.

(5) أعمال الاعلام / 107.



سـلام عـلى دار رحلنـا و غـودرتْ خـلاء مـن الاهلـين موحـشة قفـرا

تراهـا كـأن لم تغـن بـالامس بلقعـا ولاعمـرت مـن اهلهـا قبلنـا دهـرا

فيـا دار لم يغفـرك منـا اختيارنـا ولـو اننـا نختـار كنـت لنـا قـبرا

و لم يكترث ابن شهيد لما يلحق بداره واموالها بعد ان خرج منها قائلا:-

علـيكم بـداري فأهـدموها دعـائها ففـي الارض بنـاؤون لي ودعـائم(1)

وفي أهلها قال:

جـار الزمـان علـيهم فتفرقـوا في كـل ناحيـة وبـاد الاكثـر(2)

واكثر الشعراء البكاء على المدينة بعواطف جياشة صادقة كلها ألم و حسرة من ذلك قول ابن شُهَيد ابي عامر(3):-

حـزني عـلى سرواتهـا و رواتهـا وثقاتهـا و حماتهـا يتكـرر

نفـسي عـلى الائهـا وصـفائها وبهائهـا و سـنائها تتحـسر

كبِـدي عـلى علمائهـا حلمائهـا ادبائهـا، ظرفائهـا تتفطُـر

كما بكاها ابن فرج الالبيري ـ السميسر ـ قائلا(4): -

وقفـت بـالزهراء مـستعبرا مـستعتبرا انـدب أشـتاتا

فقلـت: يـا زهـرى ألا فـأرجعي قالـت: وهـل يرجـع مـن ماتـا ؟

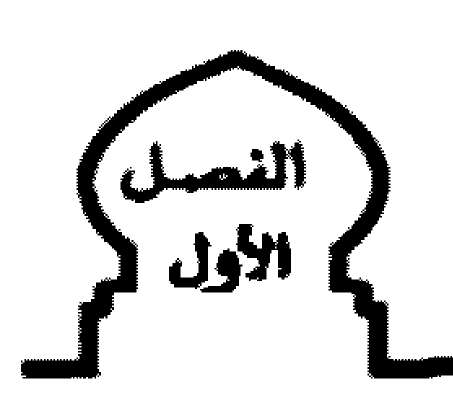
---

(1) ديوان ابن شهيد / 154.

(2) نفسه / 109.

(3) ديوان ابن شهيد / 111.

(4) النفح 1/ 527.



فلـــم أزل أبكـــي وأبكـــي بهـــا هيهـــات يغنـــي الـــدمع هيهاتـــا

كـــأنها اثـــار مـــا قـــد مـــضى نـــوادب ينـــدُبـــن امواتـــا

واستعمل المستعين القسوة والعنف، واستعان بالبربر من اول حكمه ثم انقلب عليهم وهو القائل [1]: -

عجبـــا،يهـــاب الليـــث حـــد ســـناني واهـــاب لحـــظ فـــواتر الأجفـــان

وبلغ الخصام بين العرب والبربر حد البغض والقتل والسلب وقد عبر احدهم عن ذلك بقوله [2]: -

قـــد بلـــغ البربـــر فينـــا بنـــا مـــا افـــسد الاحـــوال و الـــنظما

كالـــسهم للطـــائرلولا الـــذي فيـــه مـــن الـــريش لمـــا أصـــمى

وصورابن حيان حكمه قائلا ((وكانت كلها شدادا نكدات، صعابا مشئومات، كريهات المبدأ والفاتحة... لم يعدم فيها حيف، ولا فورق فيها خوف، ولا تم سرور، ولا فقد محذور))[3] لذلك قال احدهم فيه:

لا رِحـــم الله ســـليمانكم فانـــه ضـــد ســـليمان

ذلـــك مـــن غلـــت شـــياطينه وحـــلّ هـــذا كـــل شـــيطان

فباســـمه ســـاحت عـــلى ارضـــنا لهلـــك ســـكان و اوطـــان[4]

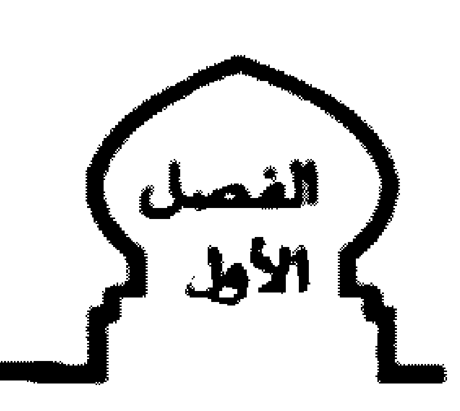
---

(1) الذخيرة 1/ 1: 47.

(2) النفح 1: 430.

(3) الذخيرة 1/ 1 : 43.

(4) النفح 1: 429.



وبلغ به الامر انه كان يهدي بنات المسلمين الى النصاري ومن ذلك ما نقله ابن بسام عن ابن الكتاني قائلا ((شهدت يوما مجلس العلجة بنت شانجة ملك البشكنس.... لبعض ترددنا عن ثغرنا اليه في الفتنة، وفي المجلس عدة قينات مسلمات من اللواتي وهبن له سليمان من الحكم ايام امارته بقرطبة، فأومات العلجة الى جارية منهن، فاخذت العود، و غنت بهذه الابيات:

خليلي ما للريح تاتي كأنها	يخالطها عند الهبوب خلوق
ام الريح جاءت من بلاد احبتي	فاحسبها ريح الحبيب تسوق
سقى الله ارضا حلها الاغيد الذي	لتذكاره بين الضلوع حريق
أصار فؤادي فرقتين فعنده	فريق وعندي للسياق فريق

فاحسنت وجودت، وعلى رأس العلجة جاريات من القوامات أسيرات كانهن فلقات قمر، فما هو الا ان سمعت احداهن الشعر، فارسلت عينيها كانهما مزادتان، فرققت لها، وقالت: ما ابكاك قالت: هذا الشعر لابي، وسمعته فهيج شجوي، فقلت لها يا أمة الله، ومن ابوك؟ قالت سليمان بن مهران السرقسطي، ولي في هذا الإسار مدة ولم اسمع لاهلي بعد خبرا، قال ابن الكتاني: فما جزعت على شئ جزعي عليها يومئذ))[1].

وملك سليمان قرطبة في دولتيه ست سنين وعشرة اشهر[2] و ولي البربر مناصب عليا كالحجابة والوزارة ووزع الولايات عليهم فملك القاسم بن حمود الجزيرة الخضراء وشقيقه علي بن حمود ، قائد المغاربة في الاندلس، ولاية سبته[3] وفي محرم سنة 407 هـ ثار عليه الاخير واجتمع بالمرية مع خيران الصقلبي الذي كان يدعو لهشام المؤيد، فخرج إليهم سليمان وانهزم

---

(1) الذخيرة3/ 1: 318-319.

(2) الذخيرة1/ 1:36.

(3) نفسه 1/ 1: 37-38.

وقبض عليه وعلى أخيه وأبيه و أتهم بقتل هشام المؤيد ((دعا علي سليمان وذويه ،فضرب عنقه بيده، وظهر منه جزع شديد عند ملاحظته السيف، خارت منه قواه، فجثا على ركبتيه، ثم ضربت عنق الشيخ ابيه وعنق عبد الرحمن ابنه وجعلت الروؤس الثلاثة في طست)) (1)

وفي ذلك قال ابو عامر ابن شُهيد (2): -

بكى اسفا للبين يوم التفرق   وقد هون التودع بعض الذي لقي

وما للذي ولي به البين حسرة   بكيت، ولكن حسرة للذي بقي

واعلن علي بن حمود نفسه خليفة للمسلمين مستفيدا من الدعوة العلوية وانتسابه الى حسن بن علي بن أبي طالب، رغم بربريته، فتلقب بالخليفة الناصر، واظهر احسن عشرة لمدة ثمانية اشهر،وعامل عتاه البربر بقسوة، وجلس بنفسه للمظالم، وسلكت السبل، الى ان ظهر المرتضى بشرقي الاندلس مناديا نفسه خليفة للمسلمين، فانقلب سريعا ونشر الظلم والتنكيل ((وانصرف الى حزبه البربري فاثره.. وصب على اهل قرطبة ضروبا من التنكيل والمغارم وانتزع السلاح منهم، وهدم دورهم، فلزموا البيوت وتطمروا في بطون الارض، حتى قل بالنهار ظهورهم وخلت اسواقهم)) (3)

ولابن شهيد قصيدة في عهده الاول:

فريق العدا من حد عزمك يفرق   وبالدهر مما خاف بطشك اولق

عجبت لمن يعتد دونك جُنّة   وسهمك سعد والقضاء مفوّق (4)

---

(1) نفسه 1/ 1: 43.

(2) ديوان ابن شهيد : 132.

(3) الذخيرة 1/ 1 : 96 – 97 وينظر جذوة المقتبس / 21، جمهرة ابن حزم / 50 – 51 أعمال الاعلام / 128، تاريخ خلدون / 4: 124، النفح 1: 430.

(4) ديوان ابن شهد/ 130.

ووصفه ابن بسام بقوله ((وكان الاغلب عليه.... السخاء والشجاعة على عطولة من الفهم والمعرفة وبراءته من الخير جملة)) [1]

وفي ذي القعدة سنة 408 هـ تآمر عليه ثلاثة من عبيده وقتلوه في الحمام، واجمعت الزناته من حينهم الى اخيه القاسم صاحب اشبيلية في تلك المرة وبويع بالخلافة وتلقب بالمأمون، اما المرتضى عبد الرحمن بن محمد الذي ثار في عهد علي بن حمود في شرق الاندلس بمبايعة الموالي، ومنذر بن يحيى التجيبي صاحب سر قسطة وخيران العامري صاحب المرية، تأهب في عهد القاسم للدخول الى قرطبة ولكنه سار الى غرناطة والتقى بصاحبها زاوي بن زيري الصنهاجي وغدر به خيران ومنذر فانهزم وقتل[2] وقال في ذلك ابن الحناط:

تقدم خيران اليها بزعمه	ليدرك ما قد فاته من ذُحوله
فلما التقى الجمعان عاود رأيه	فخلى لبعض الهول جل فضوله
وولى وابقى منذرا من ورائه	يقيم لأهل الغدر عذر نكوله [3]

واظهر القاسم الامان والرفق بالناس. وتكلف في اتخاذ السودان وقيادتهم على اعماله مما ضعف امره وتسلط البرابرة عليه، فثار عليه ابنا اخيه يحيى بن علي القائم على سبته وادريس بن حمود القائم على مالقة، وجاز يحيى البحر وجمع له جمعا كبيرا من البربر، فلما راى القاسم عجزه عن المقاومة خرج من قرطبة الى اشبيلية في ربيع الثاني سنة 412 هـ واعلن يحيى نفسه خليفة للمسلمين وتلقب بالمعتلي [4] ((وسلك سبيل والده في التحقق بالفروسية والحب لركض الخيل والخروج للقنص وتنكب ما سوى ذاك من مذموم اخلاق ابيه ومكروه سيرته، فجانب

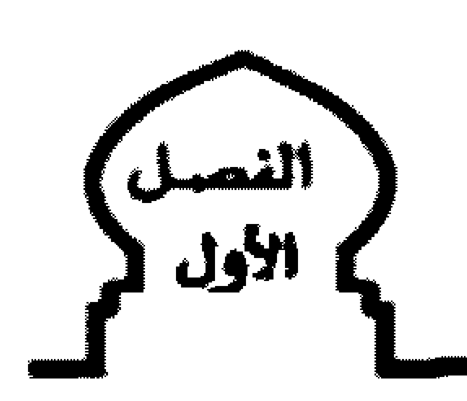
---

(1) الذخيرة 1/ 1: 102.

(2) نفسه 1/ 1: 453.

(3) الذخيرة1/ 1: 453، المغرب 1: 124.

(4) الذخيرة 1/ 1: 481، البيان المغرب 3/ 124 – 131، أعمال الاعلام130:135.



العصبية.... وقصر امام زناتة من البربر، ففر الى مالقة وجئ بعمه القاسم بن حمود الى قرطبة مرة ثانية سنة413 هـ))[1]

وبعد شهور قامت ثورة شعبية في المدينة ضد البرابرة بعد ان ضاقوا بهم ذرعا، فقتلوا منهم قتلا ذريعا، فارتحلوا عن قرطبة وخرج القاسم الى شريش ورجع عنه البرابرة الى اخيه يحيى الذي ملك مالقة والجزيرة الخضراء، وزحف الى عمه القاسم وحبسه الى ان مات فيها بعد سنة 427هـ[2]

و اجتمع اهل قرطبة و فرض عليهم عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار شقيق المهدي و بايعوه في رمضان 414هـ ولقبوه بالمستظهر[3] في عهد لم تكن سلطة الخلافة تتجاوز مدينة قرطبة مع خزينة خاوية ومدينة بائسة وقال عنه ابن حيان ((كان هذا لبقا ذكيا واديبا لوذعيا....... وعلى حداثة سنه ذكيا يقظا لبيبا اديبا، حسن الكلام جيد القريحة، مليح البلاغة يتصرف فيما شاءه من الخطابة بديهة وروية ويصوغ قطعا من الشعر مستجادة.... يزين ذلك بطهارة اثواب وعفة وبراءة من شرب النبيذ سرا وعلانية.....))[4] وسن ادبه ان شاعرا رفع اليه في بيعته شعرا كتبه في مبشور واعتذر منه قائلا:-

البرق مبشور وفيه بشارة ... ببقا الامام الفاضل المستظهر

ملك اعاد العيش غضا شخصه ... وكذا يكون به طوال الادهر

فأجزل صلته ووقع على ظهر رقعته بهذه الابيات:-

قبلنا العذر في بشر الكتاب ... لما احكمت من فضل الخطاب

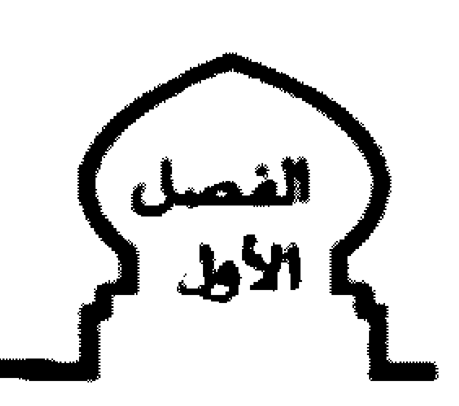
وجدنا بالجزاء بما لدينا ... على قدر الوجود بلا حساب

(1) الذخيرة 1/ 1: 482.

(2) النفح 1/ 431-432.

(3) نفسه 1/ 437.

(4) ينظر الذخيرة 1/ 1: 48 – 55



فـــــنحن المنعمـــــون اذا قـــــدرنا ونحـــــن الغـــــافرون أذى الـــــذئاب

ونحـــــن المطلعـــــون بـــــلا امـــــتراء شـــــموس المجـــد مـــن فلـــك الشـــواب[1]

وحاول مصالحة البربر، فانقلبت عليه الدائرة، بعد ان خاب رجاله ان يفيض عليهم بالعطايا بعد ان وزع عليهم المناصب، فنادوا على ابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن الناصر المستكفي بالله فهرب المستظهر واستخفى في مخزن فحم ثم عثروا عليه وقتلوه امام ابن عمه وهو فرح وكانت امارته سبعة واربعين يوما وسنة ويوم مقتله عمره ثلاث وعشرون سنة، ومما روي انه قال يوم الوثوب عليه[2]: -

يـــــا ايهـــــا القمـــــر المنـــــير كـــــن نحـــــو شـــــبهك لي ســـــفير

بتحيـــــــــة اودعتهـــــــــا شـــــــوقا بنيـــــات الـــــصدور

واشتهر اهل قرطبة بالانقلاب على الرؤساء وعدم الوفاء لهم ويضرب بهم المثل في القيام على الملوك والتشنيع على الولاة، وقلة الرضا بامورهم، قيل لأحدهم: كيف اهل قرطبة ؟ فقال ((مثل الجمل، ان خففت عنه الحمل صاح، وان اثقلته صاح، ما ندري اين رضاهم فنقصده ولااين سخطهم فنتجنبه....))[3] اما المستكفي بالله فيقول عنه ابن حيان ((انه لم يجلس في الامارة مدة تلك الفتنة أسقط منه ولا أنقص اذ لم يزل معروفا بالتخلف والركاكة مشتهرا بالشرب والبطالة، سقيم السر والعلانية اســـــير الشهوة عاهر الخلوة.....)) وقوله: ((انما ارسله الله تعالى على اهل قرطبة محنة وبليه اذ كان منذ عرف غفلا منقطعا الى البطالة مجبولا على الجهالة....))[4] وفي عهده استؤصلت بقية قصور جده، وطمست اعلام

---

(1) الذخيرة 1/ 1 : 58 ، الحلة السيراء 2: 16، البيان المغرب 3: 140، النفح 1: 490.

(2) الذخيرة 1/ 1: 58 ، النفح 1/ 437.

(3) النفح 1/ 155.

(4) الذخيرة 1/ 1 : 434.

قصر الزهراء وتولع بامرأة خبيثة نصرانية أنجبت منه ولادة، وقتل ابن عمه ابن العراقي وسجن ابن حزم وغيره [1] وفي حكمها قال ابو طالب عبد الجبار في ارجوزته[2]:

وظهر المستظهر المرواني ... وشعره من أحسن المعاني

وقتلوه بعد ذاك صبرا ... من بعد ما قد قلدوه الامرا

فبايعوا للناصر المستكفي ... بعد خطوب طال فيها وصفي

وفي سنة 416 هـ تحرك يحيى بن علي بن حمود نحو قرطبة فضعف امر المستكفي، وثارت عليه دائرته الفاسدة، فخرج بثياب غانية وهرب الى قرية وقتل مسموما بعد ان حكم ستة عشر شهرا واياما [3] واعلن يحيى خلافته من قرطبة للمرة الثانية واستقر في مالقة لانه لم يكن يثق باهل المدينة الذين كانوا ينظرون اليه بازدراء، من ذلك هجاء ابن شهيد ابي عامر لوزيره أبي جعفر بن عباس بقوله [4]:-

أبو جعفر رجل كاتب ... مليح شبَا الخط حلُّو الخطابة

تملأ شحما ولحما وما ... يليق تملؤه بالكتابة

وذو عرق ليس ماء الحياء ... ولكنه رشحُ فضل الجنابة

واتفق خيران العامري حاكم المرية ومجاهد العامري حاكم دانية على انهاء حكم آل حمود واعادة الحكم للأمويين، وبالتعاون مع اهل المدينة تمكنا من طرد البربر من قرطبة بصورة نهائية، وفي مجاهد هذا يقول ابن دراج:

---

(1) المغرب 1/ 55.

(2) الذخيرة 2/ 1: 941.

(3) بغية الملتمس / 33.

(4) ديوان ابن شهيد / 95، النفح / 463.

الى أي ذكـــر غـــير ذكـــرك ارتـــاح ومـــن أي بحـــرٍ بعـــد بحـــرك امتـــاحُ[1]

ولم يستقرا فيها لعدم ثقة احدهما بالأخر، فخرجا منها تباعا، فأختار اهل قرطبة هـشام بن عبد الملك المرواني شقيق المرتضى، ولقب بالمعتد بالله واعلـن خلافتـه سـنة 418 هــ وكـان بعيدا عن قرطبة فوصلها بمشقة لكثرة الخارجين عليه، ولم يستقر الامر في عهده لعكوفه عـلى المجون والملذات وتركه الامور بيد وزيره الحكـم بـن سـعيد الـذي اسـاء الى النـاس ولاسـيما العلماء وفرض على الشعب الضرائب الباهظة، فثار عليه الجند لتأخير رواتبهم، وقتلوا الـوزير ونهبوا قصره، فتنازل المعتد بالله عن الحكم الى مجلس اعيان المدينة برئاسة ابن جهور[2] وصور ابو طالب عبد الجبار عهد المعتد بالله في ارجوزته[3] : -

ثـــم انـــى مـــن بعـــده المعتـــد والحـــرب في اقطارهـــا تـــشتد

فنقمـــوا استخلاصـــه للحائـــك وزيـــره فخـــر أي هالـــك

وخلعـــوا معتـــدهم هـــشاما وســـجنوه عنـــدهم أعوامـــا

ومن الشعراء الذين اشادوا بالمعتـد ابـن شـهيد ابـو عـامر الـذي وصـف علاقتـه بـه، ومساندته له على اعدائه وحساده: -

احلتنـــي بمحلـــة الجـــوزاء ورميـــتُ عنـــدك مـــن دم الأعـــداء

وطعمـــت لحـــم المـــارقين فأخـــصبت حـــالي وبلغنـــي الزمـــان شـــفائي

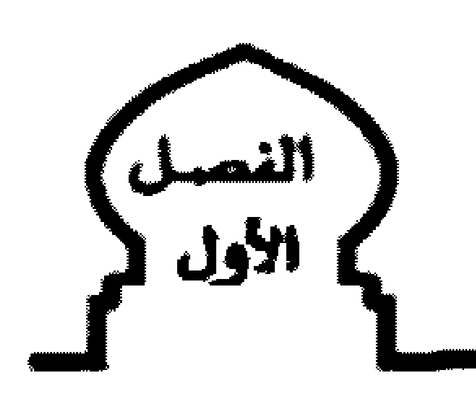
وحملتنـــي كالـــصقر فـــوق معـــاشر تحتـــي كـــأنهم بنـــات المـــاء

---

(1) ديوان ابن دراج / 404 – 407.

(2) البيان المغرب 3/ 145، تاريخ ابن خلدون / 4: 154، الفتح 1/ 386.

(3) الذخيرة 1/2: 941.



ولمحتُ إخواني لديك كأنهم　　　مما رفعتهم نجومُ سماء[1]

وانتهت الخلافة واسدل الستار على حكم بني امية وقد وصف ابن الخطيب هذه النهاية بقوله:

((ومشى البريد في الاسواق والارباض بان لايبقى احد بقرطبة من بني امية لايكنفهم احد))[2] وكانت مدة الفتنة من أصعب أيام قرطبة في القرن الخامس للهجرة.

اسباب الفتنة

أ- العوامل الكامنة:

1. طبيعةالمجتمع الاندلسي المتباين الاجناس والعناصر وانقسامه الى مناطق نفوذ وقبائل منذ السنوات الاولى بعد الفتح، والصراع المستمر على تقسيم الاراضي مما ادى بالخليفة عمر بن عبد العزيز(99-101هـ) ان يقرر الانسحاب الكامل من الاندلس لولا الصعوبات التي اعاقت تنفيذ ذلك، فارسل احد اعوانه الى الاندلس للسيطرة على الوضع و اعطاء القادمين الجدد من اراضي الخمس المخصصة للدولة[3] فضلا عن الصراع بين البلديين من العرب و البربر من جهة و مع القادمين الجدد من جهة اخرى و الصراع مع السكان المحليين من الاسبان، و هذا يفسر كثرة الثورات و التمردات التي كانت تواجه امراء الاندلس و خلفائها.
2. البربرمن قبيلتي صنهاجة و زناتة الذين استقدمهم المنصور بن ابي عامر ليلحقهم بجيشه لمحاربة الممالك الاسبانية الشمالية، و عدم تأقلمهم مع المجتمع الاندلسي، حيث ظلوا غرباء ليس لهم حرفة غير حمل السلاح.

---

(1) ديوان ابن شهيد : 81 وينظر المغرب 1: 85.

(2) أعمال الاعلام / 139.

(3) ينظر تاريخ العرب وحضارتهم فيالاندلس / 63.

3. تذمر الفئة الكبرى من المجتمع من استبداد العامريين بالحكم، فانقسم المجتمع الى فريقين فريق التف حول بني عامر و فريق تجمع حول بني امية ينظرون بغيظ وتذمر الى استئثار العامرين بالسلطة وفصلهم بين السلطة الروحية للخليفة و السلطة المركزية المتمثلة بالحاجب المنصور[1] .

ب- **العوامل المباشرة:**

1- اختيار الحكم المستنصر ابنه هشام المؤيد لخلافة المسلمين، وهو لم يبلغ الحلم، فضلا عن عدم توفر شروط القيادة فيه،وقد وصفه الحجاري صاحب المسهب بجمود الحركة وضعف في العقل[2].

2- ضعف عبد الرحمن بن ابي عامر الملقب بشنجول وعدم ادراكه لخطورة توله ولاية العهد وخروجه الى محاربة الاسبان في الشمال في ظروف سياسية ومناخية غير ملائمتين فضلا عن استهتاره وميله الى الخلاعة والمجون[3]

3- ضعف رابطة الدين الاسلامي بينهم وانتشار المجون والخلاعة والخمرة نتيجة لتكدس الاموال وكثرة الجواري والغلمان وانحسار الغيرة على الاسلام ومما رواه ابن عذاري ان رجلا نصرانيا وقف في وسط قرطبة ونال من الرسول الاعظم من غير ان يرد عليه احد او يز جره[4].

4- الأستعانة بالاعداء من النصارى الاسبان مقابل التنازل عن الثغور والمدائن، وفتح ابواب الاندلس لهم لمعرفة قضايا هذه الدولة واسرارها. وتدخلهم في الشؤون الداخلية، والاحتكام اليهم وطلب المرتزقة منهم.

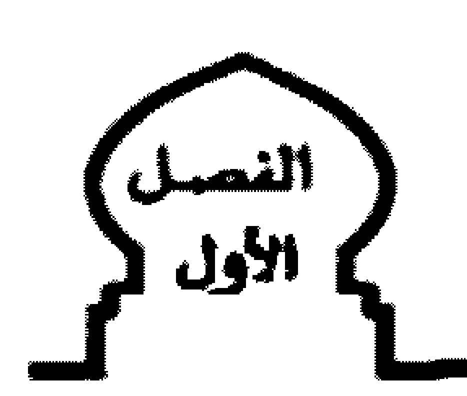
---

(1) ينظر اشبيلية في القرن الخامس / 22.

(2) ينظر المغرب 1: 194.

(3) ينظر بيان المغرب 3: 39.

(4) ينظر نفسه: 97.



5- الدور السلبي للمجتمع الاندلسي في التصدي لـروؤس الفـتن وتمـادي بعـضهم في التحريض على القتل وسفك الدماء، فابن شهيد ابو عامر حرض الخليفـة الامـوي هشام المعتد بعد مقتل وزيره عبد الرحمن الخياط الى الثأر له وعـدم الاكتفـاء بقتـل القتلة [1].

ألحـــق بـــه اخوانـــه فحيـــاتهم نكـــد وقـــد أودى أخـــو الـــسفهاء

6- غياب القائد والادارة القادرة عـلى الحـسم في الوقـت المناسـب [2] وانغماسـهم في الخلاعة والشرب والمجون.

اما نتائج الفتنة فيمكن حصرها في النقاط التالية:

1- الخراب والدمار في كل مكان ولا سيما قرطبة التـي كانـت جنـة الله في الارض كـما وصفها ابن حوقل قبل الفتنة قائلا ((هي اعظم مدينة بالانـدلس، ولـيس بجميـع المغرب لها عندي شبيه في كثرة اهل وسـعة محـل وفـسحة اسـواق، ونظافـة محـال، وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنـادق)) [3] فتحـول سريعـا الى مدينـة للأشـباح وأزيلت معالم مدينتي – الزهراء والزاهرة – وقد رثاها الـشعراء بكثـرة مـنهم ابـن شهيد [4]: -

فلمثـــل قرطبـــة يقـــل بكـــاء مـــن يبكـــي بعـــين دمعُهـــا متفجـــرُ

وقوله:

يـــا جنـــةً عـــصفت بأهلهـــا ريـــح النـــوى فتـــدمرت وتـــدمروا

(1) ديوان ابن شهيد 81، الذخيرة3/ 1: 521.

(2) ينظر تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس/ 216.

(3) النفح1: 460.

(4) ديوان ابن شهيد/ 109.



ونقل لنا ابن عربي ابياتا قال انه قرأها على بعض جدران الزهراء بعد خرابها [1]: -

ديـار باكنـاف الملاعـب تلمـعُ	ومـا ان بهـا مـن سـاكن وهـي بلقـع
ينوح عليها الطير من كل جانب	فيـصمت احيانـا، وحينـا يرجـع
فخاطبـت منهـا طـائرا متغـردا	لـه شـجن في القلـب وهـو مـروع
فقلـت عـلى مـاذا تنـوح وتـشتكي	فقال: عـلى دهـر مـضى لـيس يرجـع

ولم يقتصر الخراب على قرطبة و انما شمل مدنا اخرى بنسب متفاوتة، فأبو اسحاق الألبيري صور خراب مدينة – البيرة – في جنوب الاندلس في قصيدة موثرة [2].

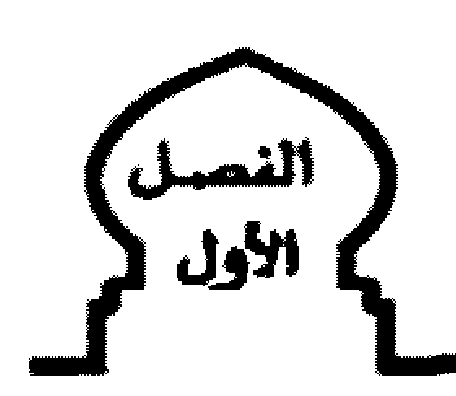
2- انحلال السلطة المركزية وحل الجيش النظامي وتفرقه، وسيطرة الطامعين من اصحاب السيوف والخارجين عن القانون على المدائن وتقسيم البلاد الى مناطق نفوذ وسيطرة في حروب طاحنة من غير توقف رغم دعوات الشعراءوالمصلحين في نبذ القتال والاحتكام الى العقل. فابن دراج الذي اشتهر بالمدح سقم الوضع واخذ يدعو الى الامان والصلح [3] -

وقلـت لعـاً للعـاثرين كأنّـه	نـشورا لقـوم حـان مـنهم وقـد حـانوا
وقـد امـن التثريـب اخـوةُ يوسـف	وادركهـم لله عفـو و غفـران
وحنت لداعي الصلح بكـر وتغلـب	وشـفعت الارقـام عـبس وذبيـان
وفـازت قـداح المـشتري بـشعودها	وسالم بهرام واعتب كيـوان

(1) دولة الاسلام في الأندلس/ 400-401.

(2) ديوان ابن اسحاق الالبيري/ 73.

(3) ديوان ابن دراج/ 50.



3- الهجرة ورحيل العلماء والادباء من مراكزالمدن الكبرى الى مناطق اكثرامنا داخل الجزيرة وخارجها، فابن شهيد ابو عامر يصور حاله قائلا [1] -

ادور فلا اعتام غير محاربٍ   واسعى فلا القى امرءا لي يسالم

4- الفقر والعوز وانتشار المجاعة والامراض والاوبئة وكثرة الضرائب والاتاوات وتوقف النشاط الاقتصادي والزراعي، فابن دراج يوضح ذلك من خلال وصفه لما حل به حين انجلى عن اهله: -

تقسّمهنّ السيف والحيف   وشطّت بنا عنها عصورٌ وازمان

كما اقتسمت اخدانهنَّ يد النوى   فهم للردى والبر والبحر اخوان

اذا شرّق الحادي بهم غربت بنا   نوى يومها يومان والحين احيانُ [2]

5- الانحلال الاجتماعي وانتشار النفاق والرياء وتفكك الروابط بين الناس،وتفشي الجريمة وقطاع الطرق وانقسام الناس الى طوائف متباغضة، في ذلك يقول ابن بسام ((... شذ قوم من اهلها على حال... فاصبحوا طرائد سيوف وجلاء حتوف، قد خلعهم لين العيش على خشنة واسلمتهم غفلات الزمان الى محنة، يلوذون بافاق هذه الجزيرة المنكوبة...)) [3]

6. فقدان ثغور ومدائن مهمة ولاسيّما المسلمّة من قبل قطبي الفتنة المهدي والمستعين وسقوط مناطق اخرى لعدم وجود مدافعين منظمين عنها بعد انحلال الجيش.

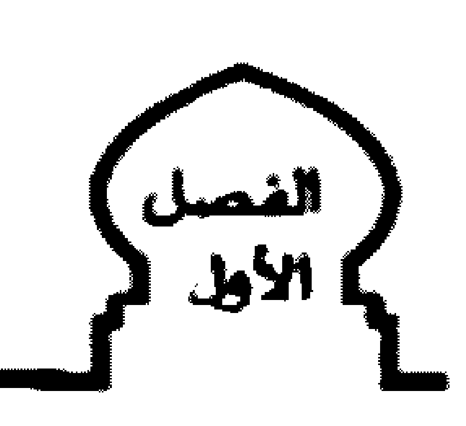
7. تدخل النصارى في الامور الداخلية ومشاهدة جنودهم و مرتزقتهم علناً في المدن والقرى يسرقون وينهبون ويقتلون.

---

(1) ديوان ابن شهيد / 153، الذخيرة 1/ 1: 321.

(2) ديوانه/ 74، الذخيرة 3/ 1 1:10.

(3) الذخيرة 3/ 1: 9.



وقد أجاد ابن شهيد في وصف الفتنة قلائلاً[1]

مِـــنْ فِتْنَـــةٍ قـــد اســـلبتْ	ظُلماتُهـــا بيَـــد المظـــالمْ
عَمَهـــتْ لهـــا احلامُنـــا	وكأنهـــا أضْـــغاثُ حـــالمْ
وتَـــضاءلتْ أجرامُنـــا	فيهـــا بموبَقـــةِ الجـــرائمْ
وتحوَّلَـــت فينـــا الـــذُّنا	بِي فيهـــا بموبقـــةِ الجـــرائمْ
وأدارَ كـــلُّ صـــغيرٍ قـــد	رِ المنتهـــى أرْحـــي العَظـــالمْ
فكأنُنـــا عُمَـــي نـــسا	قُ عـــلى العِمـــى في ظـــلٍّ عـــاتِمْ

دويلات الطوائف

ان ضعف السلطة المركزية وفساد ادارتها وانحلال اجهزتها التنفيذية من الجيش والمالية وتفاقم الصراع على السلطة كل هذا دفع الامراء من العرب والبربر والصقالبة على الاستقلال بمناطق نفوذهم ولا سيما ((ان خضوع المدن الاندلسية الكبيرة لقرطبة لم يعد ممكنا بعد ان تطورت هذه المدن ونشأت فيها ارستقراطية محلية مستقرة عميقة الجذور... كما لم يكن لدى قرطبة من القوة ما تستطيع فيها فرض سلطانها على هذه المدن))[2] فنشبت بينهم حروب دامية ولاذوا بالجزية لدول النصاري وترفعوا عن المثل السامية وكان توزيعهم كالاتي: -

أ-**الاندلسيون** على الاجزاء الوسطى من الاندلس مثل قرطبة واشبيلية و بلنسية ومرسية ومرية....

ب- **البربر:** وقد استولوا على الجزء الجنوبي مثل غرناطة وقرمونة ومالقة.

ج- **الصقالبة:** وقد انحازوا الى شرقه واستبدوا به وسيطروا على الجزائر الشرقية.

---

(1) ديوان ابن شهيد/ 154-155، الذخيرة 1/ 1: 202.

(2) محمد بن عمار الاندلسي / 11.

وامارات صغيرة مختلفة العروق بين هذه المناطق تابعة لدويلات اكبر ومتأثرة بحروبها، وقد وصف ابن حزم الاندلسي ذلك العهد بقوله ((فضيحة لم يقع في العالم الى يومنا مثلها: اربعة رجال في مسافة ثلاثة ايام في مثلها كلهم يتسمى بامرة أمير المؤمنين، ويخطب لهم بها في زمن واحد وهم خلف الحصري باشبيلية، على انه هشام بن الحكم، ومحمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء، ومحمد بن ادريس بن علي بن حمود بمالقة، وادريس بن يحيى بن علي بن حمود ببشتر))[1]

وقوله: -[2]

حصلنا على هم واثم وحسرة وفات الذي كنا نلذ به عنّا

في مقارنة بين ماضية السعيد في عهد الدولة الاندلسية الواحدة وبين حاضره التعيس في عهد ملوك الطوائف. وهذه الدويلات لم تكن تمتلك من مقومات الدولة ما يحفظ كيانها واستقراها، ويتلقب الامراء بالقاب في غير موضعها. ولنا في ذلك قول ابن رشيق القيرواني[3]: -

مما يزهدني في ارض اندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد

القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صوله الاسد

وقد وصف ابن الخطيب تلك الحقبة قائلا ((وذهب اهل الاندلس من انشقاق والانشعاب والافتراق الى حيث لم يذهب كثير من اهل الاقطار، مع امتيازها بالمحل القريب، والخطة المجاورة لعباد الصليب، ليس للأحدهم في الخلافة إرث ولا في الإمارة سبب ولا في الفروسية نسب ولا في شروط الامامة مكتسب، اقتطعوا الأقطار واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العملات والامصار وجندوا الجنود، وقدموا القضاة وانتحلوا الالقاب، وكتبت عنهم

---

(1) نقط العروس في تواريخ الخلفاء / 83-84.

(2) الذخيرة 1/ 1: 173.

(3) ديوان ابن رشيق القيرواني / 59-60.

الكتاب والاعلام وانشهدهم الشعراء، ودونت بأسمائهم الدواوين وشهدت بوجوب حقهم الشهود، ووقفت بابوابهم العلماء، وتوسلت اليهم الفضلاء.....)) [1].

وقال فيهم ابن فرج الالبيري – السميسر [2]: -

نادِ الملوك وقل لهم	ماالذي احدثتم
أسلمتم الاسلام في	أسر العدا وقعدتم
وجب القيام عليكم	اذ بالنصاري قمتم
لا تنكروا شق العصا	فعصا النبي شققتم

فكان الانهيار سمة غالبة على هذا العصر [3] على الرغم مما قيل عن التقدم الثقافي الذي كان نتيجة قوة دفع سابقة.

أما أهم هذه الدويلات والادارات فهي: -

دولة بني جهور

بعد خلع المعتد بالله واضطراب الامور وضياع الامن والاستقرار، اجتمع اهل قرطبة لاختيار مجلس رئاسي يقوم بادارة مدينتهم وما يقع تحت سلطتها، فاختاروا في منتصف ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين واربع مئة ابا حزم بن جهور لرئاسة هذا المجلس بنظام الشورى، فاجاد السياسة والادارة ودبرها بالجد والحزم والتواضع، ومتى سئل قال: ((ليس لي عطاء ولا منعٌ هو للجماعة وانا امينهم)) [4] وفرض احترامه على بقية الملوك وفرق السلاح على اصحاب الدكاكين وفي البيوت، حتى اذا دهم امر في ليل ونهار، كان سلاح كل واحد معه، وكان يشهد

---

(1) أعمال الاعلام / 144، دول الطوائف / 15.

(2) الذخيرة 2/ 1: 885، المطرب / 93.

(3) ينظر الشعر الاندلسي / 26.

(4) الذخيرة 1/ 2: 603.

الجنائز ويعود المرضى، وفي عهده رخصت الاسعار وازدحمت الاسواق ولم يتحول عن داره واحسن ترتيب الجند[1] ، ونسب اليه صاحب المطمح البيتين الاتيين له وقد وقف على قصور الامويين بعد ان تقوضت ابنيتها[2]: -

قلت يوما لدار قوم تفانوا　　　ايـن سكانك العزاز علينا

فاجابت: هنا اقاموا قليلا　　　ثم ساروا ولست اعلم اينا

وقال فيه ابن زيدون قصائد كثيرة منها الابيات الاتية[3]: -

هو الملك المشفوع بالنسك مُلكهُ　　　فلله ما يخفى ولله ما يبدو

لقد اوسع الاسلام بالامس حسبةً　　　نمت غرض الأجرالجزيل فلم تَعدُ

اباح حمى الخمر الخبيثة حائطا　　　حمى الدين من أنْ يُستباح له حد

وكان ابن جهور قد امر بكسر دنان الخمر، وتوفي في سنة خمس وثلاثين واربع مئة، فرثاه الشعراء منهم ابن زيدون بقصيدة طويلة مطلعها[4]: -

الم تر أن الشمس قد ضمَها القبر　　　وأن قد كفانا فقدها القمرُ البدرُ

فصار الامر لابنه ابي الوليد بن الجهور، فحاول في اول حكمه السير على نهج ابيه، فأقر الحكام وارباب المراتب في مناصبهم، وقرب العلماء والادباء. وكان من بين معاونيه ابن حيان المؤرخ وابن زيدون قبل ان يسجن، فساد الامن وبدا افضل ما كان عليه في الدولة الاموية

---

(1) الذخيرة 2/1: 602 – 611، المطمح : 184، الحلة السيراء 2/ 32- 33، البيان المغرب 3/ 187.

(2) المطمح / 186.

(3) ديوان ابن زيدون / 351، الذخيرة 1/ 1: 389.

(4) ديوان ابن زيدون / 523، الذخيرة 1/ 1: 392.

والعامرية وتنافس ابناه على السلطة في حياته، فوزعها بينهما ثم قدم ولده الاصغر عبد الملك وأنشد في ذلك قول (عبد الملك بن ادريس الجزيري)[1]:

واذا الفتى فقد الشباب سما له ... حبُ البنين ولا كحب الاصغر

فاساء عبد الملك السيرة واستبد بالسلطة وقتل وزيره ابن السقا في سنة 445 هـ الذي يعود الفضل له في ضبط المملكة لمدة خمس سنوات، وغلب على اخيه وسجنه في بيته وقرب السفهاء، والشيخ ابو الوليد قعيد في بيته عن شلل لاحول له ولاقوة.

وفي سنة 462 هـ دلف المامون يحيى بن ذي النون من طليطلة قاصدا غزو قرطبة فاستغاث عبد الملك بصديقه المعتمد، فارسل اليه الفرسان والجند تحت امرة قائدين بارزين فنزلوا بالربض الشرقي للمدينة، فلما رجع ابن ذي النون، اقتحمت قوات المعتمد بن عباد الابواب، مستغلين النقمة الشعبية واضطراب الاحوال السياسية والاجتماعية ودعوات عدد من اعيان قرطبة للمعتمد، فاحتلوا المدينة والحقت بمملكة بني عباد في اشبيلية ونفوا آل جهور منها ولما خرج الشيخ رفع يديه قائلا ((اللهم كما اجبت الدعاء علينا فاجبه لنا)) فمات بعد اربعين يوما من ذلك [2] في حين فرح المعتمد وصورها عروسا زفت اليها قائلا [3]: -

من للملوك بشأو الاصيد البطل ... هيهات جاءتكم مهدية الدول

خطبت قرطبة الحسناء إذ منعت ... من جاء يخطبها بالبيض والاسل

وكم غدت عاطلا حتى عرضت لها ... فاصبحت في سري الحلي والحلل

وتولى ابو عمرو سراج الدولة بن المعتمد حكمها وادارة شؤونها، وفي 467 هـ هجم عليها ابن ذي النون بقيادة ابن عكاشة خلسة ليلا في مؤامرة محكمة، فقتل سراج الدولة

---

(1) الذخير 2/ 1: 607.

(2) ينظر الذخيرة 1/ 2: 610-611، المغرب 1:56-57، البيان المغرب 3: 158.

(3) ديوان المعتمد / 65-66.

واستولى على المدينة، وحزن المعتمد بن عباد على ولده وذكره في قصائده حتى بعد زوال ملكه ومقتل اولاده الاربعة [1]:

وقــبلكما قــد اودع القلــب حــسرة   تجــدد طــول الــدهر ثكــل أبي عمــرو

واخذ المعتمد يعد العدة وبعد ثلاث سنوات هجم على المدينة وبعد معارك طاحنة اعادها وطارد ابن عكاشة وقتله وعين ابنه المامون الفتح حاكما عليها الى سقوطها بيد المرابطين سنة 484 هـ [2].

دولة بني عباد

اشبيلية مدينة عامرة كما جاء في النفح بانها ((قاعدة بلاد الاندلس حاضرتها و مدينة الادب و اللهو و الطرب، وهي على ضفة النهر الكبير)) [3] نزل بها جند حمص من المشرق فسميت باسمها [4] وبعد تصدع الدولة العامرية و انحلال السلطة المركزية في قرطبة بدأت تتجه نحو الاستقلال خاصة بعد نمو طبقة متنفذة غنية محلية تستأثر بنفسهاو صارت كما قال ابن بسام: ((مجمعا لصوب العقول و ذوب العلوم،وميداني فرسان المنثور و المنظوم لا سيما من اول المائة الخامسة من الهجرة حيب فرح كل حزب بما لديه، وغلب كل رئيس على ما في يديه)) [5] وكانت فيها عائلة غنية تمتلك من الجاه و المال فضلا عن الشهرة في العلوم الدينية و الحكمة و الادب و هم بنو عباد، كان اسماعيل بن عباد [5] يتولى القضاء في المدينة، و لما بدأت الفتنة، ضبط الامور، وحفظ النظام فيها، و عندما خرج القاسم بن حمود منها ليتولى

(1) الذخيرة 2/ 1: 70، ديوانه: 107.

(2) ينظر القلائد / 11، المعجب / 189، البيان المغرب / 3: 158، تاريخ ابن خلدون 4: 159.

(3) النفح 1: 208.

(4) الذخيرة 2/ 1: 11.

(5) نفسه 2/ 1: 11- 12.

(6) البيان المغرب 3: 305.

الخلافة في قرطبة، عمل على توطيد نفوذه مستغلا في ذلك سعة ثرائه و عراقة نسبه ومعاونة الزعماء الاخرين له [1] وفي نسبه يقول ابن اللبانة [2]: -

من بني المنذرين وهو انتساب زاد في فخره بنو عباد

فتية لم تلد سواها المعالي والمعالي قليلة الاولاد

وفي سنة 414هـ تولى ابنه ابوالقاسم بن عباد قضاء اشبلية بموافقة الخليفة القاسم بن حمود و كان فيما سبق يمارس سلطات ابيه بعد ان فقد الاخير بصره وتقدم به السن [3] و عندما عزم القاسم العودة الى اشبلية بعد الثورة الشعبية العارمة في قرطبة ضد البربر سنة 414هـ جمع القاضي وجهاء اشبلية و شاورهم في الدفاع عنها و منع القاسم بن حمود العودة اليها، مشكلا في ذلك مجلسا من كبار الاعيان لادارة المدينة برئاسته، فوزع السلاح وصرف رواتب الجند، وبذلك اصبحت اشبلية مدينة مستقلة [4] وكانت سياسته تقوم على الشدة و البطش بمنافسيه معتمدا في ذلك على جيش من الجند والعبيد و المرتزقة والمتطوعة [5] ونقل ابن بسام ثلاث مقطوعات من شعره، منها قوله في الياسمين[6]:-

يا حبذا الياسمين اذ يزهر فوق غصون رطيبة نضرُ

قد امتطى للجبال ذروتها فوق بساط من سندس اخضر

كانه والعيون ترمقه زمرد في خلاله جوهر

(1) البيان المغرب / 3 188 – 200، اشبلية من القرن الخامس / 113 – 155.

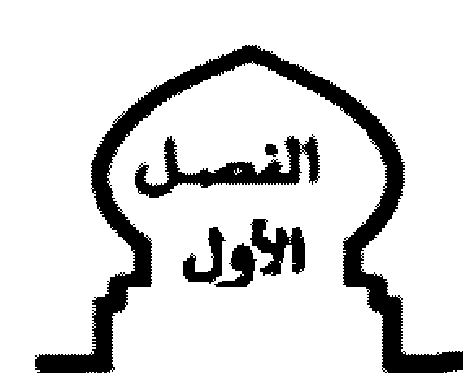
(2) شعر ابن اللبانة الداني / 33.

(3) البيان المغرب 3: 194، تاريخ قضاة الاندلس / 94.

(4) الذخيرة 2/ 1 : 486، الشعر في ظل بني عباد / 14-15.

(5) البيان المغرب / 3: 305.

(6) الذخيرة 2/ 1: 23.



وتنازع في سنة (421هـ) مع المنصور بن الافطس صاحب بطليوس للأستيلاء على مدينة باجة،فارسل قواته بقيادة ولده اسماعيل وبمعاونة صاحب قرمونة محمد بن عبدالله البرزالي وتمكنوا من ضم المدينة الى ملكه وأسر ولد ابن الافطس [1] ومن دهائه السياسي ادعاؤه بانه عثر على الخليفة المشؤوم هشام المؤيد ودعوته لأمراء الطوائف الى مبايعته وتعيين ابنه اسماعيل حاجبا له، فتفاقم الامر مع يحيى بن حمود، وفي خدعة عسكرية تخلص منه وقتله وحز راسه وارسله الى اشبيلية[2] وكانت علاقته مع باديس بن حبوس سيئة، فحاول الاخير سنة 427 هـ احتلال اشبيلية بمعاونة جيش من البربر دون جدوى [3] وفي سنة 431هـ حاول القاضي العبث باطراف قرطبة نتيجة عدول ابي الحزم بن جهور من الاعتراف بالخليفة المزعوم،فتصدى له في اثناء العودة باديس بن حبوس و قهر جيشه و قتل قائده اسماعيل ابن القاضي ولي عهده و كان لهذه الحادثة اثرها السيء في نفسه [4] وبعدها بسنتين في جمادي الاول 443 هـ توفي القاضي تاركا لخلفه ابنه ابي القاسم محمد بن عباد الملقب بالمعتضد بالله مملكةصغيرة مستقرة.

اما المعتضد بالله فقد وصفه ابن بسام بقوله((قطب رحى الفتنة، و منتهى غايةالمحنة من رجل لم يثبت له قائم و لا حصيد، ولا سلم عليه قريب وبعيد... افتتح امره بقتل وزير ابيه حبيب... حربه سم لا يبطئ، وسهم لا يخطئ، وسلمه سر غبر مأمون.....))[5].

وكان بطشا لا يعرف الرحمه [6] حادا جبارا في تعامله، سفك دم اخيه عبد الله وقتل ابنه اسماعيل بنفسه بعد فشل مؤامراته عليه [1] ومن شعره يفتخر بسطوته [2]:

---

(1) البيان المغرب 2: 202.

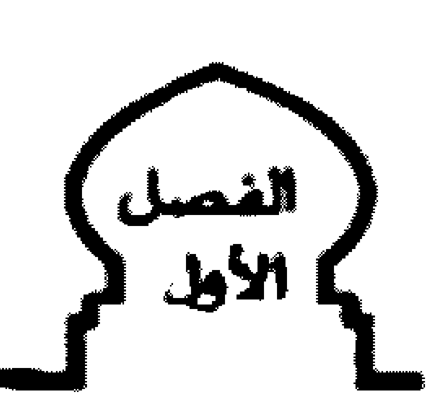
(2) المعجب / 113-114، البيان المغرب 3/ 118، الشعر في ظل بني عباد / 20-21.

(3) البيان المغرب 3/ 191.

(4) الذخيرة 2/ 1: 24، البيان المغرب 3/ 244.

(5) الذخيرة 2/ 1: 24.

(6) الصلة : 2/ 407.



اقــــوم عـــلى الايـــام خـــير مقـــام　　　و اوقـــــــــد في الاعــــــــداء شر ضرام

وكانت له خزانة – أكرم لديه من خزانة جوهره – في جوف قصره اودعها هـام الملـوك الذين ابادهم بسيفه [3] وحديقة في باب قصره تطلـع في كـل وقـت ثمـرا مـن رؤوس اعدائـه يرتاح لمعاينتها والخلق يذعرون من مشاهدتها [4]

وكان يقول [5]: -

حميـت ذمـار المجـد بـالبيض والـسمر　　　وقـــصّرت اعـــمار العـــداة عـــلى قـــصر

ووســعت ســبل الجـود طبعـا وصـنعة　　　لأشـــياءَ في العليـــاء ضـــاق بهـــا صـــدري

فــلا مجــد للأنــسان مــا كــان ضــده　　　يــــشاركه في الــــدهر بــــالنهي والامــــر

وفي الوقت نفسه كان يتغزل ويتألم من الهجر والفراق ويقـضي امـسياته مـع الجـواري والقيان في لهو ومجون قال فيه ابن بسام في هذا الموضوع ((ما ان مشى الى عدو مغلوب....

جرد نهاره لابرام التدبير، واخلص ليله لتملي السرور، فـلا يـزال تـدار عليـه كـؤوس الراح...)) [6] وهو القائل [7]:

إشرب عـــــلى وجـــــه الـــــصباح　　　وانظـــــر الى نَـــــور الأقـــــاح

---

(1) المعجب / 100 – 117، تاريخ ابن خلدون 4/ 157.

(2) الحلة السيراء 2: 44، ديوانه / 107.

(3) الحلة السيراء 2 / 50.

(4) الذخيرة 2/ 1 : 27.

(5) الحلة السيراء 2: 43.

(6) الذخيرة 2/ 1: 30.

(7) النفح4/ 243.

وسياسته كانت مبنية على مبدأ التوسع، فأحتل الامارات الواقعة غربي الاندلس في مدد متفاوتة وهي: لبلة ولبة وجزيرة شلطيش وشنتمرية وشلب والامارات البربرية المحيطة بمملكته، وفي عام 445 هـ دبر مؤامرة لهم بان استدعاهم الى زيارته في اشبيلية لحضور مأدبة فخمة على شرفهم، فلى نداه عدد منهم مع مائتي فارس، فاستقبلهم واحسن اليهم ثم ادخلهم بعد اعتقالهم الى حمام ساخن وغلق الباب عليهم الى ان ماتوا خنقا [1] وبعدها ملك اركش وشذونة ومورون ورندة وقرمونة فضلا عن الجزيرة الخضراء[2] وبين ايدينا في هذه الحوادث قصائد كثيرة منها عند سيطرته على رندة... [3].

لقد حُصلت يا رُندة	فصرت لملكنا عقده
سأفني مدة الاعدا	ءان طالت بي المدة
وتبلى بي ضلالتُهم	ليزداد الهوى جده
فكم من عدة قتلتُ	منهم بعدها عده
نظمت رؤوسهم عقدا	فحلت لبة السُّدُه

ومن شدة اعجابه بهذه المقطوعة حمل الناس على حفظها، وله حينما حاول ابنه المعتمد الاستيلاء على مالقة في نطاق عدائه لملك غرناطة الذي اتهمه بتقريبه لليهود قصيدة يقول فيها [4]:-

يهنى اهل مالقة انتصارى	واعزازي لهم بعد الهوان

(1) البيان المغرب/ 3: 595.

(2) اشبيلية في القرن الخامس / 126 – 130، دول الطوائف / 39 – 48.

(3) الذخيرة 2/ 1 : 32.

(4) ديوان المعتضد / 115.

مختتما قوله:

مــــذ اقتربـــت ببربــــرهم يهــــود　　　ابــــاح حــــسامهم حــــسن القــــران

ومن الوقائع الكبيرة التي جرت بعهده، انتصاره بقيادة ولده اسماعيل على جيش ابن الافطس وخليفة امير قرمونة، وسجل ابن زيدون هذه الواقعة في قصيدة له في المعتضد وابنه اسماعيل منها [1]: -

لـيهن الهـدى انجـاح سـعيك في العـدا　　　وأن راح صـنع الله نحـوك واغتـدى

دعـوت فقـال النـصر: لبيـك مـاثلا　　　ولم تـك كالـداعي يجاوبـه الـصدى

ولم ينج احد من جيرانه منه وكان يحسبهم اعداء، لايستـريح الابمحاربتهم [2]:-

بـيض الهنـد الاسـل الحـداد　　　ارجـي أن يـتمم لي مـرادي

فبغنـى بغيتـي واريـح نفـسي　　　وتحمـد حـالتي في كـل نـاد

فبغنـي الـدهر في قتـل الأعـادي　　　وحـسم رقـابهم في كـل واد

فذاك الغرض والرحمن عنـــدي　　　كمثـل الغـرض مـن حـال الجـهاد

وعلى الرغم من شدته على ابناء جلدته فانه في عام 455 هـ وبعد غـزو فرنانـدوا الاول ملك قشتالة وليون لأراضي بطليوس واشبيلية، قبل بدفع الجزية – الاتاوة –له وصار بنفسه إلى معسكر ملك قشالة وقدم تعهداته ورضخ لمطالبه [3].

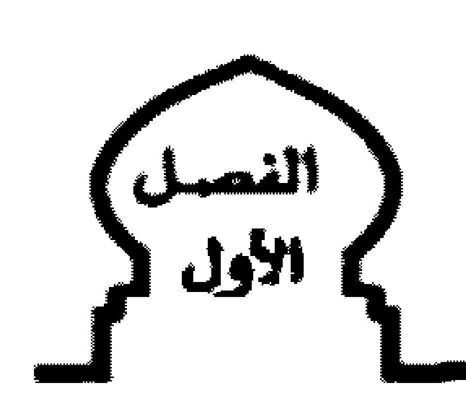
وفي عام 461 هـ توفي بسبب اجهاد تعرض له، قال ابن الأبار في سبب موته (والعجيب في ذلك ان هذا الجبار يؤثرفيه موت طفلة، فيحزنه ويؤلمه ويؤدي به الى الموت) [1]

---

(1) ديوان ابن زيدون / 467.

(2) ديوان المعتضد / 110.

(3) اشبيلية في القرن الخامس/ 131.



في حين ذهبت روايات اخرى الى انه توفي بسبب ثياب ارسلها اليه ملك الروم [2] وفي موته قال وزيره ابو الوليد ابن زيدون فرحا لانه كان غير مأمون على حياته:

لقد سرني أن النعي موكل بطاغية قد حُم منه حِمام

تجانب صوب الغيث عن ذلك الصيدا ومر عليه المزن وهو جَهام [3]

وتولى بعده ابنه محمد بن عباد الملقب بالمعتمد على الله وهو في الثلاثين من عمره وكان ((من الملوك الفضلاء والشجعان العقلاء والاجواد الاسخياء... مخالفا لابيه في القهر والسفك والاخذ بادنى سعايه... الا انه كان مولعا بالخمر منغمسا في الملذات، عاكفا على البطالة، مخلدا الى الراحة، فكان ذلك سبب عطبه واصل هلاكه)) [4] وقد وصفه ابن الخطيب بالشجاعة وحسن السيرة والرفق بالرعية [5] واستمر على سياسة ابيه في التوسع على حساب الممالك المحيطة به والتوجس من البربر لغرض القضاء على سلطانهم [6] وكانت زوجته اعتماد الرميكية تحتل مكانة بارزة في حياته و في بلاط اشبيلية تزوجها عن اعجاب بها وجاء في النفح ان المعتمد كان يتنزه على نهر اشبيلية مع وزيره ابن عمار وهما يتبادلان الشعر، و كانت الريح قد جعلت النهر اشبه بالزرد، فنظم المعتمد قوله:-

صنع الريح من الماء زرد

و طلب من صاحبه ان يكملها، فعجز، وكانت ترقبها فتاة حسناء ممن يغسلن ثيابهن في الماء، فردت على الفور:

أي درع لقتال لو جمد

---

(1) الحلة السيراء/ 2/ 46.

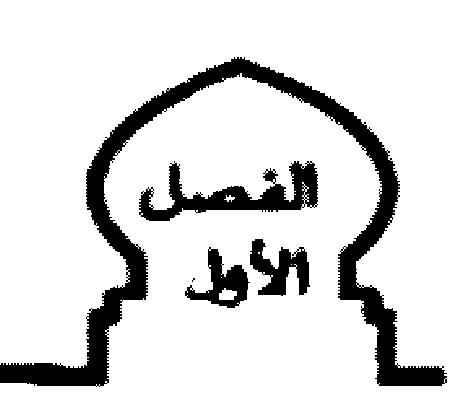
(2) ديوان ابن زيدون/ 286، الحلة السيراء/ 2:54 -55.

(3) المعجب / 157.

(4) الحلة السيراء 2: 54-55.

(5) أعمال الأعلام/ 157.

(6) المعتمد بن عباد وشعراء عصره/ 30 - 31.



فدهش المعتمد واعجب ببراعتها وحسنها، واستدعاها الى قصرها بعد ان علم منها بانها ليس لها زوج وتزوجها[1] وقيل هي التي حرضت زوجها على قتل صديقه ابن عمار الشاعر[2].

واشتهر في ميدان الادب والشعر ومجالس اللهو والطرب، ودخل موضع اهتمام الناس من خلال قصائده التي قالهابعد زوال مكله و كلها الم و حسرة، وله قصائدفي الغزل و الخمر و اللهو منها ما قاله عندما ناولته بعض نسائه كاس بلور مترعا خمرا ولمع البرق فارتاعت فقال[3]:

ريعت من البرق وفي كفها ... برق من القهوة لماع

ياليت شعري وهي شمس الضحى ... كيف من الانوار ترتاع

وقوله[4]:

قامت لتحجب ضوء الشمس قامتها ... عن ناظري حجبت عن ناظر الغير

علما لعمرك منها،أنها قمر ... هل تحجب الشمسَ الا صفحة القمر

اما في مجال التوسع و الحروب فابتدأ حكمه بالاستيلاءعلى قرطبة و القضاء على دولة بني جهور كما فصلنا الحديث عنها سابقا و تمكن من الاستيلاء على مرسية و تعرض لمملكة غرناطة،واحتل اهم قواعدها- جيان – كما احتل معظم اراضي مملكة طليطلة الجنوبية[5] وفي حروبه يقول ابو بحر يوسف بن عبد الصمد[6]:-

---

(1) النفح 4/ 211.

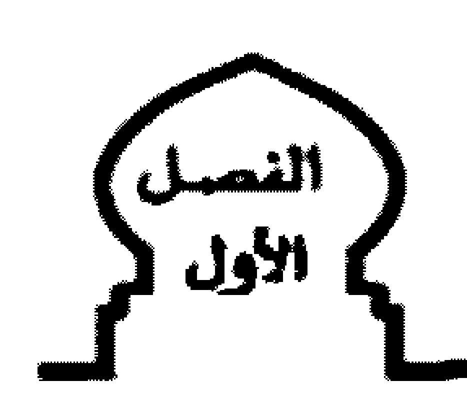
(2) القلائد / 83، المطلوب / 169، المغرب/ 1: 389، النفح 4: 212.

(3) الذخيرة 2/ 1: 44، ديوانه: 21.

(4) الذخيرة 2/ 1: 45، ديوانه: 15.

(5) ينظر المعتمد بن عباد وشعراء عصره / 30- 31.

(6) المغرب 2/ 204.



خـــضعت لعزتـــك الملـــوك الـــصَّيَد   و عنـــت لـــك الابطـــال وهـــي أســـود

فـــــاطعن ولـــــو ان الثريـــــا ثغـــــرة   واضرب ولـــــو ان الـــــسماك وريـــــد

وافـــتح ولـــوان الـــسماء معاقـــل   واهـــزم ولـــو ان النجـــوم جنـــود

وكان بلاطه مجلسا للشعراء و الادباء يقفون بين يديه يمدحونه ويمجـدون انتـصاراته، منهم ابن اللبانة الذي مدحه بعد استيلائه على لورقة بقصيدة مطلعها [1]:-

تخللـــت حتـــى غابـــة الاســـد الـــورد   وانزلـــت حتـــى ســـاكن الابلـــق الفـــرد

وجـــردت دون الـــدين ســـيفك فـــانثنى   مـــن النـــصر في حـــلي مـــن الـــدم في غمـــد

وتسابق مع امير غرناطة عبدالله بـن بلقـين في التحـالف مـع الفونـسو الـسادس امـير قشتالة، وتقديم تنازلات على حساب المسلمين، فبعد اتفاق امير غرناطة مع النصارى، ارسـل وزيره ابن عمار الشاعر و عقد معه حلفا لاحتلال غرناطة مقابل جزية سـنوية قـدرها خمـسون الف دينار ذهبا و تسليم ذخائر القلعة الحمراء لهم و الزام جانب الحياد امام اطماعه و خططه في ضم اراضي المسلمين[2] واتفق مع امـير برشـلونة- رامـون بـرنجير الـشاني –عـلى معاونتـه في احتلال مرسية مقابل جزية مقدارها عشرة الاف مثقال ذهب [3] وهون الشاعر ابن اللبانة دفع هذه الأتاوات قائلا [4]:-

في نـــصرةالدين لا اعـــدمت نـــصرته   تلقـــى النـــصارى بـــما تلقـــى فتنخـــدع

تنـــيلهم، نعـــما في طيهـــا نقـــم   سيستـــضربها مـــن كـــان ينتفـــع

---

(1) شعر ابن اللبانة/ 35.

(2) التبيان – مذكرات الامير عبد الله / 143. ، دول الطوائف/ 63.

(3) القلائد/ 58 المعجب / 131، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية/ 73.

(4) شعر ابن اللبانة/ 63.

فلم يتمالك ابن بسام نفسه عند نقله هذه الابيات فقال:((هذا مدح غرور و شاهد زور، ملق معتف سائل، و خديعة طالب نائل، وهيهات !! بل حلت الفاقرة بعدُ بجماعتهم حين ايقن النصارى بضعف المنن و قويت اطماعهم بافتتاح المدن....))[1].

وفي الوقت الذي كان فيه ملوك الطوائف منشغلين بخلافاتهم الجانبية كان الفونسو يزداد جبروتا و يجول الجزيرة من اقصاها الى اقصاها دون رادع، فيحتل حصونا و مدائنا ويفرض شروطا ويتدخل في شؤونهم الداخليه، والملوك في غفلة ولهو كما وصفهم.

ابو الحسين بن الجد [2]:

ارى الملوك اصابتهم بأندلس	دوائر السوء لاتبقي ولانذر
قاموا واسرى لهم تحت الدجى قدر	هوى بأنجمهم خسفا، وما شعروا
وكيف يشعر من في كفه قدح	يحدو به مُلهياه الناي والوتر

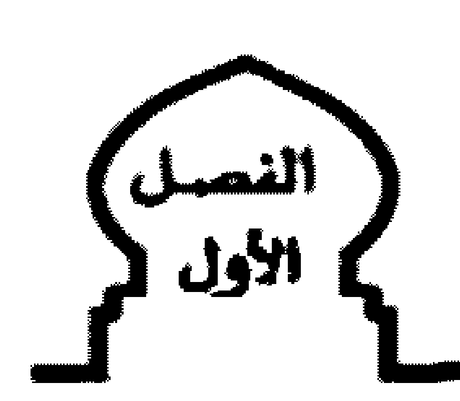
وفي سنة 475هـ ارسل الفونسو سفارته برئاسة ابن شاليب اليهودي مع عدد من فرسان قشتالة الى المعتمد بن عبادلاستلام الاموال منه والسماح لزوجته ان تلد في مسجد قرطبة الجامع بناء على مشورة القساوسة، وان تنزل في مدينة الزهراء[3] فارسل له المعتمد الاموال المطلوبة فرفضها السفير اليهودي بحجة عدم نقاوتها وهدد باحتلال المدن والحصون وتجاوز الاحترام فغضب المعتمد وامر بقتله وسجن الفرسان المصاحبين[4] له فحشد الفونسو جيشا ضخما وتوغل داخل اراضي المسلمين الى ان وصل مضيق جبل طارق وهو ينشر الرعب والقتل والخراب في كل مكان وملوك الطوائف يتوددون اليه بتقديم العطايا والهدايا عدا

(1) الذخيرة 2/ 1:248.

(2) البيان المغرب/ 3: 110.

(3) الروض العطار/ 85، اعمال الاعلام / 244.

(4) الكامل 10: 142، النفح 4/ 356.



المعتمد ابن عباد الذي اكتفى فقط بالدفاع عن مدنه الحصينه[1] وبعد سقوط مملكة طليطلة حاضرة بني ذي النون في يد الافرنج سنة 478 هـ ادرك ملوك الطوائف نوايا الفرنسو ومصيرهم المحتوم والخطأ الذي وقع فيه بالتحالف معه، فاستغاث المعتمد ومعه عدد من الملوك وكبار اعيان الاندلس بالمرابطين في شمال افريقيا وعارضه في ذلك عدد من الملوك وكبار اعيان الاندلس، وعارضه ذلك من الامراء خوفا على عروشهم وقالوا له (الملك عقيم والسيفان لا يجتمعان في غمد واحد) فاجابهم عبارته المشهورة (لرعي الجمال خير من رعي الخنازير)[2] وجاز البحر الى يوسف بن تاشفين امير المرابطين وفي ذلك قال عبد الجليل بن وهبون قصيدته منها[3]:.

ركبت في الله حتى البحر حين طما ... اَذيهُ وبسوط الريح ينحصر

فاستجاب لهم يوسف بن تاشفين بجيش ضخم وعبر الى الاندلس عبر الجزيرة الخضراء، وقال في ذلك وابن وهبون[4]:

فثار الى الطعان حليف صدق ... تثور به الحفيظة والذمام

فلما سمع الفونسو السادس اعلن النفير العام في بلاده واستعان بالممالك النصرانية الاخرى، والتقى الجيشان في منطقة – الزلاقة – قرب بطليوس عام 479هـ فدارت معركة شديدة ابلى فيها المعتمد بلاءحسنا ولا سيما بعد ان تاخر عنه جيش المرابطين في بداية المعركة واثخن بجراحات عدة، وعقر تحته ثلاثة افراس وجرح الفونسو في احدى ركبتيه، وهرب مع خمس مئة من فرسانه فقط وأبيد ت البقية بين قتل واسر، وعمل المسلمون من رؤوسهم مأذن

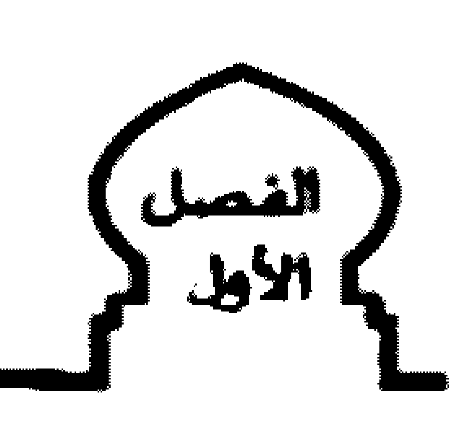
---

(1) البيان المغرب / 3: 311.

(2) نفسه 4: 132–133.

(3) الذخيرة 2/ 1: 504.

(4) نفسه 2/ 1: 245.



يؤذنون عليها[1] ولم يتمالك الشعراء انفسهم . امام هذه المعركة التي نقلتهم من واقع الى واقع اخر وان لم تكن حاسمة، فابو عبدالله بن عبادة ابن القزاز كتب قصيدة في صفة ذلك اليوم مشيدا بشجاعة المعتمد قائلا[2]:

وقـــالوا كفـــه جرحـــت فقلنـــا أعاديـــــه تواقعهـــــا الجــــراحُ

ومـــا أثـــر الجراحـــة مـــا رأيـــتم فترهبهـــا المناصـــل،والرمـــاح

ولكـــن فـــاض ســـيل البـــاس منهـــا ففيهـــا مـــن مجاريـــه انـــسياج

وقـــد صـــحت وســـحت بالامـــاني وفـــاض الجـــود منهـــا والـــسماخ

راى منـــه ابـــو يعقـــوب فيهـــا عُقابـــا لايهـــاض لهـــا جنـــاح

فقـــال لـــه لـــك القـــداح المعـــلى اذا ضُربـــت بمـــشهدك القـــداح

ولعبد الجليل بن وهبون قصيدة في وصف هذه المعركة تبدو كلوحة متكاملة مفصلة من دعوة يوسف بن ياشفين الى انتصاره وماحل بجيش الافرنج من فناء وتشريد منها [3]:

انـــامَ رجالـــك الاشـــقون؟كلا وهـــل يحلـــو بـــلا راس منـــامُ

رفعنـــا هـــامهم مـــن كـــل جِـــذع كـــما ارتفعـــت عـــلى الايـــك الحَـــمامُ

ســـيعبد بعـــدها الظلـــماء لَمـــا اتـــيح لـــه بجانبهـــا اكتتـــام

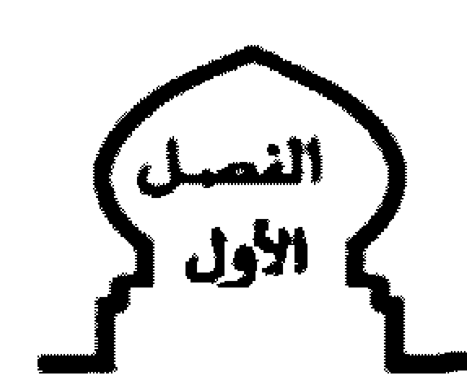
ولا ينفعـــك كالخفـــاش يُغـــضي اذا مـــالم يبـــاشره الظـــلام

---

(1) القلائد / 13 ، وفيات الاعيان 4/ 112، النفح 4: 362-368.

(2) الذخيرة 2/ 1: 245.

(3) القلائد / 113 – الذخيرة 2/ 1: 247.



ونظرا لوفاة ابنه وولي عهده عاد يوسف بن تاشفين الى المغرب ولم يتقدموا شمالا لتحرير طليطلة او طرد الافرنج من المناطق الشمالية وكانت الغنائم كبيرة، وبعد عبوره الثاني عام 481هـ وعدم تحقيقه مكاسب عسكريةفي حصار ليط، اختلفت النوايا بين يوسف بن تاشفين والاندلسيين ولاسيما المعتمد بن عباد،وكان لابي الحسن بن ابي حفص عمر بن حسن الهوزني سعي في فساد العلاقة بين امير المسلمين والمعتمد اخذا بثار ابيه الذي قتله المعتضد بيده ودفنه في قصره بملابسه من غيره صلاة ولا غسل[1] . واسباب ارى منها التحالفات السرية التي قام بها عدد من الملوك مع الافرنج لرد المرابطين بعد ان تبيت لهم نية يوسف بن تاشفين بالقضاءعلى دويلاتهم مستندا على فتاوى الفقهاءودعوات اهل الاندلس انفسهم في التخلص من هذه الدويلات[2] .

وجاء في النفح ((لما جاء امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى ناحية غرناطة بعدما حصر بعض حصون الافرنج فلم يقدر عليه، فخرج الى لقائه صاحب غرناطة عبد الله بن بلقين، فسلم عليه ثم عاد الى بلده ليخرج له التقادم، فغدر به، ودخل البلد، واخرج عبدالله، ودخل قصره، فوجد فيه من الذخائروالاموال ما لا يعد ولا يحصى، ثم رجع الى مراكش وقد اعجبه حسن بلاد الاندلس وبهجتها وما بها من المباني والبساتين والمطاعم.... فجعل خواص يوسف يعظمون عنده ويحسنون لها اخذها ويوغرون قلبه على المعتمد باشياء نقلوه عنه، فتغير على المعتمد وقصد مشارفة الاندلس)[3] ما كانت سنة 484هـ حتى كانت الجيوش المرابطية بقيادة سير بن ابي بكر تشرف على الاندلس وتجتاح عددا من دويلات الطوائف،تاركا مملكة بني عباد الى الصولة الاخيرة في تلك السنة، فحاصر قرطبة اشهرا وضيق عليها وكان صاحبها انذاك المامون بن المعتمد وقد دافع عنها الا ان المهاجمين تمكنوا من اقتحام سورها والدخول عليه و قطع راسه وترك جسده على الارض ومن ثم تحولوا الى رُندة وعليها الراضي بن المعتمد

---

(1) الذخيرة 2/ 1: 81، الصلة: 137.

(2) الانيس المطرب 2: 66 وفيات الاعيان 4: 112، النفح 4: 370-373.

(3) النفح 4: 373.

فاستبسل ولم يتمكنوا من احتلالها الا تحت رجاء والديه بعد اسرهما مقابل عهد من الله فلما وصلوا اليه قتلوه وقال في ذلك المعتمد[1].

ونجـــان زيــن للزمـــان احتواهمــا	بقرطبـــة النكـــداء او رنــــدة القــــبرُ
غـــدرت اذا ان ضـــن جفنـــي بقطـــره	وان لؤمـــت نفـــسي فـــصاحبها الـــصبر
فقـــل للنجـــوم الزهـــر تبكيهـــا معـــي	لمـــثلهما فلتحـــزن الانجـــم الزهـــر

وفي رجب عام 484هـ دخل المرابطون اشبيلية فوقع فيها النهب وخرج ابن عباد وابنه مالك فقتل مالك بين يديه، فاغمد سيفه وانصرف الى القصر، فأخرج مكبولا[2] وقد وصف ابن بسام اشبيلية قائلا:(الناس بحضرة اشبيلية قد استولى عليهم الفزع، وخامرهم الجزع، يقطعون سبلها سياحة، ويخصون نهرها سباحة، ويترامون من شرفات الاسوار، ويتولجون مجابي الأنذار، حرصا على الحياة، وحذرا من الوفاة)[3] اما ابن اللبانة فقد كان اكثر فزعا في وصفه المدينة قائلا (.... وخرج الناس من منازلهم يسترون عوراتهم بانامله، وكشفت وجوه المخدرات العذاري، ورايت الناس سكارى وما هم بسكارى)[4].

وقد وصف المعتمد حصار اشبيلية وسقوطها قائلا[5]:

لمـــا تماســـكت الـــدموع	وتنبـــه القلـــب الـــصديع
قـــالوا الخـــضوع: سياســـة	فليبـــد منـــك لهـــم خـــضوع

---

(1) القلائد / 20، ديوان المعتمد -69.

(2) القلائد / 19 ، وفيات الاعيان 4/ 121، اعمال الاعلام/ 163 -164.

(3) الذخيرة 2/ 1: 56.

(4) النفح: 4/ 216.

(5) الذخيرة 2/ 1: 53 ، الحلة السيراء 2: 65، القلائد / 22، المعتمد بن عباد وشعراء عصره / 44، ديوانه: 88-89.

والـــذ مـــن طعـــم الخـــضو ع عـــلى فمـــي الـــسم النقيـــع

قـــد رمـــت يـــوم نـــزالهم ألا تحـــصنني الـــدروع

وبـــرزت لـــيس ســـوى القمـــي ص عـــلى الحـــشا شـــيء دفـــوع

أجـــلي تـــاخر ولم يكـــن بهـــواي ذلي والخـــضوع

مـــا سرت قـــط الى القتـــا ل مـــن امـــلي الرجـــوع

ثم جمع هو واهله وحملتهم السفن على النهر اشبيلية (والناس قد حشروا بضفتي الوادي وبكوا بدموع كالفوادي، فساروا والنَّوح يحدوهم والبوح باللوعة لايعودهم)[1] وفي ذلك يقول ابن اللبانة قصيدة طويلة مطلعها[2]:

تبكـي الـسماء بمـزن رائـح غـاد عـلى البهاليـل مـن ابنـاء عبـاد

عـلى الجبـال التـي هـدت قواعـدها وكانـت الارض مـنهم ذات اوتـاد

ونفي المعتمد واسرته الى اغمات، حيث سجن في قلعتها، وضيق عليه اشد التضييق بعد ان ثار والداه الجبار ب اركش والمعتد ب مارتله [3].

وفي اول عيد وهو في اسره دخل عليه بنوه للسلام عليه وتهنئته وفيهم بناته اقدامهن حافيات وملابسهن رثة وكن يغزلن للناس لتحصيل قوتهن فقال[4]:

تـرى بناتـك في الاطـمار جائعـة يغـزلن للنـاس مـا يملكـن قطمـيرا

---

(1) القلائد/ 23، النفح 4/ 14.

(2) القلائد / 23، النفح 2: 452، شعر ابن اللبانة: 39.

(3) وفيات الاعيان 4/ 121.

(4) القلائد / 25 – الذخيرة 2/ 1: 72، ديوانه / 101–102.

بـــرزن نحـــوك للتـــسليم خاشـــعة ابـــصارهن حـــسيرات مكاســـيرا

يطـــأن في الطـــين والاقـــدام حافيـــة كانهـــا لم تطـــأ مـــسكا وكـــافورا

ومن شدة قيده قال [1]:

قيـــدي: امـــا تعلمنـــي مـــسلما أبيـــت أن تـــشفق او ترحمـــا

دمـــي شراب لـــك واللحـــم قـــد اكلتـــه لاتهـــشم الأعظـــما

وله مرثيات حزينه بعد ان شهد مقتل خمسة من اولاده بيد المرابطين، فقال قصيدة رثاء في ولديه المامون والراضي منها [2]:

معـــي الاخـــوات الهالكـــات علـــيكما وامكـــما الـــثكلي المـــضرمة الـــصدر

فتبكـــي بـــدمع لـــيس للقطـــر مثلـــه وتزجرهـــا التقـــوى فتـــصغي الى الزجـــر

وقيل فيه بعد خلعه قصائد كثيرة تدل على الوفاء وقمة الصدق الفني من رجل لم يبق لديه ما يقدمه وهو اسيل مكبر بالحديد، منها قصيدة لابن اللبانة من ابياتها [3]:-

وكنـــا رعينـــا العـــز حـــول حمـــاهم فقـــد اجـــدب المرعـــى وقـــد اقفـــر الحمـــى

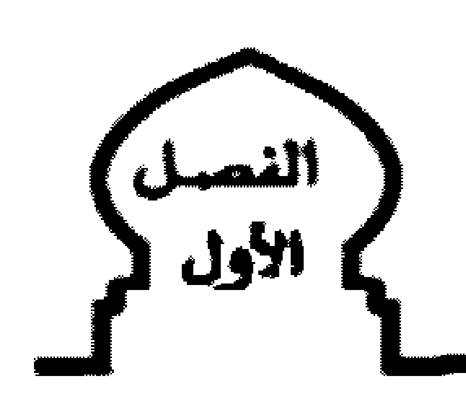
كـــأن لم يكـــن فيـــه انـــيس ولا التقـــى بـــه الوفـــد جمعـــا والخمـــيس عرمرمـــا

---

(1) الذخيرة 2/ 1: 73 المعتمد بن عباد وشعراء عصره / 47 ديوانه/ 112.

(2) ديوانه/ 107.

(3) الذخيرة 2/ 1: 78.



وتوفي في الاسر باغمات سنة 488هـ ودفن بجانب زوجته اعتماد الرميكية بعد ان نـودي في جنازته بالصلاة على الغريب وجاء في المصادر انه لما احس بدنو اجلـه أوصى ان تثبت عـلى قبره ابيات اولها [1]:

قـبر الغريـب سـقاك الـرائح الغـادي حقـا ظفـرت بأشـلاء ابـن عبـاد

ويعد وفاته بايام قليلة حضر الى اغمات من شعرائه ابو بحر بن عبد الصمد، فـذهب الى قبره يوم العيد وخر امامه وغمره بقبلاته وبلله بدموعه وانشد قصيدته المشهورة التي مطلعها:

ملـك الملـوك أسـامع فأنـادي أم قـد عـدتك عـن السـماع عـواد

لمـا خلـت منـك القـصور ولم تكـن فيهـا كـما قـد كنـت في الاعيـاد

اقبلـت في هـذا الثـرى لـك خاضـعا وتخـذت قـبرك موضـع الانـشاد

قـد كنـت احـسب ان تبـدد ادمعـي نـيران حـزن اضرمـت بفـوادي

فـاذا بـدمعي كلـما اجريتـه زادت عـلى حـرارة الاكبـاد

فبكى الناس لسماعه احر بكاء، وهم يطوفون بالقبر طوف الحجيج وكان منظرا يفتـت الاكباد [2] واصبح قبره مزارا يحج اليه الوافدون منهم ابن الخطيب سـنة 761 هــ وقـد انـشد على قبره ابياتا شعرية [3] وكذلك المقري التلمساني سنة 1010 هـ الذي وقـف امامـه خاشـعا وتـذكر ايامه [4].

وتعجب المؤرخون من قسوة يوسف بن تاشفين في تعامله معه، منهم ابن الاثير الذي لم يكن اقل قسوة منه في الكلام (وفعل امير المسلمين بهم فعالا لم يسلكها احد من قبله ولايفعلها

(1) الذخيرة 2/ 1: 57. الحلة السيراء 2/ 66، ديوانه –96.

(2) الذخيرة2/ 1: 58، القلائد / 30–31، أعمال الاعلام 165 –170، النفح 5/ 389.

(3) أعمال الاعلام: 164 –165.

(4) النفح 2/ 458 –459.

ممن ياتي بعده الا من رضي لنفسه بهذه الرذيلة.... وابان امير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفسه ولؤم قدره)[1] ومالنا الا ان نكرر قوله رحمه الله [2] :

الملك لايبقى على احد والموت لايبقى له احد

مملكة سرقسطة

تعد هذه الدويلة من اكبر الدويلات القائمة في عهد ملوك الطوائف واقدمها وكانت تحد ثلاث ممالك نصرانية هي قطلونية ونافار وقشتالة، وعاصمتها سرقسطة التي وصفها ابن السعيد بقوله (مدينة بيضاء، احدقت بها من بساتينها زمردة خضراء والتفت عليها انهارها الاربعة)[3] وفيها يقول عبدالله بن هود بعد ان أخرج منها [4]:

إن بنت عن سرقسطة فبرغم أنفي لا اختياري

ما جال طرفي في السما ء وقد نأت عنها دياري

إلا دخلت قصورها برياضها هذي الدراري

وقول ابي عامر بن الاصيلي وهو يتذكرها [5]:

على سرقسطة ابكي دما وامواهها العذبة المحييه

وقوم كرام فوا حسرة على الجمع منهم او التثنيه

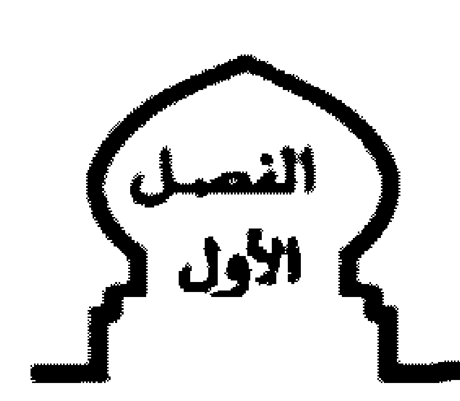
(1) الكامل / 10 : 65.

(2) الذخيرة 2/ 1: 56 ، ديوانه / 87.

(3) المغرب 2/ 434.

(4) نفسه 2/ 435.

(5) الذخيرة 3/ 2 : 857.



تولى الحكم فيها يحيى بن عبد الرحمن التجيبي سنة370هـ باقرار من المنصور بن ابي عامر، وظل حاكما عليها يدافع عنها ويوطد سلطانه الى ان توفي سنة 408هـ و جاء بعده ابنه المنذر بن يحيى التجيبي فحكم سرقسطة واعمالها وتلقب بالمنصور[1] واشتهر ابن دراج القسطلي بمدحه في اكثر من ثلاثين قصيدة منها رائيته التي مطلعها[2]:

بشراك من طول الترحل و السرى   صبح بروح السفر لاح فاسفرا

وعرف بغدره للخليفه عبد الرحمن بن محمد الملقب بالمرتضى في معركة غرناطة بين الاندلسين بقيادة الخليفة و معه المنذر و خيران الصقلبي وبين البربر من صنهاجين بقيادة زاوي بن زيري بن مناد والتي انتهت بمقتل الخليفة وانسحاب المنذر الى سرقسطة مع قائده سليمان بن هود[3] وقد وصفه ابن حيان فقال (... كان فارسا لبق الفروسية...سخيا كريما خارجا عن حد الجهل يتمسك بطرف من الكتابة الساذجة واما غدره فالنار براس اليفاع.. فحسنت ايامه و هتف المداح بذكره... وكان مع سموه للمعالي من الايثار لشهواته... فاتخذ الجواري الحسان و ملاح الغلمان... و قد ساس عظماء الافرانج و هاداهم حوطا للثغر واهله...)[4] وكانت علاقته مع ملوك النصاري وديه الى درجة عقد في قصره بين ابن فرذلند ملك قشتالة وبنت ملك برشلونة رامون الثالث، وقد نقل لنا ابن دراج في قصيدة يمدح المنذر بهذه المناسبة و يشيد بحلمه وسياسته في فرض نفوذه على الدولتين وتعميم السلام[5]:

فعقدت في عنق الظلال مواثقا   دانت بها الرهبان و الاحبار

و قصيدة اخرى طويلة في (111) بيتا عندما التقى العروسان في موكب ضخم مطلعها:-

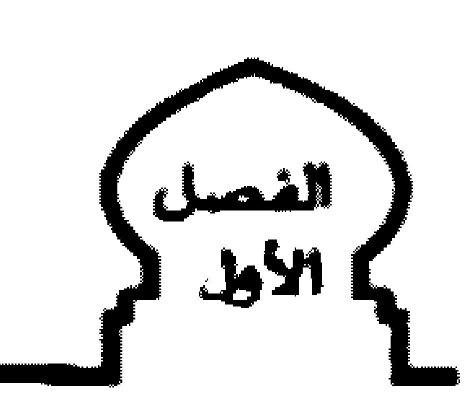
(1) الثغر الاعلى الاندلسي / 39، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس / 236.

(2) ديوانه / 102-107.

(3) الذخيرة 2/ 1: 453 – 456.

(4) نفسه 1/ 1 : 180 – 182.

(5) ديوانه / 128.



لعل سنا البرق الذي انا شائم　　يهيم من الدنيا بمن انا هائم[1]

و توفي عام 414هـ وتولى بعده ابنه يحيى وتلقب بالمظفر وفي عهده توترت علاقته مع مملكة برشلونة المجاورة و اغار صاحبها على بعض اطراف المملكة و احتل عددا من القلاع المهمة[2] فتصدى له يحيى وفي ذلك يقول الشاعر ابو زيد عبد الرحمن بن مقانا الاشبوني[3]:-

اذا سار يحيى الى غارة　　فويل لاعدائه أينما

بجيشين: جيش يهد الربى　　وجيش يظلله في الهوا

وبوفاته سنة 420 هـ تولى بعده المنذر بن يحيى ـ الثاني او الاصغر ـ الذي قتل بعد عشر سنوات من حكمه على يد ابن عم له متهور كثير الحسد عليه اذ دخل عليه في قصره عن غفلة وفتك به[4] وحدثت الفتنة (ونهب العوام قصر سرقسطة... حتى قلعوا مرمه وطمسوا أثره... لولا تعجيل ابن هود بتملك البلد إثر ذلك في المحرم سنة احدى وثلاثين واربعمائه)[5] فتملك المملكة سليمان بن هود الجذامي صاحب لاردة وتطيلة والذي كان من كبار الجند على الثغر الاعلى منذ اواخر الدولة العامرية وشارك مع المنذر الاول في الانتظام في جيش الخليفة الملقب بالمرتضى وتولي عنه[6]. فاسس مملكة بني هود وتلقب بالمستعين بالله، ولابن دراج قصيدة في مدحه عندما كان على لاردة[7]:

---

(1) ديوان ابن دراج / 130 – 137.

(2) البيان المغرب 3/ 117.

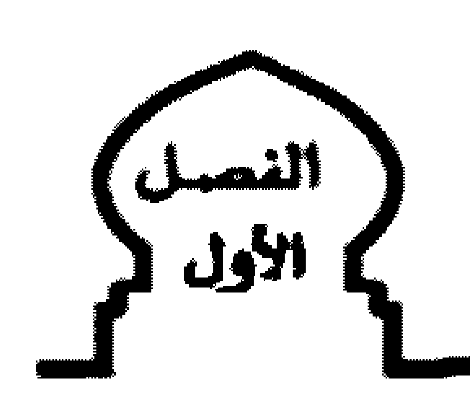
(3) الذخيرة 2/ 2 : 790.

(4) المغرب 2: 436.

(5) الذخيرة 1/ 1: 188.

(6) الحلة السيراء: 224/ المغرب 2: 436، البيان المغرب: 3: 221 – 222 ، اعمال الاعلام : 170 – 171.

(7) ديوان ابن دراج / 206 – 208.



الـــشمس شـــاهدة وإن تـــك واحــــدة   فـــــشهادة الإقــــرار أعــــدل شـــاهده

وتميزت سنوات حكمه بالصراع المرير والحروب الدامية مع امارة طليطلة و حاكمها المامون بن ذي النون حيث تحالف كل منهما مع طرف من حكام الممالك الاسبانية لقاء اموال طائلة لتخريب مزروعات الطرف الاخر(1) وكان حكمه وبالا على الدولتين و نموذجا صارخا للحروب و المنافسات بين ملوك الطوائف(2) ومن سوء عمله تقسيمه البلاد في حياته بين ابنائه الخمسة، فبعد وفاته سنة 438هـ استقل كل واحد منهم في مدينته و بدا النزاع بينهم الى ان تمكن احمد بن سليمان الملقب بالمقتدر من اخوته بالوعيد والحيل، فسجنهم وسمل اعينهم الا اخاه يوسف صاحب لاردة الملقب بحسام الدولة. فجرت بينهما حروب طاحنة و عمليات تنكيل و تحالفات مع الممالك النصرانية مقابل تنازلات كبيرة(3).

و جاء عنه في المسهب نقلا عن ابن سعيد (... ذو الغزوات المشهورة و الوقائع المذكورة من رجل كان يعاقب بين حث الكؤوس وقطف الرؤوس وقد ملك مملكة دانية و اخرج منها اقبال الدولة بن مجاهد العامري و نسب له الحجاري قوله(4):

لـــست لـــدى خـــالقي وجيهـــا   هـــذا مـــدى دهـــري اعتقـــادي

لـــو كنـــت وجهـــا لمـــا براني   فـــي عـــالـــم الكـــون والفـــساد

و في استيلائه على مدينة دانية انشد ابو الحسن الحصري القيرواني (ت 488هـ) قصيدة مطلعها(5):

كـــذا تفتـــضي ابكـــار البـــلاد   و لامهـــر ســـوى البـــيض الحـــداد

(1) البيان المغرب 3/ 279 – 282، تاريخ الاندلس ابن كردبوس 3/ 280 – 281.

(2) اعمال الاعلام / 178.

(3) البيان المغرب 3/ 223، تاريخ ابن خلدون 4/ 163.

(4) المغرب 2/ 436 – 437.

(5) الذخيرة 4/ 1: 263.

وكان له ابن عم اسمه ابو محمد عبد الله بن هود، احد نجباء الادباء من بيته، فنفاه عن الثغر الاعلى فقال فيهم[1]:

ظللتم جميعا، آل هود عن الهدى ... وضيعتهم الرأي الموفق أجمعا

وشنتم يمين الملك بي فقطعتم ... بايديكم منها - وبالغدر - إصبعا

وفي عهده سنة 456هـ تعرضت المملكة لهجوم صليبي وحشي من قبائل اسكندنافية من مقاطعة "نور ماند" الفرنسية بمباركة من بابا اسكندر الثاني، وقاموا بحصار مدينة – بربشتر – لمدة اربعين يوما، ولم يبادر المقتدر لانجاد المدينة لانها كانت من اعمال اخيه يوسف، ولم يتمكن يوسف نفسه من انجادها [2] فتعرضت المدينة لمصيرها وفيها حامية صغيرة، ووقع بين اهلها تنازع في القوت والماء لقلتها، فلاذوا بطلب الامان، فغدر بهم وقتلوا جميعا وجاء في الذخيرة ((... فلما خرجوا نكثوا بهم وقتلوا معا... فحصلوا من غنائم بربشتر على مالايقدر حصره كثرة، وزعموا انه صار لاكبر رؤوسائهم

في حصته نحو الف وخمسمائة جارية ابكارا كلهن، ومن اوقار الامتعة من الحلي والكسوة والوطاء خمسمائة حمل، تحدث انه اصيب في هذا القتل والسبي مائة الف نسمة...) وقال ابن حيان (.. كان الافرنج لما استولوا على اهل المدينة يفتضون البكر في حضرة ابيها والثيب بعين زوجها واهلها...) [3].

وكان لهذه الحادثة اثر كبير في نفوس الاندلسين لاحتمال تكرارها في مدن اخرى ولهول ما لحق بسكانها. وقد صور الفقيه ابن العسال هذه الحادثة في قصيدة منها [4].

---

(1) الحلة السيراء 2: 165– 166 ، المغرب 2: 439.

(2) دول الطوائف / 264.

(3) الذخيرة 3/ 1 : 181 – 182، النفح 4/ 449.

(4) الروض المعطار في أخبار الاقطار / 40 – 41.

ولقد رمانا المشركون باسهم　　　لم تخط لكم شأنها الأصماء

هتكوا بخيلهم قصور حريمنا　　　لم يبق لاجبل ولابطحاء

جاسوا خلال ديارهم فلهم بها　　　في كل يوم غارة شعواء

باتت قلوب المسلمين برعبهم　　　فحماتنا في حربهم جبناء

كم موضع غنموه ولم يرحم به　　　طفل ولاشيخ ولاعذراء

ولكم رضيع فرقوا عن أمه　　　فله اليها ضجة وبكاء

ولرب مولد ابوه مجدل　　　فوق التراب وفرشة البيداء

وعزيز قوم صار في ايديهم　　　فعليه بعد العزة استخذاء

وفي سنة 457 هـ تمكن المقتدر بن هود بمعاونة قوة من المعتمد بن عباد استعادة المدينة بعد إبادة حاميتها البالغة الفا وخمسمئة رجل[1] ونتيجة ذلك ساءت علاقاته مع الممالك الاسبانية، فتصدى لبعضها وتحالف مع البعض الاخر ودفع الجزية لبعضهم، حيث تمكن سنة 462 هـ من هزيمة ابن ردمير واستعادة عدد من الحصون وفي ذلك يقول ابوعبدالله بن الحداد قصيدة منها[2]:

وجلى ظلام الكفر منك بغرة　　　هي الشمس والهندي يقدمها الصبح

فهم ذهلوا عن شعرهم وحدوده　　　فقد عطل الانجيل واطرح الفصح

---

1 الذخيرة 3/ 1: 189 – 190 ، النفح 4/ 454.

(2) نفسه ½: 726- 727.

وكان هو وابنه المؤتمن من المتحمسين للعلوم ولا سيما الفلسفة والرياضيات[1] والفلك وكان بلاطه من القصور الفخمة، واشتهر بتقريب العلماء والادباء واضفاء المهابة والروعة على قصره المسمى بقصر الجعفرية – دار السرور – وفيه يقول[2]:

قصر السرور ومجلس الذهب	بكما بلغت نهاية الطرب
لو لم يحز ملكي خلافكما	لكان لدى كفاية الارب

و رغم براعته في السياسة و الثقافة فانه وقع في خطأ والده عندما قسم المملكة بين ولديه، فخص ولده يوسف المؤتمن سرقسطة و اعمالها وولده المنذر بقية المملكة وبعد وفاته سنة 474هـ اندلعت الحروب الدامية بينهما، فتحالف المؤتمن مع السيد قنبيطور (القائد الاسباني) صديق والده القديم الذي اصبح له شان في بلاطه، واستعان اخوه بملك ارغون وامير برشلون[3] وكان المؤتمن يوسف كما وصفه ابن سعيد (.. خير خلف عن ابيه، حاميا لملكه، مجاهدا لعدوه مألفا للادباء و العلماء و الشعراء...)[4]– و قائما على العلوم الرياضية و له فيها تأليف مثل الاستهلال والمناظر[5] وتولى بعده سنة 478هـ ابنه احمد بن المؤتمن الملقب بالمستعين الاصغر في عصر مضطرب بعد سقوط طليطلة، وسار على سياسة والده في دفع ملوك الاسبان بعضهم ببعض عن طريق التحالفات لغرض الدفاع عن مملكته ومحاربة عمه المنذر وفي عام 479هـ تعرضت سرقسطة لحصار من قبل الافرنج و كانت معركة الزلاقة

---

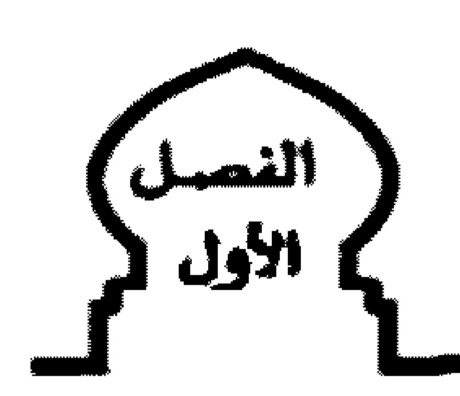
(1) تاريخ ابن خلدون 4/ 163، تاريخ الفكر الاندلسي / 17.

(2) دول الطوائف / 272.

(3) تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس / 239.

(4) المغرب 2/ 437.

(5) البيان المغرب 3: 223، تاريخ ابن خلدون 4: 163.



طوق خلاص لها، ولم يتعرض له يوسف بن تاشفين و ابقاه حاجزا بينه وبين النصارى، واستمر حكمه الى نهاية القرن حيث استشهد سنة 503هـ في حرب مع النصارى [1].

مملكة طليطلة

طليطلة مدينة مهمة تتوسط بلاد الاندلس وكانت عاصمة القوط، وفيها بساتين وانهار ورياض وجنان وفواكة مختلفة الطعوم و الالوان[2] وحنطتها لا تتسوس على طول السنين و منها يصدر الزعفران و الصبغ السماوي [3] و قال بعضهم فيها [4]:

زادت طليطلة على ما حدثوا   بلد عليه نضرةٌ و نعيمُ

الله زينه فوشّح خصره   نهر المجرة والغصون نجومُ

بعد انحلال السلطة المركزية في قرطبة، اجتمع كبار اعيان طليطلة ، انتخبوا مجلسا لادارة المدينة برئاسة ابن يعيش، فلم تستقم له الامور[5] فخلع وصار الى عبد الرحمن بن متيوه الذي خلفه بعد وفاته، ابنه عبد الملك فاساء التصرف و اضطربت الامور فارسل اهل طليطلة الى عبد الرحمن بن ذي النون حاكم شنتبرية لتولي الحكم عندهم فارسل ابنه اسماعيل ليبدا حكم هذه العائلة اعتبارا من سنة 427هـ [6] و تلقب بالظافر وقال فيه ابن حيان (وكان من البخل بالمال و الكلف بالامساك و التقتير في الانفاق بمنزلة لم يكن عليها احد من ملوك عصره، لم يرغب في صنيعة و لا سارع الى حسنة و لا جاد بمعروف و لا عرج عليه اديب و لا شاعر و لا امتدحه ناظم و لا ناثر، و لا استخرج من يده درهم في حق و لا باطل... ومنه

---

(1) المغرب: 2/ 437، اعمال الاعلام: 199، تاريخ ابن خلدون: 4: 163.

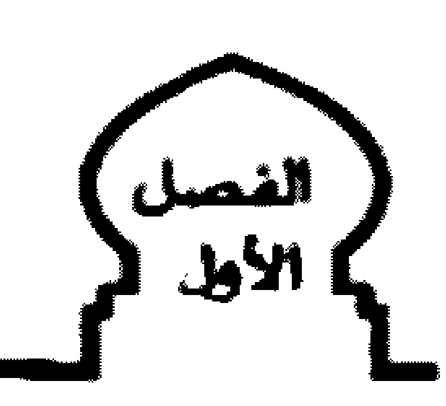
(2) النفح 1/ 162.

(3) نفسه 1/ 143.

(4) نفسه 1/ 170.

(5) الصلة 1/ 689.

(6) دول الطوائف / 96.



تفجر ينبوع الفتن و المحن...)[1] ومن جميل افعاله اعتماده في تدبير مملكته على وزيره ابي بكر بن الحديدي الذي كان يحظى بتأييد اهل المدينة لرجحان عقله و مكانته، فاستقامت له الامور الى ان توفي في سنة 435هـ واعقبه في الحكم ابنه يحيى الملقب بالمامون بعد ان اوصاه بالاعتماد على الوزير السابق مع ثلاثة اخرين[2] و سار على وصية والده واتسعت المملكة في عهده، و وصفه الحجاري صاحب المسهب بقوله(لم يكن فيهم اعظم قدرا و لا اشهر ذكرا منه، ولم يجتمع عند ملك من ملوك الاندلس ما اجتمع عنده من الوزراء و الكتاب الجلة...)[3] لذلك اكثر الشعراء في مدحه، منهم ابو مروان بن غصن الحجاري[4]:

يحيى المليك الذي به حييت ... نفسي و فازت بكل ما اشتهت

لو حسبت في الورى مواهبه ... لم يخل حسابها من الغلت

وابو علي ادريس بن اليماني العبدري[5]

ولكن هذا الزمان استقام ... و لولا ابن ذي النون لم يستقم

فقد سكنت عينُ دهمائه ... كما سكن الفعلُ جزما بلم

وتميز عهده الذي بلغ ثلاثة وثلاثين عاما بالحروب والمنازعات مع جيرانه و لا سيما خصمه اللدود سليمان بن هود الملقب بالمستعين بالله صاحب سرقسطة، و استعانة كل طرف بالنصارى لتخريب اراضي الطرف الاخر مقابل اموال طائلة ومواقع مهمة، فضلا عن محاولته القضاء على مملكة بني جهور واحتلال قرطبة وحروبه الدامية دون طائل مع بني الافطس

---

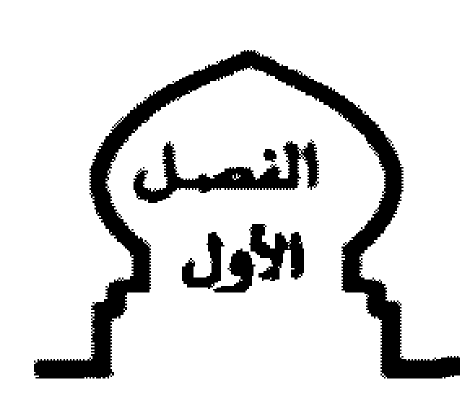
(1) الذخيرة 4/ 1: 143.

(2) الذخيرة 4/ 1ك 145، المغرب 2/ 435، البيان المغرب 3/ 277.

(3) المغرب 2/ 13.

(4) الذخيرة 3/ 1: 333.

(5) نفسه 3/ 1: 342.



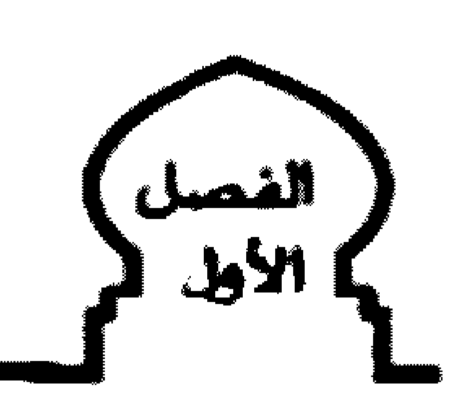
اصحاب بطليوس و تنازعه مع المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية على قرطبة واستيلاؤه عليها وقتل سراج الدولة بن المعتمد وقد امتده نفوذه الى بلنسية حيث استولى عليها من صهره عبد الملك بن ابي عامر المنصور عام 457هـ [1] و اشتهر ببذخه الكبير و حبه لبناء القصور و المصانع المائية و الحدائق و المتنزهات و اقامة الحفلات التي سوف نفصل الحديث عنها في دراسة المظاهر الاجتماعية[2] وتوفي المامون سنة 467هـ ليتولى بعده حفيده يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر و كان (سيء الراي ان حزم لم يعزم، و ان سدى لم يلحم [3] وفتى حدثا قليل الخبره و التجارب ضعيف الشخصية والراي خالف وصية المامون بالاعتماد على وزير بني ذي النون ابن الحديدي فدبر قتله وهبت دوره عام 468هـ وعمت الفوضى وثار عليه ابو بكر بن عبد العزيز بن ابي عامر المنصور في بلنسية وخلع طاعته، وطمع في بلاده ملوك الطوائف امثال المعتمد بن عباد والمقتدر بن هود، نطلب العون من ملك قشتالة الذي اثقله بمطاليبة من المال والحصون فثار عليه الشعب، ففر من المدينة عام 472هـ الى احدى الحصون واستدعى اهلها عمر المتوكل بن الافطس لحكم المدينة وبقي فيها عشرة اشهر افرغ قصور بني ذي النون من محتوياتها، وفي المنفي كتب القادر الى الفونسو السادس يطلب منه العون فاستجاب له وسار معه الى طليطلة في سرية من فرسانة وفي نفسه شيء اكبر، ولما حس المتوكل بن الافطس باقترابها فر الى حاضرته، فدخل القادر المدينة في حمى النصارى بعد معركة دموية مع اهلها، ولم يستتب به المقام طويلا حيث استولى المعتمد وابن هود والفونسو على اراضي شاسعة من مملكته، وخرب الاخير الاراضي الزراعية وجرد المدينة من مواردها الاقتصادية، واصبحت المملكة ضعيفة هزيلة تلعب بها الرياح والملة في ضيق وحاجة، وملك قشتالة يخطط وينفذ لابتلاع

---

(1) الذخيرة 2/ 1 : 268، البيان المغرب 3/ 220، اعمال الاعلام / 178، النفح 1/ 441 -442.

(2) الذخيرة 4/ 1: 147.

(3) المغرب 2/ 13.



المدينة[1] والقادر منغمس في لهوه وعبثه في قصره، فرح بما يسمعه من الشعراء، كقول ابي محمد بن السيد البطليوسي [2]:

تــــراه يزهـــي اذا يحــلُ بـــه ال ... قـــادر زهـــو الفتـــاة بالعِقـــدِ

تخالـــــه ان بـــــدا لنـــــاظره ... تِمّـــا بـــدا في مطـــالع الـــسعد

كـــأنها البـــست حدائقـــه ... مـــا حـــاز مـــن شـمية ومـــن مجـــد

كـــأنها جادهـــا فروضـــها ... بنائـــلٍ مـــن يمينـــه رغـــدِ

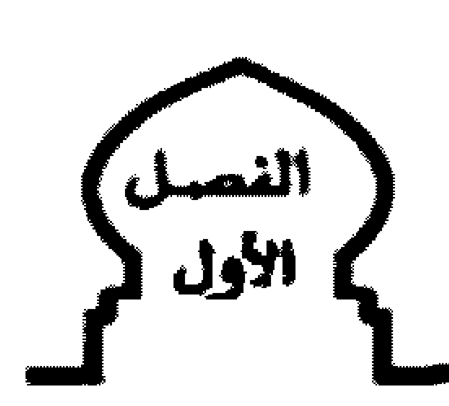
وفي خريف سنة 477هـ اقترب الفونسو من طليطلة، ونزل بالمنية المشهورة التي زودها المامون بالقصور الفخمة والبساتين اليانعة، وضرب الحصار حول المدينة، واشتد الامر باهلها فانقسموا الى احزاب، والناس في ريب من موقف القادر، وبعد مضي تسعة اشهر وعدم انجادهم من احد سوى صاحب بطليوس عمر المتوكل بن الافطس الذي لم يكن وحده ذا قوة تمكنه من الفونسو فارتدت قواته بعد معارك طاحنة، وفي محرم سنة 478هـ استسلمت لمدينة وسقطت نهائيا بيد النصارى وحول مسجدها الجامع الى كنيسة [3] وخرج منها القادر مع اهله ونزل في بلنسية بمعاونة النصارى بعد وفاة اميرها ابي بكر بن عبد العزيز بن ابي عامر لينزل الخراب فيها ويدفعها الى مصير طليطلة[4] وقد صور ابن العسال فداحة الامر وعبر باسلوب تهكمي ساخر ما ال اليه الوضع، داعيا الى الرحيل اذا لم يحسنوا احوالهم ويتصدوا لما

(1) الذخيرة 4/ 1: 163- 169.

(2) نفسه 3/ 2 : 894.

(3) دول الطوائف / 109 – 110 ،علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية / 95 -96.

(4) انظر الذخيرة 4/ 1 : 142 – 169، البيان المغرب 3: 304 – 305 : الحلل السندسية / 1: 377 – 380، 427-128.



يجري من هوان وضعف وفرقة ،وكلامه انذار بان مدنا اخرى ستلاقي مصير طليطلة في الظروف نفسها[1]:

حثوا رواحلكم يا اهل الاندلس	فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه وارى	ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لايفارقنا	كيف الحياة مع الحيات في سقط

ونقل المقري في النفح قصيدة موثرة لشاعر مجهول في سبعين بيتا ندب فيها طليطلة معللا اسباب الهزيمة للوصول الى النصر [2].

مملكة بلنسية

بلنسية مدينة جميلة تحيط بها الحدائق والبساتين وصفها الحجاري بانها (مطيب الاندلس ومطمح الاعين والانفس قد خصها الله باحسن مكان وحفها بالانهار والجنان، فلا ترى الا مياها تتفرع ولاتسمع الا اطيارا تسجع، ولا تستنشق الا ازهارا تنفح.... ولها البحر على القرب وحيث خرجت من جهاتها لاتلقي الا منارة ومسارح....)[3] قال فيها ابن زيدون عندما غادرها [4].

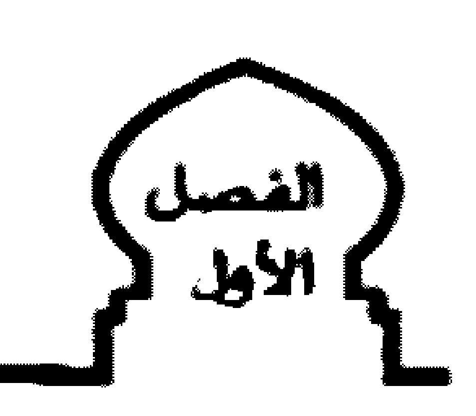
صحت فصحّ بها النسيم	ريح معطرة النسيمِ
مقبولة هبّت قبو	لا فهي تعبق في الشميمِ

(1) النفح 4: 447.

(2) نفسه 4: 438 / 486.

(3) المغرب 2/ 297.

(4) ديوان ابن زيدون / 201.



وفي عهد عبدالجبار المهدي كانت تحت امرة مجاهد العامري، فثار عليه شخصان من موالي المنصور بن ابي عامر هما مظفر ومبارك، كان شانهما قد ارتفع، فتسلطا على الامارة واشتركا في حكمها دون تنافس [1] وفي ذلك يقول ابن دراج [2]:

واظفرت أمالي بقصد مظفر ... وبورك لي في حسن رأي مبارك

واشتد امرهما وسلكا سبيل الملوك الكبار في بناء القصور والتناهي عليات الامور، وبالغا في الضرائب والجباية، واضرا بالناس، فهلك مبارك مترديا من فرسه سنة 409هـ فثار الناس ونهبوا قصره واتفقوا على تأمير لبيب الصقلبي [3] ومدحه الشعراء منهم ابن دراج كعادته [4]:

هل تثنين غروبَ دمع ساكب ... من شام بارقة الغمامِ الصائبِ

فاساء التصرف ولاذ بامير برشلونة حتى صار واحدا من اتباعه، فثار عليه الناس، فهرب الى طرطوشة، فاسند اهل بلنسية امرهم الى المنصور بن عبد العزيز ابن ابي عامر بدءا من 417هـ وقال عنه ابن بسام (وكان.. من اوصل الناس لرحمه واحفظهم بقرابته، ابتعثه الله رحمه للمتحنين من اهل بيته فاواهم وجبر الكسير واكتنف الطريد ونعش الفقير)[5] وتوفي سنة 452هـ وولي بعده المظفر – نظام الدولة – عبدالملك بن عبدالعزيزبن ابي عامر، ولم يسر على نهج والده فقد كان مولعا بالخمر و اللهو تاركا امر دولته لوزيره ابي بكر بن عبد العزيز

(1) بيان للمغرب 3/ 158 – 163 اعمال الاعلام / 222– 226.

(2) ديوان ابن دراج / 84، المغرب: 2/ 299.

(3) الذخيرة 3/ 1: 14: 20،

(4) الديوان 474.

(5) الذخيرة 3/ 1: 249.

الكاتب [1] و في عام 456هـ اقتربت قطعة من الافرنج من المدينة، فطار الذعر بينهم فخرجوا لملاقاتهم فانهزموا و ظفر بهم الافرنج بغنيمة وحكم السيف من جمهورهم نظرا لعدم استعدادهم للحرب فقال في ذلك ابو اسحاق ابراهيم بن معلى الطرسوني [2]:

لبسوا الحديد الى الوغى و لبستم	حلل الحرير عليكم الوانا
ما كان اقبحهم و احسنكم بها	لو لم يكن ببطرنة ما كانا

و في ظروف غامضة سنة 457هـ تمكن المامون بن ذي النون غفلة من الاستيلاء عليها من صهره و ضمها الى مملكة طليطلة لمدة عشر سنوات الى ان ثار الوزير ابوبكر بن عبد العزيز في عهد القادر الضعيف و اعلن استقلال الامارة من جديد [3] و استمر في حكمها الى ان توفي سنة 478هـ فاضطرب امر بلنسية و اختلفوا في تصييرها الى بني هود في سرقسطة او بني ذي النون في طليطلة و في وقت كانت قوات السِيد قمبيطور على مقربة منها، فاطمعه اختلاف اهلها، و بدا النفوذ القشتالي، عندما تمكن القادر بن ذي النون المخلوع من طليطلة الدخول الى المدينة بصحبة قوة قشتالية بقيادة- البرهانس – الذين احالوا القادر الى لعبة بايديهم، فساءت الاحوال الاقتصادية و الاجتماعية و خرج منها كثير من اهلها، و كانت قوات المرابطين تجوب شرق الاندلس وحاولت احتلال بلنسية الا ان القادر و بمعونة القشتاليين تمكن من ردهم، فاتفق اهل بلنسية مع القوات المرابطية على اعلان الثورة من الداخل للتمهيد لدخولهم المدينة، فثاروا على القادر و قتلوه في رمضان سنة 485هـ ليتولى الحكم فيها قاضيها ابن جحاف، فلم يكن يحسن السياسة، فاستغنى عن المرابطين و طمحت نفسه الى السيادة، فقال فيه ابو عبد الرحمن بن طاهر بتهكم [4]:

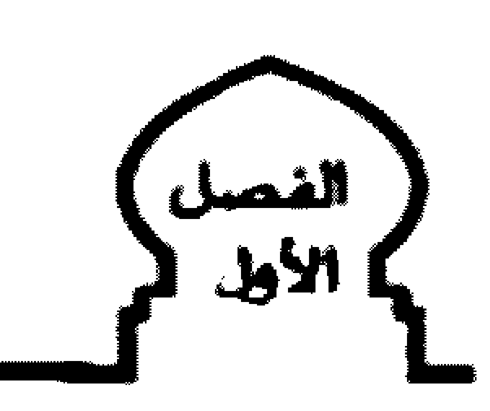
---

(1) المغرب 2/ 300، النفح 1/ 441.

(2) الذخيرة 3/ 2: 85/ 851.

(3) نفسه 4/ 1: 156.

(4) الذخيرة 3/ 1: 96.



ايهـــا الاخيـــف مهـــلاً	فلقـــد جئـــت عويـــصا
اذ قتلـــت الملـــك يحيـــى	وتقمـــصت القميـــصا
رب يـــوم فيـــه تجـــرى	لم تجـــد عنـــه محيـــصا

فانتهز السيد الفرصة وحاصر المدينة لمدة عشرين شهرا، ولم يتمكن المرابطون من ردهم [1] فاستسلمت المدينة تحت شروط محددة و لم يتقيد بها السيد الذي وصفه غوستاف لوبون بانه (كان رئيس عصابة من المرتزقة، قاسيا جشعاحقودا شديدا في قوله و عمله كثير الحلف مستخفا بالعدل و الانصاف)[2] فحول مسجدها الى كتدرائية وصادر اموال ابن جحاف ثم احرقه وسط المدينة بحجة اخفائه اموال القادر. ومنع السلاح و الادوات القاطعة و وضع الغرامات الفادحة و قتل العلماء منهم ابو جعفر احمد بن ولي البتي [3] و في هذه المحنة الف ابن علقمة كتابا سماه – الملم الفادح– الذي وصفه ابن عذاري بقول(يبكي القارىء و يذهل العاقل)[4] و مما جاء في النفح ان احمد بن يوسف بن هود صاحب سرقسطة هو الذي انهض الافرنج لاحتلال بلنسية لتكون حاجزا بينه وبين قوات المرابطين [5]

ووصف ابن خفاجة المدينة في ظل الاحتلال بعد ان خرج منها قائلا [6]:

عاثـــت بـــساحتك العـــدا يـــا دار	و محـــا محاســـنك الـــبلّى و النـــار
واذا تـــردد في جنابـــك نـــاظرٌ	طـــال اعتبـــار فيـــك و اســـتعبار

---

(1) النفح 4: 455.

(2) حضارة العرب/ 278.

(3) التكملة1: 395.

(4) البيان المغرب 3: 308.

(5) النفح 4: 455.

(6) ديوان ابن خفاجة/ 354/ والشطر المضمن لأبي تمام/ ديوانه 2/ 166.

ارض تفاذقـــت الخطـــوب باهلهـــا ‏ ‏ ‏ ‏ وتمخـــضت بخراجهـــا الاقـــدار

كتبـــت يـــد الحـــدثان في عرصـــاتها ‏ ‏ ‏ ‏ لا انـــت انـــت و لا الـــديار ديـــار

و حاول يوسف بن تاشفين استعادة بلنسية، فجهز جيشا قويـا بقيـادة ابنـه ابي عبـد الله محمد فالتقى بجيش الافرنج قرب جزيرة شقر، فاوقع بالعدو هزيمة كبيرة وقتل منهم عـددا كبيرا، وبعدها مات السيد قمبيطور وخلفته زوجته – خيمينيا – التي لم تـتمكن مـن الـصمود امام قوات المرابطين فاضرم النار فيها، فدخل المرابطـون المدينـة في منتـصف رجـب مـن عـام 495هـــ[1] وعبر ابن خفاجة عن فرحته بتحرير مدينته بقوله[2]:

الان ســـح غـــمام النـــصر فـــانهملا ‏ ‏ ‏ ‏ و قـــام صـــفو عمـــود الـــدين فاعتـــدلا

ولاح للـــسعد نجـــم قـــد خـــوى فهـــوى ‏ ‏ ‏ ‏ وكـــر للنـــصر عـــصرُ قـــد مـــضى فخـــلا

مملكة غرناطة

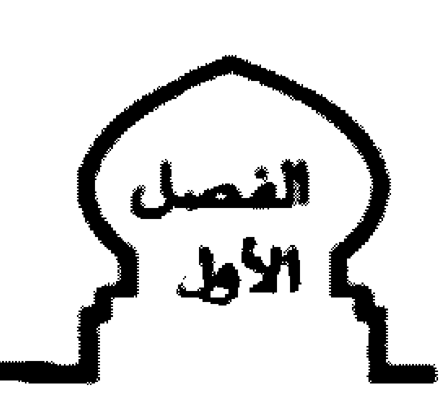
بعد استيلاء المستعين بالله على قرطبة بحراب البربر سنة 403هـــ و تخفيفـا لوجـودهم في العاصمة، فرقهم على المدائن و الثغور فاقطع قبيلة صنهاجة و رؤساءها بني زيري بن منـاد ولاية البيرة، فاتخذوا من موقع قريب من البيرة موضعا يكون معلقهم، و شيدوا عليـه البنيـان وتجمع حوله الناس متخذا مدينة غرناطة تحت امرة زاوي بـن زيـري[3]، و في سـنة 409 هــــ صد هجوم الاندلسين عن غرناطة[4] بقيادة الخليفة عبد الـرحمن المرتـضى الـذي قتـل في تلـك

(1) الذخيرة 3/ 1: 96 –103، المغـرب 2: 300، البيـان المغـرب 3: 305، الاسـلام في المغـرب والانـدلس / 216-229.

(2) ديوان ابن خفاجة / 208.

(3) التبيان – مذكرات الامير عبد الله / 18–22.

(4) الذخيرة 1/ 1:: 453 – 460 ، البيان المغرب 3: 125–129.



الوقعة كما فصلنا القول عنها في عهد الفتنة، وكان لهذه المعركة اثرها الكبير في نفس زاوي فقرر العودة الى افريقيا مع ذخائره واموالـه سنة 410 هـ مخلفا وراءه حبوس بن ماكس لولاية غرناطة نضبط المدينة وكان (على قسوته يصغي الى الادب... وكان حليما فظا مهيبا،نزر الكلام،قليل الضحك، كثير الفكر، شديد الغضب،غليظ العقاب،شجاعا واسع الحيلة....)[1] وخلفه في الحكم ابنه باديس سنة 428هـ وتلقب بالمظفر بالله وكان يضرب به المثل في الشدة والبطش وسفك الدماء مع حسن في السياسة، وقفت له يوما عجوز فشكت من عقوق ابنها وضربه لها، فاحضره وضرب عنقه فقالت له (يا مولاي ما اردت الا ضربه بالسوط وادبه فقال: لست بمعلم الصبيان)[2] وفي بداية حكمه استصغره زهير الصقلبي حاكم المرية واراد اخذ غرناطة منه، فانقلبت الدائرة عليه وقتل فيها زهير واستولى على امواله وخزائنه وعلا شانه[3] كما انه تمكن من الاستيلاء على مالقة من بني حمود، واراد المعتضد اخذها منه، فهزمه ودخل في الصراع مرير معه، ونال المعتمد جانبا منه عندما سيره ولده لاحتلال المدينة، فهزمه باديس واعاد منه مالقة، فخاف من والده وكتب له قصائد يستشفعه منها[4]:

سكن فؤادك لاتذهب بك الفكر ... ماذا يعيد عليك البثّ والحذرُ

وان يكن قدّر قد عاق عن وطر ... فلا مرد لما يأتي به القدر

وان تكن خيبةٌ في الدهر واحدة ... فكم غزوت ومن اشياعك الظفر

وتوسعت مملكته واحتلت مساحة كبيرة من القسم الجنوبي في الاندلس، ولكنه عندما تقدم به العمر، انهمك في الشراب واخلد الى الراحة وترك امور بلده بيد وزيره يوسف بن

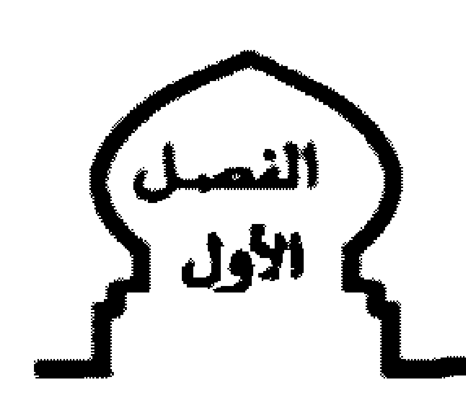
---

(1) نفسه 1/ 1 460 461، المغرب 2/ 107 تاريخ ابن خلدون 4/ 160.

(2) المغرب 2: 107 -108.

(3) التبيان/ 34.

(4) الذخيرة 2/ 1: 48 ديوان -36.



اسماعيل بن نغريلة اليهودي الكاتب الذي استطال عليه الرعية ودس السم لبلقين بن باديس لما عرف عنه نياته للقضاء على نفوذه، وشارك في مؤامرة لمصلحة ابن صمادح في المرية، ولما ضاق به الناس هاجت العامة عليه وعلى قومه من اليهود، فقتلوا حشدا كبيرا منهم، ونهبوا اموالهم وكان لقصيدة ابي اسحاق الالبيري دور في اثارة العامة[1].

توفي باديس سنة 465 هـ وتولى بعده حفيده عبدالله بن بلقين -وكان صبيا حدثا، فاستغل المعتمد بن عباد الوضع وسار بجيشه الى غرناطة لاحتلالها، فاحتل مدينة جيان، وافلحت جهود وزير ابن بلقين المدعو سماجة في رده ولاسيما بعد ان عقد معاهدة حلف وصداقة مع ملك قشتالة الفونسو السادس لقاء جزية قدرها عشرون الف دينار، وبعد سلسلة من الحوادث المتكررة توصلا الى صلح بينهما، فاعقبه سقوط طليطلة عام 478 هـ مما دفعهما الى الاستغاثة بالمرابطين في افريقيا، ونصرهم على ملك قشتالة في موقعة الزلاقة المشهورة[2].

وشعر ابن بلقين بموقف يوسف بن تاشفين من ملوك الطوائف بعد موقعة حصار -البيبط- فاتفق سرا مع الفونسو لرد المرابطين، فجدد الاسوار والحصون فقرر يوسف بن تاشفين بعد حصاره غير المجد لمدينة طليطلة، التوجه الى غرناطة وخلع ابن بلقين واخيه تمام امير مالقة[3] وفي تحالف ابن بلقين مع الافرنج وتجديده للحصون يقول ابن فرج الالبيري السميسر[4].

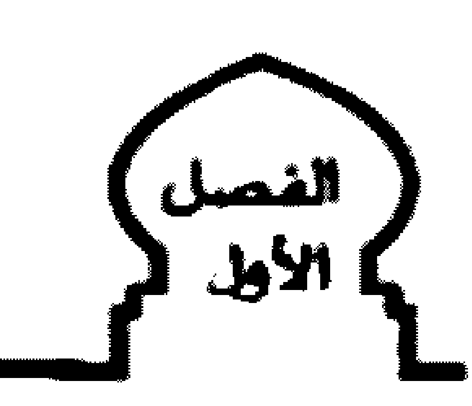
صاحب غرناطة سفيه	واعلم الناس بالامور
صانع اذفونش والنصارى	فانظر الى رأيه الدبير

(1) ديوان ابي اسحاق الالبيري / 97.

(2) التبيان 102 ، الحلة السيراء / 2: 62- اعمال الاعلام / 234.

(3) التبيان/ 125 دول الطوائف/ 329.

(4) الذخيرة 1/ 2: 887، النفح 3: 412.



وشـــــاد بنيانـــــه خلافـــــا	لطاعـــــــة الله والأمـــــير
يبنـــــي عـــــلى نفـــــسه ســـــفاها	كانـــــــــه دودة الحريـــــــر
دعـــــوة يبنـــــي فـــــسوف يـــــدري	إذا انـــــــت قـــــدرة القـــــدير

وسيطر المرابطون على مداخل المدينة لمنع وصول عون من النصارى واستمر الحصار لمدة شهرين ولم يبق امام عبد الله بن بلقين الا الاستلام بعد طلب الامان، فدخلت القوات المرابطية غرناطة في 13 رجب عام3 48هـ ونزل يوسف بن تاشفين قصره، واخذ ينظم الامور ووعد اهلها برفع الضرائب الا ما فرضه الشرع، وكانت المملكة الاولى التي تسقط بيد قوات الملثمين، ونقل عبد الله واهله الى اغمات وعاش فيها بحرية وكتب مذكراته في كتابه التبيان (1).

مملكة بني الافطس

عاصمتها بطليوس قال عنها صاحب المسهب (قد خطت في بسيط من الارض، مخضر الابراد منفسح المراد، واوفت على النهر الاعظم المعروف بنهر انه، وليس الان في بلاد الجوف قاعدة اعظم منها وبنى فيها المتوكل بن الافطس المباني الطيبة، والمصانع الجليلة،...)(2) واول من استبد بها مولى يدعى سابور الفارسي، كان رجلا اميا، قام بامر دولته وزيره عبد الله بن الافطس (3) فلما توفي سابور سنة 413 هـ ورث سلطانه بعده، فاستولى على الامور وتلقب بالمنصور مؤسسا بذلك مملكة بني الافطس وكان من اهل المعرفة والسياسة وقال فيه ابن زيدون (4):

---

(1) الكامل 10: 155 تاريخ ابن خلدون 6: 187 ، اعمال الاعلام: 235-236، دول الطوائف: 328 – 332.

(2) المغرب 1/ 363.

(3) تاريخ الفكر الاندلسي / 118.

(4) ديوان ابن زيدون/ 230.

هـي الشمس مغربها في الكلل ... ومطلعها من جيوب الحُلَل

وغصنٌ ترشف ماء الشباب ... ثراه الهوى وجناه الاملِ

واستطاع ان يملك غرب الاندلس ويرد اطماع القاضي ابن عباد صاحب اشبيلية [1] وتوفي سنة 437 هـ [2] فخلفه ابنه ابو بكر محمد الملقب بالمظفر وكان اديبا عالما صنف كتاب (المظفري) في الادب والتاريخ [3] واجتمع عنده الشعراء والعلماء، وقال فيه ابن شرف [4] :

اقمت للعلم منارا وما ... أظن في الدنيا لعلم منار

فما نداك سوى اهلهِ ... وكلهم بين ندامي العقار

ميْزُك ميزانُ عقول الورى ... وفهمك العدل لكل عيار

وقال ابن بسام ((وكان ابن شرف كتب بهذه القصيدة من طليطلة إليه، فوصله بمائة مثقال من ضرب السكة لديه)) [5].

واتسمت بداية حكمه بالصراع المرير والحروب الدامية بين الكر والفر مع المعتضد بن عباد ولاسيما المعركة التي جرت سنة 442 هـ وكانت وبالا عليه، جاء في الذخيرة ((وانهزم أبن الافطس وحمل السيف على جميع من معه))وبلغ القتلى أكثر من ثلاثة ألاف [6] يقول أبن زيدون في هذه الوقيعة [7] :

---

(1) الذخيرة 2/ 2: 640، الحلة 2: 96، المغرب 1: 364.

(2) البيان المغرب / 3: 237.

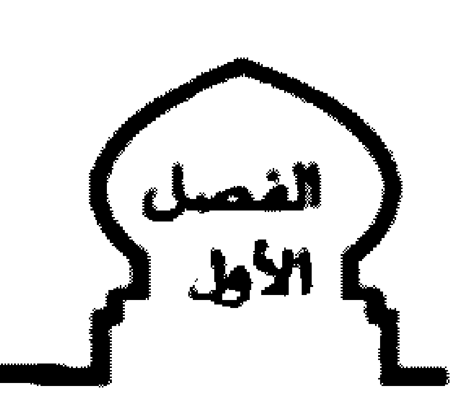
(3) المغرب 1: 364.

(4) الذخيرة 2/ 2: 643.

(5) الذخيرة 2/ 2: 643.

(6) نفسه 1/ 1: 388.

(7) ديوان ابن زيدون / 467.



يـــود إذا مـــا جنّـــه الليـــل أنـــه　　أقـــام عليـــه آخـــر الـــدهر سرمـــدا

وبعد صلحه مع ابن عباد سنة 443هـ أنشغل في رد مضايقات المأمون بن ذي النون حيث أغار الأخير لمرات عدة على أراضيه وجرت بينهما معارك كثيرة [1] .

وفي سنة 449هـ أخذت أطماع النصارى في بلده تتجه إلى التنفيذ حيث تمكن فرناندو الأول بعد أن أستتب له ملك قشتالة وليون إلى إقطاع الأجزاء الشمالية والغربية من مملكته فتمكن في تلك السنة من احتلال مدينتي مليقة وبازو ثم أسترق سكانها وأسكن فيها النصارى، وبعدهما حاصر مدينة – قلمرية – لمدة ستة أشهر إلى أن سقطت سنة 456هـ وسبي معظم رجالها ونسائها، وطرد المسلمين من مناطق واسعة [2] وكان يدفع الجزية لفرناندومقابل ترك مدينة –شنترين – التي تعرضت لعمليات الغزو مرات عدة إلى أن توفي سنة 461هـ [3] وخلفه ابنه يحيى الملقب بالمنصور ونازعه في الحكم أخوه عمر الملقب بالمتوكل، وكان للاذفونند –فرناندو الأول – دور في إضفاء الفتنة بينهما كيادا للمسلمين إلى أن مات يحيى فجأة في عام 464هـ فاستوسق الامر للمتوكل على جميع البلاد منها حاضرة بطليوس [4] و كان شاعرا له قصائد منها ما كتبه الى اخيه يحيى و قد علم انه قدح في مجلسه مطلعها [5] .

فـــما بـــالهم لا انعـــم الله بـــالهم　　ينوطـــون بيّ ذمـــا، و قـــد علمـــوا فـــضلي

---

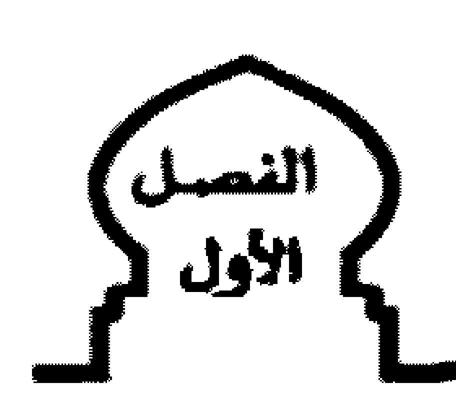
(1) البيان المغرب 3: 211-213.

(2) البيان المغرب 3/ 238-239، أعمال الاعلام / 184.

(3) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس/ 227.

(4) الذخيرة 2/ 2 : 649 – 651.

(5) الحلة السيراء 2: 104.



و عرف عنه سياسته الحكيمة و تقريبه للعلماء و الادباء، و قد اكثر الشعراء في مدحه، منهم عبد المجيد بن عبدون[1]:

و من قام رأيُ أبن المظفر بينه   و بين الليالي نام عنهنّ لا هيا

و كان له دور في الدعوة لتوحيد الآندلس من خلال تكليفه للعالم أبي الوليد الباجي (474هـ) بالسير الى ملوك الطوائف لنبذ الخلافات، و من اوائل من دعا الى الاستعانة بالمرابطين [2] لذلك وصفه أبن الخطيب بقوله: ((وكان المتوكل ملكا عالي القدر، مشهور الفضل، مثلا في الجلالةو السرور و من اهل رأي و الحزم والبلاغة و كانت مدينة بطليوس في مدته دار أدب وشعر ونحو وعلم))[3] وبعد سقوط طليطلة تمادى الفونسو السادس في طغيانه فأرسل الى المتوكل بالله عمر بن الافطس يطلب منه الجزية وعددا من الحصون ويتوعده بالعواقب الوخيمة، فرد عليه برسالة قوية حازمة تفيض بالشجاعة و المروءة [4].

و كان على رأس المستقبلين لجيش يوسف بن تاشين و المتحالفين معه من الاندلسيين فقدم لهم قرب بطليوس المؤونة و التكريم اللازم في معركة الزلاقة وقبيلها [5] و بعد استيلاء المرابطين على غرناطة و بعدها في عام 483هـ على اشبيلية شعر بالقلق على مملكته، فحاول توثيق علاقاته معهم و لا سيّما يوسف بن تاشفين الذي لقيه بجفاء عندما ذهب اليه لتهنئته بسقوط غرناطة، فوثق علاقته مع قائد المرابطين و حاكم اشبيلية سيربن ابي بكر لمدة ثلاث سنوات، و بعدها بدأت قوات المرابطين بالاغارة على أراضي بطليوس، فاستغاث المتوكل بالفونسو السادس ملك قشتالة مقابل تنازله عن ثلاث مدن مهمة و هي اشبونة، ة شنترة، و

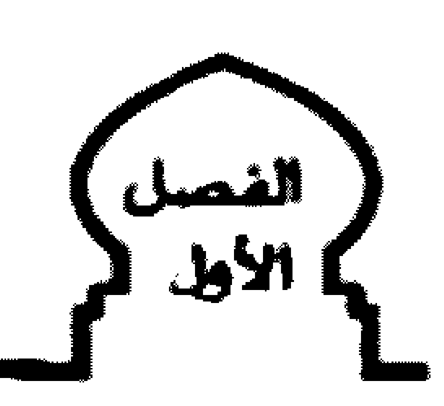
(1) الذخيرة 2/ 2: 690.

(2) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس/ 227.

(3) أعمال الاعلام / 185.

(4) دول الطوائف / 89-90.

(5) الروض المعطار / 87-90.



شنترين، فأثار ذلك نقمة كبيرة بين المسلمين في بطليوس و كتبوا الى المرابطين يستدعونهم، ففي عام 488هـ اخترقت قواتهم المدينة و لم يتمكن الفونسو من انجاد حليفه، فقبضوا عليه و على ولديه الفضل و العباس فقُيد و أُهين بالضرب في كشف ما عنده من أموال، وبعد اقراره قتلوا ولديه على مقربة منه ذبحا، نقام ليصلي، فطعنه المرابطون برماحهم و قتلوه و كان ذلك مما نعي على يوسف بن تاشفين [1] و قد رثاهم الشعراء منهم ابو بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي في الفضل بن المتوكل، حيث يشير في القصيدة الى انه قتل و لم يدفن [2].

واعجبا للارض حين ملكتها ومتّ ولم يسترك من عرضها شبرُ

فليتك من قلبي وعيني صيانة تؤوب إلى قبر إذا لم يكن قبر

فبر عاك مني مشفق ذو حفيظةٍ عليك إذا لم يرعك الذئب والنسر

أما أشهر قصيدة في رثائهم فهي قضيدة عبد المجيد بن عبدون التي وردت في معظم المصادر الأندلسية، وشرحت فيها بعد مرارا.

وقال فيها عبد الواحد المراكش في المعجب ((قصيدته الغراء، لابل عقيلته العذراء التي أزرت على الشعر وزادت على السحر، وفعلت في الالباب فعل الخمر، فجلت على أن تسامى وافضت من أن تضاهى، فقل لها النظير، وكثر إليها المشير))[3]

ومطلعها:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور

وقد نقل ابن بسام ثمانية وخمسين بيتا منها، تبدأ بمطلع تقليدي يشكو فيه الدهر الفاجع والدنيا الخادعة ثم ينتقل إلى الاعتبار بالماضيين وذكر الدول والأسر الزائلة عبر

(1) المعجب / 42، الحيلة السيراء 2/ 96-108، أعمال العلام/ 186.

(2) الذخيرة 2/ 2: 773.

(3) المعجب / 128- 129.

التاريخ، ليخلص إلى ذكر بني الأفطس والتراحم على مجدهم وعزهم الزائل في ثمانية عشر بيتا قائلا [1]:

بنـي المظفـر والأيـام مـا برحـتْ مـر احـلا والـورى منهـا عـلى سـفر

سـحقا ليـومكم يومـا ولا حملـت بمثلـه ليلـة في مقبـل العمـر

دولة بني صمادح:

لما صارت ((المرية)) لعبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية حسده مجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية، فغزا أجزاء من بلاده، فخرج إليه عبد العزيز واستخلف صهره ووزيره – معن بن صمادح – فكان شر الخليفة، فغدر به، وخان الأمانة، وطرده من الامارة، ونصب له الحرب [2] ودعا لنفسه من 433هـ وعاونه في ذلك باديس بن حبوس صاحب غرناطة لمودة وصداقة بينهما، وبقي في الحكم لمدة عشر سنوات إلى أن توفي في عام 443هـ مخلفا وراءه ابنه الحدث الذي لم يكمل الثامنة عشرة أبا يحيى محمد بن صمادح الملقب بالمعتصم [3] وفي عهده توسعت الإمارة ودخل في الحروب مع الدويلات المحيطة به [4] ((ولم يكن من فحول الملوك أخلد إلى الدعة واكتفى بالضيق من السعة، واقتصر على القصر يبنيه وعلق يقتنيه، وميدان من اللذة يستولى عليه ويبرزفيه غير انه كان رحب الفناء، جزل العطاء، حليما عن الدماء والدهماء، طافت به الآمال واتسع في مدحه المقال، وأعملت إلى حضرته الرجال)) [5] ورويت عنه أخبار تدل على الحلم والعدل والإنصاف [1] واشتهر في ميدان

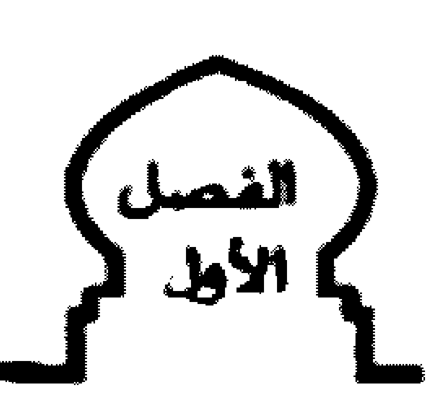
(1) الذخيرة 2/ 2: 733.

(2) الذخيرة 1/ 2: 729-734.

(3) التبيان/ 45، تاريخ ابن خلدون / 4 : 162.

(4) دول الطوائف / 162 -165.

(5) الذخيرة 1/ 2: 732.



الأدب، واجتمع عنده عدد من الشعراء منهم ابن شرف وابن عبادة وابن الشَهيد ابو حفص، وأبن فرج الالبيري، وعبدالله بن الحداد الذي غضب عليه المعتصم يوما فخرجا وقال فيه:[2]

يا طالب المعروف دونك فأتركن دار المرية وارفض ابن صمادحِ

رجل إذا أعطاك حبة خردل ألقاك في قيد الأسير الطالع

لو قد مضى لك عمر نوح عنده لافرق بينك والبعيد النازح

وأورد ابن بسام مقطوعات من شعره منها[3]:

لما غدا القلب مفجوعا بأسوده وفض كل ختام من عزائمه

ركبت ظهر جوادي كي أعزيه وقلت للسيف كن لي من تمائمه

وبعد معركة الزلاقة أدرك المعتصم طموح يوسف بن تاشفين في القضاء على ملوك الطوائف فأخذ يتقرب منه ويفسد ما بينه وبين المعتمد. فلما علم المعتمد بالحقيقة كتب إليه:

يا من تعرض لي يريد مساءتي لا تعرضن فقد نصحت لمندم

من غره مني خلائق سهلة فالسم تحت ليان سم الارقم[4]

وعندما استولى يوسف بن تاشفين على غرناطة ارسل ابنه عبيد الله لتهنئه بحصول غرناطة في يده فقبض عليه و حبسه، فأخذ يرسل قصائد إلى والده يشكو ضيق محبسه، منها قصيدة مطلعها[5]

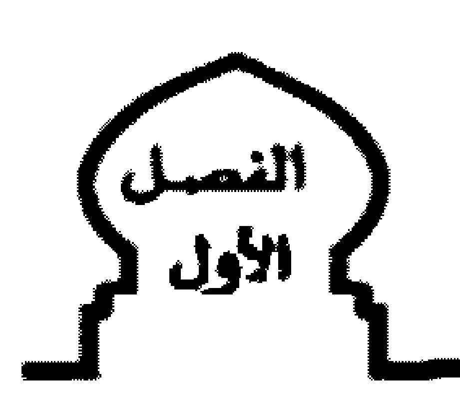
(1) ينظر إلى النفح 3: 367، 4: 9.

(2) النفح 5: 50.

(3) الذخيرة 2/ 1: 736.

(4) القلائد: 14.

(5) النفح 3: 368 تاريخ الفكر الأندلسي: 114.



أبعد السنا و المعالي خمول　　و بعد ركوب المذاكي كُبول

ومن بعد ما كنت حرا عزيزا　　أنا اليوم عبد أسير ذليل

و في عام 484هـ حاصرت جيوش المرابطين ((المرية)) واحتلوا معظم حصونها، و المعتصم ينازع حثاثة نفسه و قد سمع اختلاط الاصوات فقال:

((لا اله إلا الله نُغِص علينا كل شيء حتى الموت)) فدمعت عين حظية له و قالت: فلا أنس طرفا إلي رفعه وانشاد بصوت لا أكاد أسمعه:

ترفق بدمعك لاتفنه　　فبين يديك بكاء طويل[1]

و لما مات المعتصم ركب ابنه عز الدولة أبو محمد عبد الله ولي عهده البحر و فارق الملك و قال قصيدة مطلعها[2]:

لك الحمد بعد الملك أصبح خاملا　　بأرض اغتراب لا أُمر و لا أحلي

و قد اصدأت فيها الهوادة منصلي　　كما نسيت ركض الجياد بها رجلي

و لا مسمعي يصغي لنغمة شاعر　　و كفي لا تمتد يوما الى بذل

طريدا شهيدا لا أومل رجعة　　إلى موطن بوعدت عنه و لا أهل

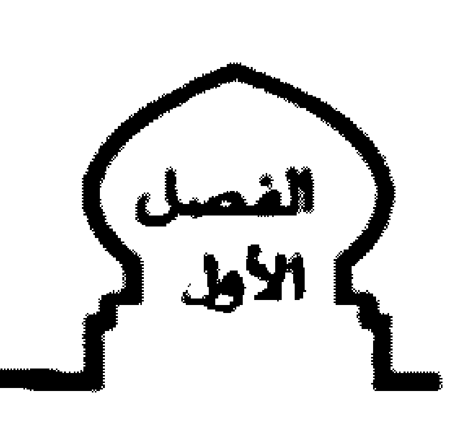
وقال ابن اللبانة الشاعر: ما علمت حقيقةجور الدهر حتى أجتمعت به فأني رأيت منه خير من يجتمع به، كأنه لم يخلقه الله تعالى إلا للملك و الرياسة و الفضائل[3].

---

(1) المغرب 2: 195-196.

(2) نفسه 2: 201.

(3) النفح 2: 368.



وبعد زوال ملكهم، استأذن أبو زكريا يحيى بن المعتصم الملقب برفيع الدولة احد وجهاء المرابطين فقال أحد جلسائه ((تلك أمة قد خلت...))[1] استحقارا له و استثقالا للاذان له، فبلغ ذلك رفيع الدولة، فكتب اليه قصيدة منها:[2]

خلت أمتي لكن ذاتي لم تخل	و في الفرع ما يغني اذا ذهب الأصل
و ما ضركم لو قلتم قول ماجد	يكون له فيها يجيء به الفضل
و كل اناء بالذي فيه راشح	و هل يمنح الزنبور ما مجه النحل

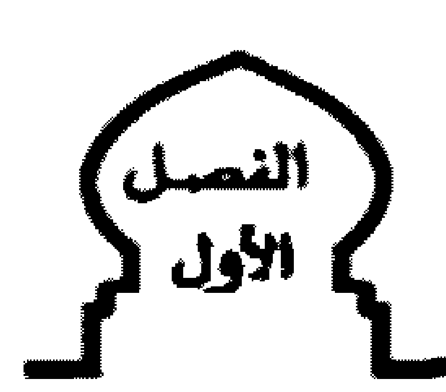
و فضلا عن الدويلات السابقة كانت هنالك دويلات صغيرة أخرى في مراحل متفاوتة لم يكن لها تأثير يذكر على الساحة السياسية و الادبية. و في الغالب كانت تتبع إحدى الدويلات المشار اليها في كتابنا هذا و أهمها هي[3]:

دويلة بني مزين في باجة وشلب	432-455هـ
= بني البكري في و لبة وشلطيش	403-443هـ
= بني برزال في قرمونة	404-459هـ
= بني دمر في مورور	403-458هـ
= بني خرزون في اركش	402-461هـ
= يفرن في رندة	406-457هـ
مملكة مرسية	403-484هـ

(1) البقرة: 134.

(2) النفح 3: 37.

(3) دول الطوائف / 413-437.



إمارة شنتيرين الشرق	403-497هـ
= البونت	400-495هـ
فضلا عن مملكة دانية و الجزائر الشرقية	400ـ468 هـ
التي كان لها دور في حوض البحر المتوسط	

الفصــل الثــاني

المظـاهر

الاجتماعية و الدينية

المبحث الاول: المظاهر الاجتماعية

عناصر المجتمع

طبقات المجتم

الفقهاء و القضاة

التجار و أصحاب المزارع الواسعة

الطبقة العامة

المرأة

القصور

مجالس اللهو و الطرب الغزل بالغلمان

السمات(العادات) الاجتماعية المتأصلة

المبحــث الثــاني المظــــاهر

الطبيعة الدينية

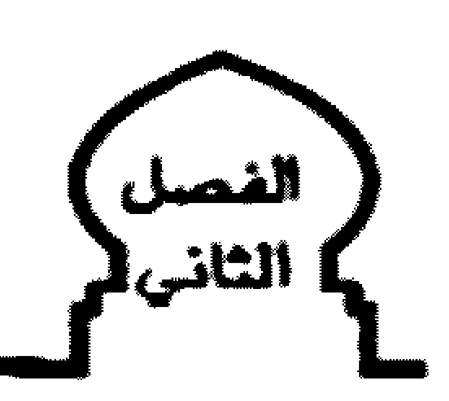
تيارات المجتمع

المساجد

الجهاد

الدعوة الى مكارم الاخلاق

الزهد و التصوف



المبحث الاول

المظاهر الاجتماعيــة

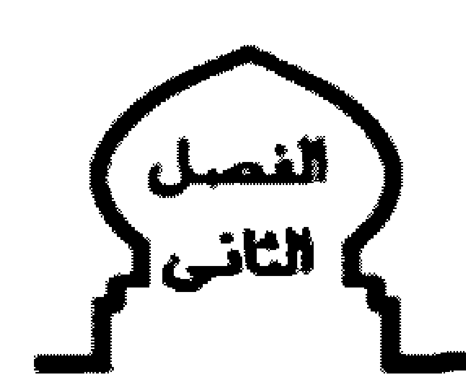
عناصر المجتمع الاندلس

كان مجتمع الاندلس خليطا غير متجانس من أصول عدة لم يجمعهم رابط قومي واحـد و لا دين واحد إلا رابطة السلطة المركزية القوية، و كان الصراع بين فئات المجتمـع و لا سيما المتنفذين منهم يطفو على السطح في حالة حدوث فراغ سياسي أو اضطراب قـومي أو مشكلة اجتماعية يأخذ أحيانا شكل إبادة جماعية يحسم لصالح الفئة الآقوى.

فالمجتمع الاندلسي في القرن الخامس كان يتكون في الغالب من سكان البلاد الآصـليين الذين انصهرت ثقافتهم و عاداتهم – بفضل نعمة اعتنـاقهم الاسـلام – في بودقـة الشخـصية الآندلسية فتزاوجوا و تصاهروا مع العرب و البربر، فكان من الصعب تفريقهم عن المسلمين الآخرين، و كان عددهم في ازدياد مستمر تبعا لزيادة اعتناق المـسيحيين للـدين الاسـلامي، و ظهر منهم أعلام كبار احتفظوا بأسماء عوائلهم الاصلية كأبن بشكوال و بنـي قـومس و بنـي مرتين و بني غرسية و غيرها(1) و لم يظهر لهم دور في القرن الخامس عـلى الـساحة الـسياسية و كان معظمهم من عامة المجتمع، و لم يصل أحد مـنهم الى الموقـع الآول في الحكـم أو يفلـح في تشكيل إمارات إسلامية محلية تتصدى لبني جلدتهم من الممالك النصرانية في الـشمال و العبـور بمبادىء الإسلام و تعاليمه إلى وراء الحدود و تحفظ الآندلس للإسلام و المـسلمين إلى الآبـد، كما حدث في إقاليم الشرق الإسلامي.

و في عهدي الفتنة و ملوك الطوائف ونتيجة لسيطرة الـصقالبة عـلى بعـض المنـاطق، و انفكاك السلطة المركزية، اخذ الشعور الإنتمائي إلى أصولهم يأخذ ابعادا بغيضة عند بعـضهم،

(1) الاتجاه الاسلامي في الشعر الاندلسي / 26 – 28 الاسلام في اسبانيا / 13 ، في الأدب الاندلسي: 42.



كالرسالة النثرية التي وجهها (أبو عامر احمد بن غرسيه) إلى أحد أصدقائه مفصحا فيها عن شعوبية و اضحة في ذم العرب و فخر ببني قومه العجم، وقد رد عليه برسائل مطولة [1].

أما الذين لم يعتنقوا الإسلام وهم الأقلية فقد ظلوا على نصرانيتهم و كانوا يسمون المستعربين، و يحظون بقسط وافر من الحرية، و كان يحكمهم و احد من بينهم يسمى(الكونت) و لهم ممثل في البلاد و قاض و محكمة استئنافية، و يعينون في مناصب حساسة[2] و كانت جيوش ملوك الطوائف تضم أعدادا كبيرة منهم[3] و يتلقون غاية التسامح الديني الذي سوف نفصل عنه في المظاهر الدينية.

أما المسلمون فتمثلوا في أجناس عدة و كان العرب من الآوائل الفاتحين بعد البربر، وقد جاءوا تحت امرة موسى بن نصير عام 93 هـ واستقروا مع الوافدين الذين نزلوا بعدهم في مراكز المدن وحافظوا على أصولهم العربية، لذلك بسط المقري في النفح القول عن العوائل العربية[4] وألف ابن حزم كتابه في الأنساب العربية، وابن غالب في فرحة الأنفس في الموضع نفسه الذي أخذ منه المقري فقرات طويلة، وان المهاجرين الأولين قد نقلوا معهم نزاعهم القبلي بين القيسيين واليمانيين الذي لم يهدأ وكان سببا في أندلاع الفتنة عندما احتكر الحاجب المنصور السلطة[5]. وكثيرا ما كان الشعراء يفتخرون بهذه الأصول ولاسيما في مدح الخلفاء في عهد الفتنة ومدح ابناء عباد في اشبيلية وغيرهم. وفي ذلك قصائد كثيرة، منها ما قاله ابن اللبانة الداني في المعتمد بن عباد[6]:

من سر لخم، ولخم حيث ما شهدت ... تقدمت وبنو العليا لها تبع

(1) الذخيرة 3/2: 705، المغرب 2: 406 – 407.

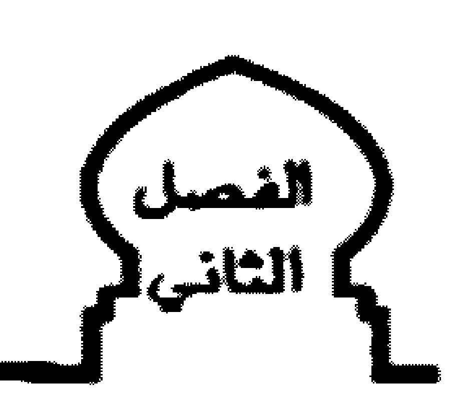
(2) تاريخ الإسلام والديني والثقافي والاجتماعي / 4: 630.

(3) ملحمة السيد / 109 – 185، حضارة العرب في الاندلس / 71.

(4) النفح 1: 290 – 298.

(5) في الأدب الأندلسي / 44.

(6) شعر ابن البانة / 66.



ومنهم من اوجد لنفسه أصولا عربية ليضفي الشرعية على حكمه كالتجيبين من حكام سرقسطة وبني حمود الذين فصلنا القول عنهم في عهد الفتنة، وكانت العوائل العربية كثيرا ما تحاول أن تصل نسبها بأحدى الشخصيات التي جاءت مع موسى بن نصير وكان يطلق عليهم أسم البلديين أو مع بلج بن بشر القشيري سنة 123 هـ ويطلق عليهم الشاميون[1] أما البربر فكانت نسبتهم كبيرة جدا وقد دخلوا في صراع مرير مع العرب بعد ان اضطهدهم الخليفة المهدي في اوائل الفتنة، وتعاقبوا على السلطة في قرطبة، وأخرجوا منها سنة 414هـ إثر ثورة عارمة ضدهم، فاستقروا جنوبي الأندلس واسسوا ثلاث دويلات رئيسة في غرناطة وطليطلة وبطليوس فضلا عن إمارات صغيرة اخرى وكان سجالهم عنيفا جدا مع بني عباد في قرطبة، لذلك قال عنهم ابن عمار في مدح المعتضد[2].

شقيت بسيفك أمة لم تعتقد	إلا اليهود وإن تسمت بربرا
أثمرت رمحك من رؤوسي ملوكهم	لما رأيت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء كماتهم	لما علمت الحسن يلبس أحمرا

وكانوا ينتمون إلى قبائل عدة أهمها زناتة وصنهاجة، واللمتونيون الذين جاءوا مع يوسف بن تاشفين وكانت هجراتهم متواصلة حتى فاقوا العرب عددا[3] واشتهروا بحمل السلاح والدفاع عن الإسلام.

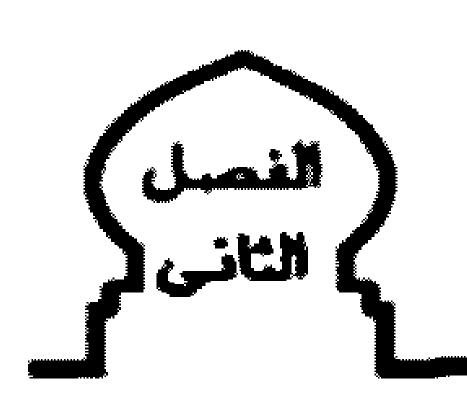
أما الصقالبة فهم الذين يؤتى بهم أطفالا من بلاد الافرنجة ذكورا وإناثا فترعاهم الدولة وينشؤون تنشئة خاصة على أسس إسلامية لإعداد المتميزين منهم في تولي الوظائف

---

(1) اشبيلية في القرن الخامس / 32.

(2) النفح 1/ 656، ديوان ابن عمار: 193.

(3) الاتجاه الإسلامي في الشعر الاندلسي / 26 – 28.



الإدارية والقيادات العسكرية فكانوا طائفة مميزة في كيان المجتمع الأندلسي [1] وكان يخصص قسم منهم لحراسة الحرم في البلاط، يشترون صغارا من تجار مختصين ببيعهم وكانت هناك سوق خاصة بهم تسمى بمصنع الخصيان[2] أما البقية فكانوا يستغلون كعبيد في المزارع أو لتثبيت سلطان مالكيهم أو العمل في بعض الحرف. ومن الصقالبة من تحرر من العبودية. وشغل مكانا لائقا في المجتمع، فظهر بينهم أغنياء من الملاكين والتجار... وأقاموا لأنفسهم دويلات على امتداد الساحل الشرقي للأندلس في دانية والجزائر الشرقية وشاطبة ومرسية وبلنسية. وكان دورهم بارزا في الحياة السياسية ولا سيما في النصف الأول من القرن الخامس للهجرة. والذي أشرنا إليهم في الفصل الأول في الحديث عن مظفر ومبارك الصقلبين[3] وزهير الصقلبي[4] ومجاهد العامري[5] وغيرهم[6].

طبقات المجتمع:

أشارت الدراسات السابقة الى ان المجتمع كان يتكون من ثلاث طبقات رئيسة هي العالية والمتوسطة والكادحة الفقيرة[7].

(1) تاريخ الفكر الأندلسي / 8، الصقالبة في اسبانيا/ 8.

(2) آزهار الرياض 2/ 397، في الأدب الأندلسي / 8.

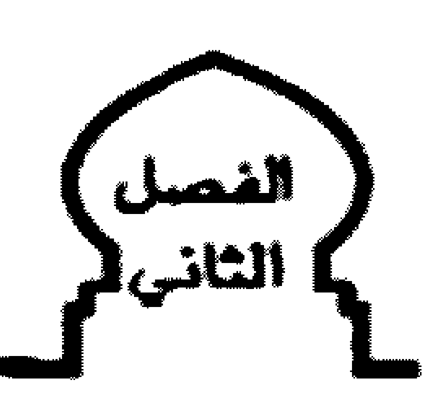
(3) الذخيرة 3/ 1 : 14 -20.

(4) التبيان/ 34.

(5) دول الطوائف / 437.

(6) للمزيد ينظر إلى الصقالبة في اسبانيا/ أحمد مختار العبادي مدريد/ 1953 والاسلام في اسبانيا د. لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة المصرية، 1958 – القاهرة.

(7) الشعر في ظل بني عباد/ 54 – 55، اشبيلية في القرن الخامس/ 43 – 44 ، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر/ 53 – 54.



فطبقة الامراء ومن يدور في فلكهم من الوزراء والقضاة والكتاب وصاحبي المدينة والشرطة وبقية وجوه الدولة تتمتع بالثراء وتحيا حياة رغيدة تتفنن في الترف والبذخ، فالامراء كانوا يمثلون قمة الثراء والملكية ولم تكن هنالك حدود فاصلة بين بيت المال والملكية الخاصة لهم، فبنو عباد كانوا يمتلكون ثلث كورة اشبيلية[1] وبنو طاهر كانوا يمتلكون نصف مرسية ومثلهم بنو جهور في قرطبة وبنو ذي النون في طليطلة وبنو هود في سرقسطة.... وكانوا يعتمدون في زيادة ثرواتهم على طرق غير سليمة كمصادرة الممتلكات واجبار الملاكين الصغار على ترك اراضيهم وفرض ضرائب باهظة[2] وفي حديثنا عن مظاهر الترف سوف تتوضح صورة هذه الطبقة.

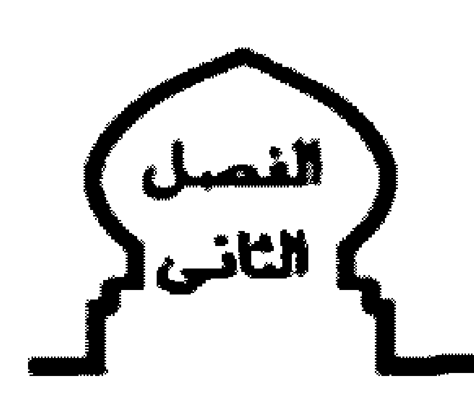
أما الوزراء فهم الطبقة المتصلة بالأمراء، وقاعدتها في الأندلس في عهد بني أمية في جماعة يعينهم الخليفة للمشاورة والإعانة، ويختار من بينهم شخصا لمكان النائب كحلقة وصل بين صاحب الدولة والأجهزة التنفيذية يسمى (الحاجب) وكانت هذه الوظيفة متوارثة في عوائل محددة، أما في عهد ملوك الطوائف، فكان الملك منهم يسمى الحاجب أحيانا لمكانة الأخير في عهد الدولة الاموية وقد ترددت اسماؤهم في قصائد الشعراء وصار اسم الوزارة يطلق على كل من يجالس الامير ويختص بديوانه لذلك انحطت رتبة الوزير وصار هذا المنصب يمنح للطبقة الوسطى من الموظفين والكتاب وشيوخ القرى، واستعلمت ألقاب تشريفية مزدوجة كذي الوزارتين وذي الرئاستين... ورغم ذلك ظهر من بينهم وزراء كبار ذوو شأن منهم ابن زيدون وابن عمار والوزير ابن الحضرمي وزير المتوكل بن الافطس وابن الحديدي وزير بني ذي النون وغيرهم[3] ونُظم في مدحهم شعرٌ كثيرٌ، والذي ينوب عن الأمير

---

(1) الحلة السيراء/ 2: 36.

(2) اشبيلية في القرن الخامس/ 43.

(3) تريخ العرب وحضارتهم في الأندلس / 371.



في حال غيابه يسمى بذي الوزارتين[1] وغالبا ما يكون عالما بفنون الشعر والنثر وفي ذكرهم قائمة طويلة، وقد ترجم لهم ابن بسام بعد الأمراء مباشرة وكانوا يتعرضون في أحايين كثيرة للمحن والنكبات بين القتل

والسجن والتغريب ونهب أموالهم ومصادرتها، فأبو الوليد ابن زيدون تعرض للسجن والتغريب واشتهر من خلالها وقال فيهما قصائد كثيرة، منها ما قاله في السجن مخاطبا ابن جهور[2]:

وللهِ فينا علمُ غيبٍ وحسبُنا ... به عند جورِ الدهرِ من حكمٍ عدلِ

وفي الغربة قال[3]:

غريبٌ بأرضِ الشرقِ يشكرُ للصَّبا ... تحملها مني السلامَ إلى الغربِ

وابن عمارانتهى إلى أسوأ عاقبة، حيث كان صديقا ونديما للمعتمد بن عباد وقد داخله العجب والطموح في نفسه، فوثب على مرسية وأنفرد بها، وهجا صديق عمره ابن عباد، فأنقلب عليه الزمان وسجن وعرض للبيع فقال في ذلك[4]:

أصبحتُ في السوقِ ينادى على ... رأسي بأنواعٍ من المالِ

تاللهِ لاجارَ على مالهِ ... من ضمني بالثمنِ الغالي

وآل مصيرة إلى ابن عباد، ولم يزل يستلينه بقصائده، وكان ابن عباد يشرب، فذكرته الرميكية به وأنشدته هجاءه، فثار ابن عباد وسار إليه وضربه بطبرزين شق رأسه ورجع إليها، وقال: لقد تركته كالهدهد، وفي هذا يقول ابن وهبون[1]:

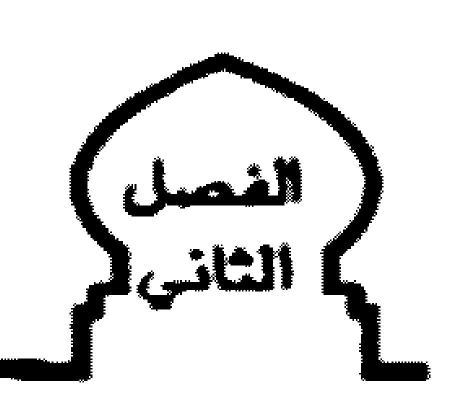
---

(1) انظر النفح 1: 216- 217.

(2) ديوان ابن زيدون / 261.

(3) نفسه / 153.

(4) ينظر القلائد: 83، المطرب: 169، المغرب 1: 389 – 391.



لله مـــن ابكيــه ملءمـــدامعي   وأقــول لاشـــلت يمـــين القاتـــل

ومنهم من حبس نفسه في البيت بعد زوال نفوذه او ادراكه لمصيره، فالوزير أبـو عيسى ابن لبون وزير المأمون بن ذي النون، بعد أن أخرج من السهلة، اعتكف في بيته قائلا[2] منها:

مـن كـسر بيتـي لي روض ومـن كتبـي   جلـيس صـدق عـلى الأسرار مـؤتَمن

ومـا مـصابي سـوى مـوتي ويـدفنني   قـومي ومـا لهـم علـم بـما دفنـوا

الفقهاء والقضاة:

كانت خطة القضاء مهمة جدا في الأندلس لتعلقها بأمور الدين وحقوق العامة وما يتبعها من وظائف كالمحتسب وخطة المظالم وخطة الأشراف وولاية السوق وخطة الشورى وتعيين القضاة الصغار.... لذلك كان يختار مَن هم اَهلٌ لهـذا المنـصب[3]، وكانـت منـزلتهم سامية عند الحكام يقفون إلى جانبهم لتأييد اَرائهم وافكارهم حتى يكونوا لهم سندا في شرعية حكمهم، في مصلحة متبادلة لذلك حاربوا الفلسفة تقربا إليهم وأفتوا بحرق كتب ابـن حـزم والغزالي وغيرهما[4].

وفي عصر الفتنة تعطل القضاء وانتهكت حرماتها إلى أن أعيدت في عهد بنـي حمـود إلى القاضي عبد الرحمن بن بشر[5].

وفي عصر دويلات الطوائف شكل عدد من الفقهاء دويلات خاصة بهم كابي حـزم بـن جهور في قرطبة والقاضي اسماعيل بن عباد في اشبيلية وابـن بعـيش في طليطلـة، وقـد أنقـسم

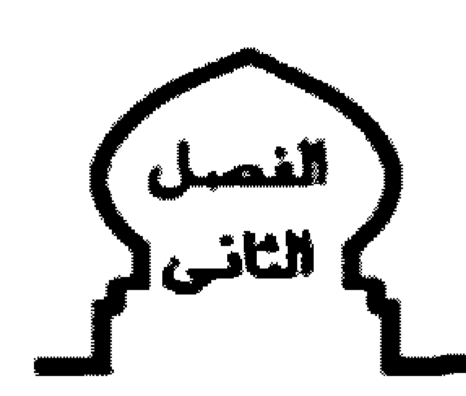
(1) الذخير 2/ 1 : 431.

(2) المغرب 2: 377.

(3) ينظر النفح 1/ 317-318، ديوان ابن الزقاق / المقدمة / 17- 22.

(4) الأدب العربي في الاندلس / 39.

(5) تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس / 444-445.



الفقهاء إلى فئتين، منهم سار على درب الحكام متغافلين عن جورهم مقابل منافع دنيوية من المال والجاه لذلك وصفهم ابن خفاجة بقوله[1]:

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها صدور مراتب ومجالس

وتزهدوا حتى أصابوا فرصةً في أخذ مال مساجد وكنائس

وأن ابن حيان المؤرخ أرجع فساد الأمر وطغيان الحكام في عصر الطوائف إليهم بقوله: (ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين من هم كالملح: فيهم الأمراء والفقهاء قل ما تتنافر أشكالهم، بصلاحهم يصلحون، وبفسادهم يردون، فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا هذين بها لا كفاية له، ولا مخلص منه فالأمراء القاسطون، قد نكبوا بهم عن نهج الطريق ذيادا عن الجماعة وحوشا إلى الفرقة، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم، صدوف عما أكد الله عليهم في التبيين لهم، قد أصبحوا بين آكل من حلوائهم وخائض في اهوائهم وبين مستشعر مخافتهم، أخذ بالتقية في صدقهم[2]) فأصبح الفقه عند بعضهم وسيلة للإرتزاق وكسب العيش، جاء في إنه عندما أخذ النصارى مدينة طليطلة أرتد الفقيه أبو القاسم الخياط وحلق وسط رأسه وشد الزنار، فقال له أحد أصحابه في ذلك، أين عقلك ؟ فقال: (ما فعلت هذا إلا بعد ما كمل عقلي) وقال شعرا منه[3]:

تلون كالحرباء حين تلون وأبصر دنياه بملء جفونه

وكل إلى الرحمن يومي بوجهه ويذكره في جهره ويقينه

ولو أن دينا كان نفيا لخالقي لما كنت يوما داخلا في فنونه

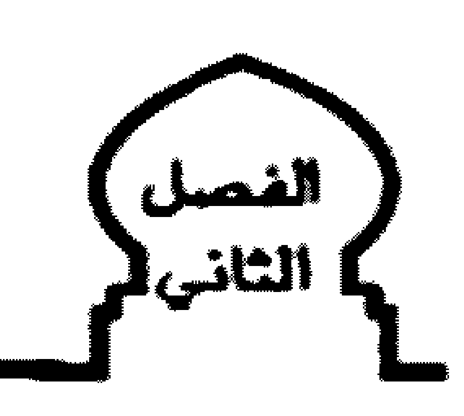
وكانت الخصومة بين الفقهاء والأدباء أمرا ظاهرا تعود أسبابها في الغالب إلى المنافسة على المكانة عند الأمراء، لذلك أصبح كثير منهم موضوعا للتندر والفكاهة، وكان الأديب

---

(1) ديوان ابن خفاجة/ 366.

(2) الذخيرة 3/ 1: 180.

(3) المغرب 2: 22.



يقنص الفرصة للسخرية منهم، فأبن شهيد في رسالة التوابع والزوابع جعل بطل رسالته في الحلواء فقيها شرها بخيلا، تفنن في العبث به بأسلوب المتهكم الساخر[1] وجاء في الذخيرة إن ابن الاستاذ قد ولي خطة الأشراف في بطليوس، فقطع جراية بعض الناس فقال ابن اللبانة[1]:

معشر الأضياف ضجوا	قد أتى الدهر بآبه
قد أتاكم بنبي	شرعه قطع الجرايه

وإن نقمة الناس على هؤلاء الفقهاء، جاءت من البون الشاسع بين حقيقتهم وبين الصورة الفقيه المثالي التي تختلف عن عموم الناس من حيث العلم والحلم والوقار والتواضع في أمور الدنيا... ومن الفقهاء من شارك في الحياة السياسة حسبة لله تعالى كأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الذي دعا إلى توحيد الأندلس، وأبي الحسن الهوزني الذي قتله المعتضد بن عباد بيده نتيجة كثرة دعواته في التصدي للافرنج بعد حادثة سقوط مدينة بربشتر عام 456 هـ[2]، وأبن حزم الأندلس، وأبي إسحاق الألبيري من خلال نقدهما اللاذع لملوك الطوائف، وابن جحاف المعافري الذي أحرقه السيد القمبيطور اثناء احتلاله بلنسية[3]، كما ساهم الفقهاء في تهيئة الأمور لعبور المرابطين إلى الأندلس والتصدي للافرنج والقضاء على الدويلات الطوائف، حيث عبر بعضهم إلى المغرب كقاضي بطليوس أبي اسحاق بن مقنا، وقاض غرناطة القليعي، وقاضي اشبيلية أبي بكر بن ادهم[4].

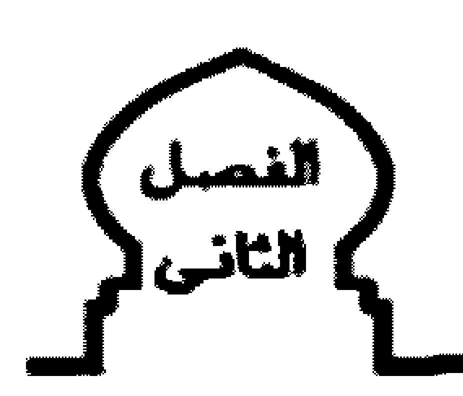
---

(1) الذخيرة 3/ 2: 672، المغرب 1 : 239.

(2) الذخيرة 2/ 1 : 81.

(3) البيان المغرب 4: 31-32، أعمال الاعلام : 179-182.

(4) الحلة السيراء 2: 98 – 99.



واعتمدت الدولة المرابطية في إدارة شؤون الأندلس عليهم[1] في حين احتفظت طبقة منهم بهيبتها ووقارها وفرض احترامهم على رؤسائهم نتيجة تمسكهم بمبادئ الإسلام وعدم جريهم وراء متاع الدنيا، فالمتوكل بن الافطس صاحب بطليوس تورع عن شرب الخمر بحضور القاضي ابن مقنا رغم ميله إليها، عندما توجه إلى شنترين

ومعه الشاعر ابن عبدون فتلقاه القاضي وقدم له الطعام ولازمه الليل والمتوكل محتشم منه، فخرج ابن عبدون الى بعض اصحابه، واعد له مجلس انس ولم يخبره الا عندما علم بانفصال القاضي عنه، فارسل له بقطيع خمر وطبق ورد وكتب معهما:

إليكها فأجتلها منيرة	وقد خبا حتى الشهاب الثاقب
واقفه بالباب لم تأذن لها	إلا وقد كاد ينام الحاجب
فبعضها من المخاف جامد	وبعضها من الحياء ذائب

فقبلها وكتب إليه:

قد وصلتْ تلك التي زففتها	بكرا وقد شابت لها ذوائب
فهُبّ حتى نسترد ذاهبا	من انسنا، إن استُرد الذاهبُ[2]

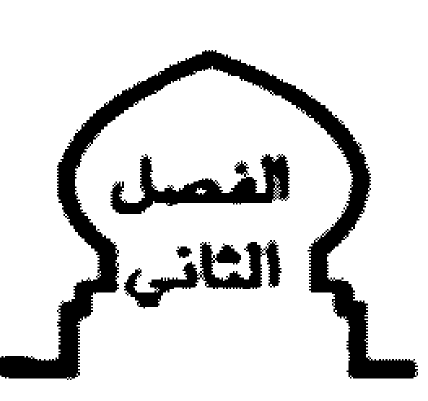
في حين ان أعدادا منهم فضلوا العيش في عزلة من الحكام مخلصين لمبادئهم كابن حزم في أواخر عمره، وكانت معارضتهم سلمية بالامتناع عن تولي المناصب خوفا من السقوط في شباك الأمراء والملوك[3].

---

(1) تاريخ الادب الاندلسي / عصر الطوائف والمرابطين 38.

(2) الحلة السيراء / 2: 107.

(3) ينظر (دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة للباحث خليل ابراهيم الكبيسي – رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي / 1980.



التجار الكبار وأصحاب المزارع الواسعة:

كان لهذه الطبقة دور مهم في الحياة السياسية والإقتصادية، فبنو عباد وبنو جهور وبنو طاهر كانوا من بين هذه الطبقة المحاطة بطائفة من العبيد والخدم ومجموعة من العمال الصناعيين أو الزراعيين حسب مجال نشاطهم التجاري، وكانوا يتوددون للأمراء والحكام ويسيطرون على اقتصاد مناطقهم، فينعمون بترف ورخاء، ويعيشون في إسراف وتبذير وتشييد للقصور والعمارات، واعتناء بالملابس الفاخرة، وإكثار من الغلمان والجواري. واللافت للنظر إن الأندلس كانوا يعمرون أراضيهم ويرعون تجارتهم من غير اكتراث كبير بشأن الحرب ومصير البلاد، لأن الدفاع كان مرتبطا بالقوة الضاربة المدافعة عن المدينة، وبطبقة من الجنود المحترفين والمرتبطين بالأمارة، وقد أورد ابن بسام حال هذه الطبقة في بلنسية أيام حكم الصقلبين مظفر ومبارك قائلا (... فبنوا بها المنازل والقصور، واتخذوا البساتين الزاهرة، والرياضات الفاخرة، وأجروا خلالها المياه المتدفقة... ومنهم من قدرت نفقته على منزله مائة ألف دينار)[1].

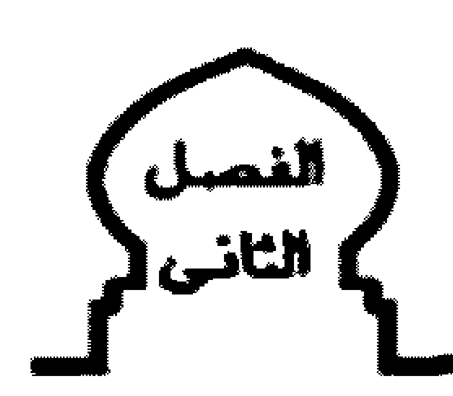
ووصف منزل أحد التجار قائلا (... أنه رأى في فرش مجلسه مطارح من صلب الفنك الرفيع مطرزة كما تدور بسقلاطوني بغدادي، وإنه كان يقابل ذلك المجلس شكل ناعورة مصوغة من خالص اللجين من أغرب صنعة يحركها ماء جدول يخترق الدار أبدع حركة إلى أشياء تطابق هذا السرو: من جودة الآلة والآنية والمائدة وجمال الخدم ورقة الأسمعة[2] وفخامة الهيئة ما لها شيء فوقها)[3].

---

(1) الذخيرة 3/ 1: 17- 18.

(2) الاسمعية: مجالس الغناء.

(3) الذخيرة 3/ 1/ 181.



فالتجارة كانت مزدهرة رغم الاضطرابات السياسية التي كانت تجتاح الأندلس لطبيعة هذه البلاد الغنية بالخيرات الزراعية والطبيعية ووفرة الصناعات الحرفية والمحلية وموقعها المتميز بين أوربا النصرانية والشرق وكثرة موانئها وتعدد عواصمها [1].

ومن المنتجات الزراعية، الفواكه بأنواعها، قال المقرى (وأنصاف الفواكه في الأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ويوجد في سواحلها قصب السكر والموز... ولايعدم فيها إلا التمر)[2] وقال في موضع آخر (وفواكهها تتصل طول الزمان فلا تكاد تعلم) وقد فصل القول في أنواعها وأشجارها[3]. وقال: (وأما التين واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المشرق والمغرب)[4] لذلك أكثر الشعراء من وصفها وأصبحت الفواكة جزءا من حياتهم يتلذذون لطعمها وجمالها في آن واحد، ومقطوعاتهم الشعرية في وصف الفواكة والثمار لاتحصى واشتهر بينهم ابن خفاجة في إدراكه لنعمة الجمال في أنواع الفاكهة، منه قوله في وصف العنب[5]:

واسود معسول المجاج له أنه	لمى شفة لم أرو يوما من القبل
حكى ليلة الهجر اسودادا وإنّه	لأشهى وأندى من جنى ليلة الوصل

وقوله النارنج بأسلوب غزلي[6]:

ومياسة تزهى وقد خلع الحيا	عليها حلى حمرا واردية خضرا
يذوب لها ريق الغمامة فضة	ويجمد في أغصانها ذهبا نضرا

(1) صفة المغرب / 200.

(2) النفح 1/ 200.

(3) ينظر نفسه 1/ 140 - 144.

(4) نفسه 1/ 152.

(5) الذخيرة 3/ 2 : 590 ، ديوان ابن خفاجة 350.

(6) نفسه 3/ 2/ 613، الديوان 69.



وأبو الوليد الحميري (ت 440هـ) صاحب كتاب – البديع في وصف الربيع – الذي وصف معظم أنواع الفاكهة والزهور[1]، منه قوله في الاترج:

جسم من النور في ثوب من النار كأنه ذهب من فوق بُلار

وفي الفستق أيضا يقول:

صدف ابيض نقي ذو بهاء ورونق

وكان من اعتزاز الأندلسيين بالثمار انتقاء أحسنها وإهداؤها إلى المراتب العليا فأبن زيدون أبو وليد لشدة إحساسه بجمال التفاح بعث الى إبن جهور تفاحا مع قصيدة مطلعها[2]:

أتتك بلون المحبّ الخجل تخالط لون المُحب الوجلْ

ثمار تضمن إدراكها هواء، أحاط بها معتدل

وقوله كذلك في تفاح بعثه الى المعتضد[3]:

جاءتك جامدة المدا م فخذ عليها ذوبها

ولم يقتصر على ذكر التفاح، وله في العنب العذاري وقد أهداه إلى جده لامه منهاأبياتا أولها[4]:

أتاك مُحييا عني، اعتذارا عذارى دونه ريق العذارى

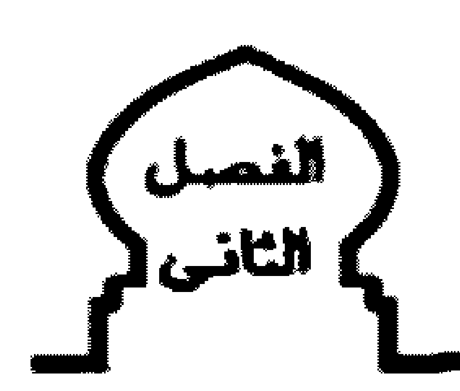
---

(1) البديع في وصف الربيع / 86 – 159.

(2) ديوان ابن زيدون / 259.

(3) نفسه / 262.

(4) ديوان ابن زيدون / 270.



كما اشتهرت الأندلس بالأرز، والزيتون، والكرنب، والزعفران، وحب الملوك، والقطن والتين المجفف والزيت والسكر والحبوب[1] فضلا عن اشتهارها بالمعادن مثل: الحديد والذهب والفضة والنحاس والصفر والرخام والزئبق[2] والمنتوجات المصنعة مثل الحلي والمفروشات والنسيج والديباج والاقمشة والزجاج والفخار والفسيفساء الملونة والخمور... والحيوانات[3] وغيرها وكان التجار يتنقلون من مكان إلى آخر بحثا عن الربح لذلك قال الشاعر أبو وليد بن مسلمة[4]:

إذا خانك الرزق في بلدة	ووافاك من همها ما كثر
فمفتاح رزقك في بلدة	سواها فردها تنل ما يسر

وكانت هناك طبقة أخرى تسمى بالملاكين العقارات كان لهم دور في اقتصاد المدن، وإن هذه الطبقة من التجار والعقارين وأصحاب المزارع كانوا يساندون السلطة ويدورون في فلكها وإذا تعرضوا لضرائب باهظة أو ضربت مصالحهم فأنهم لم يترددوا في الإتصال بأعداء السلطات ومساعدتهم[5] ولدينا في ذلك أمثلة كثيرة في عهد الطوائف، منها ما قام به اعيان مالقة سنة 459 هـ في الكتابة إلى المعتضد بن عباد للتخلص من حكم باديس بن حبوس صاحب غرناطة[6] خاصة إن التجار في الأوضاع السيئة ينحول أصحابها إلى مغامرين جدد لم يكن لهم سابق عهد بها ويكون بذخهم للأموال بالسرعة التي يحصلون عليها، وتجري بينهم في أحيان كثيرة التصفيات

(1) معجم البلدان 1: 254 ، النفح 1/ 140 -144 ، الحياة العلمية في بلنسية / 64.

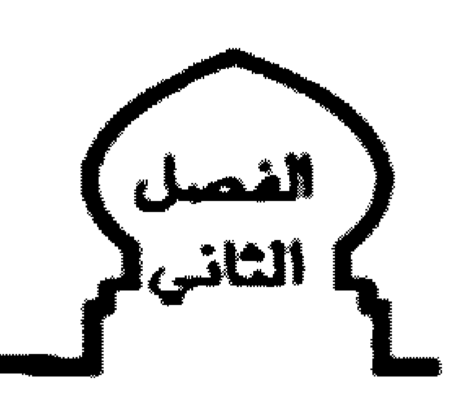
(2) النفح 1: 200.

(3) الحلة السيراء 1: 253، المغرب 1: 424، النفح 1: 163 ، تاريخ العرب 3: 703.

(4) النفح 4: 113.

(5) اشبيلية في القرن الخامس / 51- 52.

(6) التبيان : 43 ، البيان المغرب 3: 274.



الجسدية، أو مصادرة الأموال ونهبها من قبل العامة في الاضطرابات السياسية وتكون المادة مقياسا للمفاضلة بينهم، وهذا ما دل عليه قول ابن سارة الشنتريني[1]:

أرى الدينار للدنيا نسيبا ... يحيد عن الكرام كما تحيد

هما سيان إن صحفت حرفا ... وجدت الراء تنقص أو تزيد

رأيت هواهما استولى علينا ... فنحن بحكمه أبدا عبيد

الطبقة العامة:

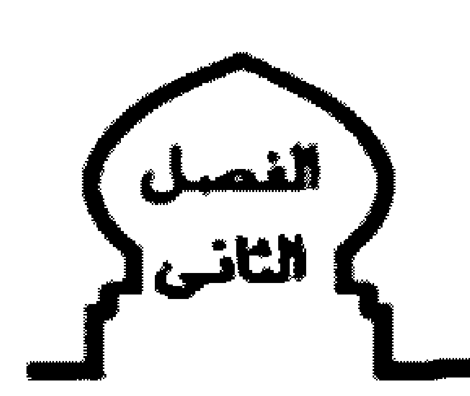
وهي الطبقة التي تحصل على قوتها من عمل أفرادها، وتتأثر بالظروف الخارجية والداخلية سريعا، وتتارجح مستوياتهم بين المتوسط ودونه تبعا لأحوالهم المعاشية التي لاتستقر على وتيرة واحدة في ظل ظروف متقلبة ومفاجآت لاحصر لها، وتكون في الغالب مرتبطة بالطبقة الغنية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ويدخل ضمن هذه الطبقة من سكان المدن، أصحاب المشاريع الصناعية الصغيرة وأصحاب المحلات والأجراء والعاطلين عن العمل والمشردين من أبناء المدن الأخرى والعبيد وجواري الخدمة والموظفين والجنود، ورجال العلم والأدب الذين لم يصلوا إلى بلاطات الملوك، فضلا عن الفلاحين والأجراء العاملين في المزارع، فالبون كان سعا جدا بين هذه الطبقة وبين الطبقة الغنية، وقدر أحدالباحثين استنادا إلى رسالة في الحسبة للسقطي، أجور العمال وأصحاب الحرف في القرن الخامس للهجرة بمعدل درهم ونصف إلى ثلاثة دراهم، وأن معدل سعر الكيلو غرام الخبز كان يبلغ نصف درهم في ظروف اعتيادية[2]. وهذا يتفق مع ما قاله المقري عن أجور العمل في القرن الرابع للهجرة في بناء مدينة الزاهرة[3] في حين كان

---

(1) الذخيرة 2/ 2 : 843.

(2) اشبيلية في القرن الخامس / 56 – 57.

(3) النفح 1 :526.



راتب عبدالملك بن شهيد وزير عبدالرحمن الثالث يبلغ خمسمئة دينار ذهبا شهريا وقد رفعه إلى ألف دينار إثر هدية أهداها له، ووهبه في إحدى المناسبات ثمانين ألف دينار[1]. وأن ابن رزين صاحب السهلة – وهي مدينة صغيرة – إشترى جارية واحدة في عصر الطوائف بملغ ثلاثة آلاف دينار[2]. وتذكر الروايات أن المعتمد بن عباد اشترى جارية بثلاثين ألفا بعد ان أعجب بغنائها وحسن لغتها[3]. علما إن الدينار كان يعادل عشرة دراهم إلى عشرين درهما تبعا لثقله وثمن الذهب والفضة. وقال المقري (وصرف الدينار سبعة عشر درهما)[4].

وفي المقابل كان بعض من الناس لايمتلك دارا يأوي إليه، قال أبو عامر بن الأصيلي[5]:

إلى أين الفرار ولا فرار ... ومن لي بالقرار ولا قرار

أرى الأوغاد يعتمرون دورا ... وما لي في بلاد الله دار

ومنهم من كان يأكل حشائش والبقل ويلبس الحصر والجلود[6].

وعلى الرغم من ذلك فأن النشاط الاقتصادي كان قائما، وأصحاب المحلات الصناعية كانوا قد تكيفوا بما يضمن لهم استمرار أعمالهم وفتح الأبواب أمام الحرفيين والعمال للعمل والتأثير على حركة التجار بصورة عامة.

ومن الصناعات المحلية استخراج الخمور من الكروم، والزيوت من الزيتون، حيث كان أهل اشبيلية يتاجرون إلى أقصى المشارق والمغارب برا وبحرا[7]. وصناعة الفرش الجلدية

---

(1) نفسه 1: 356.

(2) الذخيرة 2/ 1: 112.

(3) بدائع البداائية 1: 74، الشعر في ظل بني عباد / 71.

(4) النفح 1: 211.

(5) الذخيرة 3/ 2 : 861.

(6) البيان المغرب 3/ 19.

(7) الشعر في ظل بين عباد / 42.

والدباغة والكتان والنسيج ولا سيا نسج الحرير الذي شتهرت به اشبيلية، كما أن المرية وقرطبة اشتهرتا بكثرة النول فيهما[1]. وصناعة الورق معروفة آنذاك ففي مدينة شاطبة كان (يعمل بها الكاغد مالايوجد له نظير بمعمور الأرض)[2] وصناعة الفخار والفسيفساء الملونة، واشتهرت مالقة بصناعة الفخار المذهب والصياغة والوشي المذهب وعمل البسط والمفروشات[3]، وصناعة الزجاج والتعدين واستخراج مواد الخام من الأرض مثل الحديد والنحاس والفضة والذهب والزئبق[4]، ودور لصناعة الأسلحة والسفن[5] وغيرها، فضلا عن أصحاب الحرف الخدمية المطلوبة في المجتمعات المتحضرة كالطب الذي اشتهر في تلك الفترة أبو القاسم بن عباس الزهراوي الذي ألف موسوعته الطبية (التعريف لمن عجز عن التأليف)، حيث تمكن من سحق الحصاة في المثانة وتشريح الأجسام الحية والميتة وأجرى عمليات في العيون والأسنان والولادة[6] واحترف بعض الشعراء مهنة الطب كأبي عبدالله محمد بن مسعود المشهور بالهزل في نظمه ونثره مثل قوله[7]:

ولم أزل في عكاظ	أصيح في دكانِ
هذا الطبيب المداوي	هذا الحكيم المعاني
فيا لعوقي وكتبي	وكحلي الأصبهاني

(1) تاريخ العرب / 3: 703.

(2) معجم البلدان 3: 235، البيان المغرب 2: 296.

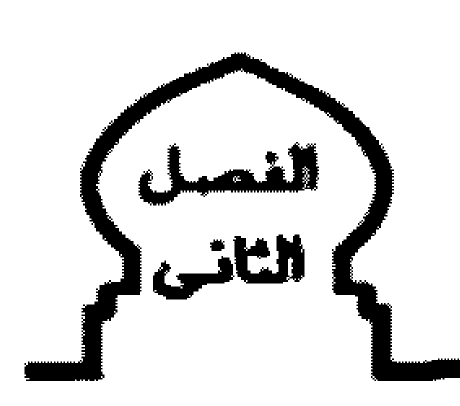
(3) ينظر المغرب 1: 424، النفح 1/ 152، 201 – 202.

(4) النفح 1/ 151.

(5) رحلة الأندلس / 71.

(6) الحضارة الإسلامية في الأندلس / 59.

(7) الذخيرة 1/ 1: 555.



إذا تكحلت منه يوما فلست تراني

والحرف الاخرى كالخبازة والحدادة والجزارة....فيحيى السرقسطي المعروف بالجزار، فضل الجزارة على الشعر، حيث أمر ابن هود وزيره أبا الفضل حسداي ان يوبخه لرجوعه الى الجزارة، فخاطبه بأبيات أولها[1]:

تركتَ الشعر من ضعف الاصابة وعدت الى الدناءة والقصابه

فأجابه يحيى الجزار بأبيات منها:

تعبت علي مألوف القصابه ومن لم يدر قدر الشي عابه

ولو أحكمت منها بعض فن لما استبدلت منها بالحجابه

وقوله:

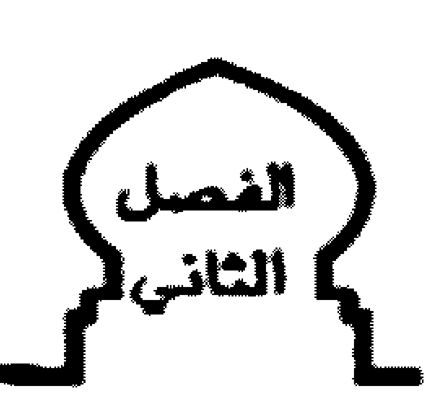
وحقك ما تركت الشعر حتى رايت البخل قد امضى شهابه

وحتى زرت مشتاقا حميا فأبدى لي التجهم والكابه

أما الفلاحون فهم الفئة المغمورة من أبناء الاندلس كانوا يمثلون الاكثرية الساحقة ولم يكن لهم تأثير على الساحة السياسية والادبية، وان معظمهم كانوا يزرعون تحت شروط معينة عند ملاكي الاراضي الذين استولوا عليها منذ الفتح الاسلامي. وكانوا يتاثرون بالحروب التي كانت تخرب مزروعاتهم وتنهب ممتلكاتهم[2]. وقد أتبع الافرنج بحقهم سياسة الارض المحروقة في غاراتهم المتكررة أو أثناء توغلهم لمساعدة طرف ضد أخر حيث كانت اموالهم

(1) نفسه 3/ 2 : 905 – 906.

(2) اشبيلية في القرن الخامس / 47 – 48.



معرضة للنهب والسلب، فلنا في ذلك قصيدة لابي بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي يصف بقرة اخذها منه الافرنج منها قوله[1]:

وفجعنـــــي ذا الريـــــق لا دّر دره ... بـــأم عيـــال مـــا عرفنـــا بهـــا الجـدْبا

تـــرى فخـــذيها يحمـــلان خزانـــة ... اذا فتحتهـــا اصـــبعا مـــلات وطبـــا

فكانوا ضحايا سائغة لاعداء حكامهم في وقت كان سكان المدن في منعة لتحصنهم داخل اسوار وحصون، لذلك اهملت قطاعات شاسعة من الاراضي البعيدة، وركزوا على الاراضي القريبة من المدن والحصون والقلاع، فانتشرت الزراعة بشكل خاص حول المدن ولاسيما البساتين، فبلنسية على سبيل المثال لم يكن يراها من يقبل عليها الا حين يكون في وسطها لان البساتين قد حفت بها وحجبتها والى هذا يشير أبن عبد العزيز من سكانها قائلا[2]:

كـــأن بلنـــسية كاعـــب ... وملبـــسها ســـندس أخـــضر

اذا جئتهـــا ســـترت نفـــسها ... باكمامهـــا فهـــي لا تظهـــر

والاندلس رغم كثرة أنهارها وخصب تربتها واعتدال مناخها كانت معرضة لموجات الجدب المتلاحقة كأن بركتها قد أصيبت لكثرة معاصيهم وجاء في القلائد (إن الجدبَ توالى بحضرته حتى جفت مذانبها وأغبرت جوانبها، وغرد المكاء في غير روضة، وخاض الناس بالبأس أعظم خوضه وابدت الخمائل عبوسها وشكت الأرض بؤسها، فأقلع المتوكل عن الشرب واللهو ونزع ملابس الخيلاء والزهو وأظهر الخشوع وأكثر السجود والركوع إلى أن غيم الجو وأنسجم النو... وصابَ الغَمام وغنت الحمامُ وسفرت الازهار وزهت النجاة

(1) الذخيرة 2/ 2 : 769.

(2) الصلة 2: 433.

والاغوار... وصادف أن أقبل أبو يوسف المغني فردد المتوكل على الله أبو محمد عمر بن المظفر قول ابن عبدون:

ألمَ أبـــو يوســـف والمطـــرْ　　فيـــا ليـــتَ شـــعري مـــا ينظـــر

ولـــست بـــأب وأنـــت الـــشهيد　　حـــضور نـــديك فـــيمن خـــضرْ

و لا مطلعـــي وســـط تلـــك الـــسما　　بـــين النجـــوم وبـــين القمـــرْ

ركـــض فيهـــا جيـــاد المـــدا　　م محثوثـــة بـــسياط الـــوتر[1]

وفضلاً عن الجفاف كان الجراد ينتشر ويتلف المحاصيل ويقضي على الزرع ويزيد في الأرض جوعاً وخرابا. وقد عبر ابن رشيق القيرواني عن كثافة الجراد قائلاً[2]

بيـــنما نرتجـــي ســـحابة مُـــزن　　غـــشيتنا ســـحابةٌ مـــن جـــرادِ

لـــيس مـــن قلـــة ولا بخـــل رب　　انـــما ذاك مـــن ذنـــوب العبـــادِ

ومع ما تقدم فقد كثرت الضرائب التي اثقلت كاهل المواطنين كافة، وجاء في الذخيرة في الحديث عن المظفر والمبارك (بلغت جبايتهما، لأول أيامهما إلى مائة وعشرين ألف دينار في الشهر سبعون ببلنسية ،وخمسون بشاطية، فيستخرجانها بأشد العنف من كل صنف حتى تساقطت الرعية وجلت أولاً فأولاً وخربت أقاليمهم أخراً، فأقبلت الدنيا يؤمئذ عليهما بكثرة الخراج)[3]

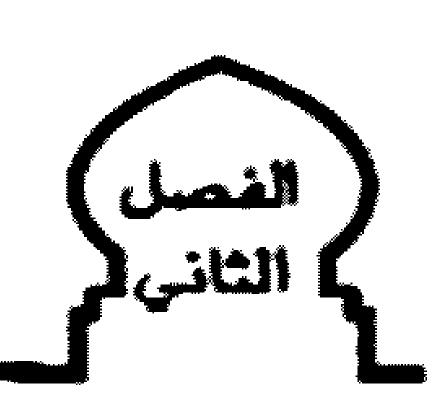
لقد كانت الضرائب تفرض في الاندلس على أصحاب الضياع في الريف،وعلى الناس في المدن معونة على شؤون الحرب أو لدفع الاتاوات الثقيلة إلى ملوك الإفرانج، ولتغطية نفقات الترف والعمران في ظل دويلات الطوائف، فكان الناس كثيري الشكوى من

---

(1) القلائد/ 44.

(2) ديوان ابن رشيق/ 69.

(3) الذخيرة 3/ 1: 15-16.



الضرائب وقلة الحاصلات، فالشاعر يحيي السرقسطي المعروف بالجزار كتب إلى عامل على الأعشار بقصيدة يوضح فيها طبيعة أرضه وقلة حاصلاتها[1]

جدبة بعضها من الشؤم أضحى ... في علوٍ و بعضها في انحدار

لم يزل زارعا بها حمل بغل ... رافعا منه نصف حمل حمار

ساءني ما أصبت فيها ولكن ... سرني منه خيبة العشار

ما أبالي وقد غدا لي ركنا ... صاحب الشرطة الكريم

و رفعت طائفة من الرعية على خازنٍ إلى المستعين بالله بن هود فوقع لهم[2]:

نسبتم الظلم لعمالكم ... ونمتم عن قبح أعمالكم

تالله لو حكمتم ساعة ... ما خطر العدل على بالكم

وكان صاحب الخراج في الأندلس (أعظم من الوزير، أكثر اتباعا و أصحابا، وأجدى منفعة، فإليه تميل الأعناق، و نحوه تمد لأكف...)[3]:ومع هذا كان يتعرض لنكبة و المصادرة و لاسيما بعد أن يكثر من البنيان و الأموال.

ومن الظواهر الاجتماعية البارزة في الطبقة العامة فضلا عما ورد :

الفقر الشديد: من ذلك قصائد كثيرة يعبر من خلالها الشعراء عن اوضاعهم الاقتصادية السيئة ،منها ماقاله صاحب الأرجوزة التاريخية الطويلة أبو طالب عبد الجبار قوله[4].

---

(1) الذخيرة 3/ 2 : 907.

(2) نفسه 3 / 2: 909

(3) النفح 1/ 217.

(4) الذخيرة 2/1: 916، المغرب 2: 372.

كيـــف البقـــاء ببيـــت لا أنـــيس بـــه ولا وطـــاء ولا مـــاء ولا فـــرش

كأنـــه كـــوة في حـــائط نقبـــت في ظلمة الليل يـأوي جوفهـا حنـــــش

وجاء في صلة الصلة لابن الزبير أنه حدثت في اشبيلية سنة 448هــ مجاعة مريعة لدرجة خطيرة اضطر الناس فيها دفن كل ثلاثة أو أربعة أشخاص في قبر واحد[1]

الاغتراب والرحيل عن الأوطان: دعا أبو محمد غـانم (470هــ) إلى الرحيـل لـضيق السبلو اضطراب الأحوال[2]:

و إذا الـــديار تنكـــرت عـــن حالهـــا فـــذر الـــديار و أسرع التحـــويلا
لـــيس المقـــام عليـــك حـــتما واجبـــا في بلـــدة تـــدع العزيـــز ذليـــلا

و قول سليمان بن محمد الصقلي[3]:

تقلـــب دهرنـــا فالـــصقـــر فيـــه يطالـــب فـــضل أرزاق الحَـــمام

عـــلى الـــدنيا العفـــاء فقـــد تنـــاهى تـــسرعها إلى أيـــدي اللئـــام

و مـــا الـــنعماء للمفـــضول إلا كمثـــل الحـــلي للـــسيف الكهـــام

ذرينـــي أجعـــل الترحـــال ســـلكا أنظـــم فيـــه ســـاحات المـــوامي

ومن ثم الشكوى من نوائب التغرب من جراء الترحال كقول الحلواني أبي الحسن عبد الكريم بن فضل القيرواني[4]:

---

(1) اشبيلية في القرن الخامس / 54.

(2) الذخيرة 2/ 1: 854، الجذوة 1: 317 ونسبت في المغرب لأبن عيسى الألبيري 2: 95.

(3) الذخيرة 4/ 1: 120.

(4) نفسه 4/ 1: 299.

يـا نفـس ويحـك في التغـرب ذلـة   فتجرعـي كـأسي أذى وهـوان

شيوع ظاهرة الكدية: منهم الشاعر أبو عامر بن الاصيلي الذي كان ينتقل من بلدة إلى أخرى، له مقطوعات يصف ما تعرض له من الذل و الهوان و الحاجة من خلال استعطائه[1]:

فكـم كـأس ذل تجرعتُهـا   و لم أبـدها و هـي لي مخزيـه

و كـم ليلـة بتهـا طاويـا   و نفـسي عـن الكـسف مـستحيه

و قوله في وصف أهل تلك المدن التي مر عليها بالبخل و عدم الخير نتيجة لكساد الوضع الاقتصادي[2]:

بـلاد عريـت مـن كـل خـير   فملـبس أهلهـا مقـت و عـار

غلطـت فزرتهـا فرأيـت قومـا   منـازلهم وان عمـرت قفـار

و من الشعراء من اختص بهذا النوع من الشعر كمحمد بن مسعود الذي شبه ابن بسام بابن الحجاج، و جاءت قصائده كأقاصيص شعرية مبنية على الفكاهة و المرح[3].

المرأة

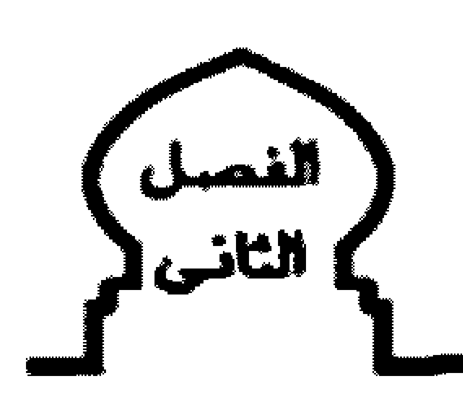
احتلت النساء دورا بارزا في المجتمع الاندلسي، و حملن من تناقضات العصر سماتها كافة، و تذبذب نشاطهن و شخصياتهن تبعا لمواقعهن أو مكانتهن في المجتمع في عصر متقلب غير مضمون العواقب، فشاركن الرجال في ميادين النشاط الاجتماعي و السياسي و ترجم لهن اصحاب كتب التراجم فكانت منهن الشاعرة و الفقيهة و الواعظة و النحوية و اللغوية و

---

(1) نفسه 3/ 2: 859.

(2) الذخيرة 3/ 2: 861.

(3) نفسه 1/ 1: 559-261.



الكاهنة و المؤدبة و العاملة[1]... و الف الاندلسيون فيهن كتبا، اشهرها طوق الحمامة لابن حزم الاندلسي الذي تلقى تعليمه في بداية نشأته على أيدي النساء و قوله في الحديث عن نفسه (وهن علمنني القرآن و روينني كثيرا من الأشعار ودربنني في الخط)[2].

و قد نال بعضهن حظا وافرا من التعليم ونبغن في العلوم و الفنون و الادب، و ساجلن الرجال في مجالس الشعراء و الادب و الغناء و الموسيقى[3]. و برزت بينهن شخصيات كان لهن دور في حياة الامراء و الملوك، كاعتماد الرميكية التي احتلت مكانة مرموقة عند زوجها المعتمد بن عباد الذي قال[4]:

حب اعتماد في الجوانح ساكن	لا القلب ضاق به و لا هو راحل
من شك أني هائم بك مُغرم	فعلى هواك له عليَّ دلائلُ

و انه تلقب بالمعتمد لينظم اسمه مع حروف اسمها و يقال انها هي التي ورطت المعتمد في الاستهتار و الخلاعة و المجون(5).

و اشتهرت المرأة الاندلسية بتحررها و الاختلاط بطبقات المجتمع اسوة بالرجال، كما كانت تعبر عن مشاعرها و عواطفها، فأم الكرم بنت المعتصم صاحب المرية هامت بفتى و اخدت تقول فيه شعرا بكل جرأة و تفصح عن مشاعرها قائلة(6):

يا معشر الناس ألا فأعجبوا	مما جنته لوعه الحب
لولاه لم ينزل ببدر الدجى	من أفقه العلوى للترب

(1) الذيل والتكملة / 8 : 477 -499

(2) طوق الحمامة / 121.

(3) البيئة الاندلسية / 58-60.

(4) ديوان المعتمد / 23.

(5) الشعر في ظل بني عباد / 29 – 31.

(6) المغرب 2: 202 -203.

حسبي بمن أهواه لو انه ... فارقني تابعه قلبي

و قولها:

ألا ليت شعري هل سبيل لخلوة ... ينزه عنها سمع كل مراقب

و يا عجبا اشتاق خلوة من غدا ... ومثواه ما بين الحشا والترائب

أما الحديث عن ولادة بنت المستكفي فتناقضت الأخبار الواردة في المصادر عنها و جاء في الصلة [1]:

(لم يكن لها تصاون يطابق شرفها) و زعموا انها كتبت على احد عاتقي ثوبها [2]:

أنا و الله اصلح للمعالي ... و أمشي مشيتي و اتيه تيها

وكتبت على الاخر:

وأمكن عاشقي من صحن خدي ... و أعطي قبلتي من يشتهيها

و جاء في النفخ انها مع ذلك كانت مشهورة بالصيانة و العفاف [3].

و روي عن ابن زيدون انه قال [4]: (كنت في أيام الشباب، و غمرة التصاب هائما بغادة تدعى ولادة، فلما قدر اللقاء و ساعد القضاء كتبتْ إلي:

ترقب إذا جن الظلام زيارتي ... فاني رأيت الليل اكتم للسر

وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا ... و بالليل ما ادجى و بالنجم لم يسر

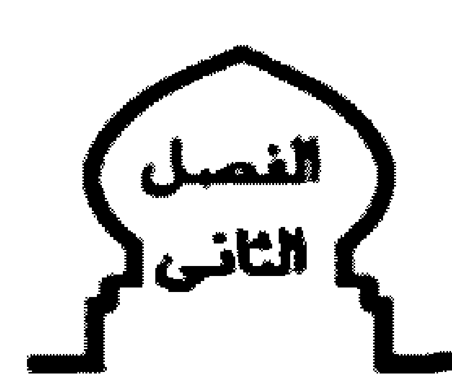
---

(1) الصلة 2: 696.

(2) الذخيرة 1/ 1: 429.

(3) النفح 4: 205.

(4) الذخيرة 1/ 1: 429 وقد ثبت محقق الكتاب شكوكاً حول صحة الرواية.



فلما طوى النهار كافوره و نشر الليل عنبره، اقبلتْ بقد كالقضيب و ردف كالكثيب... و بتنا ليلة نجني اقحوان الثغور و نقطف رمان الصدور...).

و قالت عنها مهجة القرطبية اقوالا شائنة وهي التي تعلقت بها ولادة و لزمت تأديبها إلى ان صارت شاعرة[1]، كما ان لولادة هجاء فاحش مكشوف لا يدل على حياء و خجل و لا سيما فيما قالته في هيجاء الاصبحي[2] وهي بنت الخليفة المستكفي بالله الذي قال عنه ابن حيان (لم يجلس في الامارة مدة الفتنة اسقط منه و لا انقص، اذ لم يزل معروفا بالتخلف و الركاكة مشتهرا بالشرب و البطالة)[3] و يروى ان مجلسها في قرطبة كان (منتدى لاحرار المصر، و فناؤها ملعبا لجياد النظم و النثر، يعشو اهل الادب الى ضوء غرتها، ويتهالك افراد الشعراء و الكتاب على حلاوة عشرتها، الى سهولة حجابها و كثرة منتابها)[4].

ومن مظاهر تحررهن ان الرجال كانوا يتحرشون بالفتيات على قارعة الطريق من غير حياء او خجل او خوف من الرقيب، من ذلك ما رواه ابو محمد بن غانم عن نفسه قائلا[5]:

(و كنا على الوادي في ايام الربيع، فمر به سرب ملاح فيهن جارية حسناء ظريفة المنطق، وهي تأكل باقلاء، فأعترضها و سألها منه، فدفعته إليه فقال بديهة:

و سرب ملاح مرّ بيّ و بصاحبي	ونحن على ماء يذكرنا عدنا
ويحملن فولا عندهن نظيره	عوان و لكن نوره عز ان يجنى
فقلت عسى من فولكن بقية	فقلن: واي الفول ترغبه منا؟

فقلت..............

---

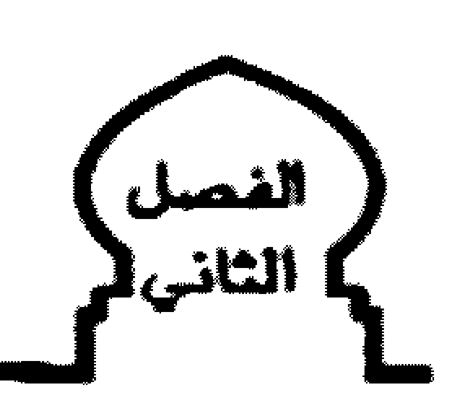
(1) المغرب 1: 143.

(2) النفح 4: 206.

(3) الذخيرة 1/ 1: 434.

(4) نفسه 1/ 1: 429.

(5) نفسه 2/ 1: 881.



فالقصيدة مملوءة بالفجور و التهتك و بعيدة عن الأخلاق و المعايير الاسلامية و فيها حوار و مداعبة.

و كان لانتشار الجواري وتحررهن، و ما يحملن من سمات جمالية، و منازعاتهن للحرائر و اختلاط المسلمين بالسكان الاصليين اثر في هذه الانطلاقة الاجتماعية التي لم تكن سمة عند الاندلسيات جميعا، فكانت فيهن محافظات اتصفن بالخجل و الحياء، و قد لمح عبد الرحمن بن هشام فتاة اسمها حبيبة بنت سليمان المستعين و قد سبق ان خطبها من امها و اوما بالسلام، فلم ترد عليه خجلا فقال قصيدة مطلعها[1]:

سلام على من لم يجد بكلامه و لم يرني اهلا لرد سلامه

سلام على الظبي الذي كلما رمى اصاب فؤادي عامدا بسهامه

وقال الوزير الكاتب ابو عمر الباجي في نساء سرقسطة[2]:

فما انس لا انس ذاك الحياء وذاك السناء و تلك الشيم

وكن يتسترن احيانا بالخمار و النقاب و اللثام، التي اصبحت ملامح للجمال كما قال ابن زيدون[3]:

رأيت الشمس تطلع من نقاب وغصن البان يرفل في وشاح

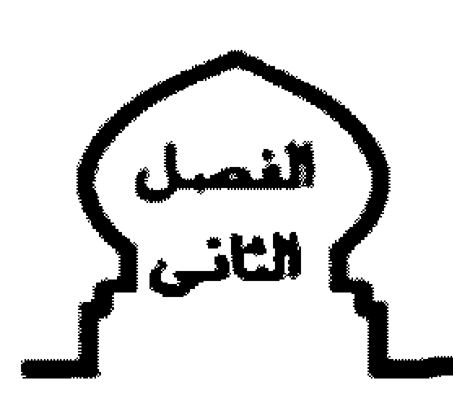
أما (الجواري) فحضورهن في المجتمع الاندلسي كان كبيرا و لا سيما عند الطبقة العالية بسبب كثرة الغنائم و السبايا في عهد المنصور بن ابي عامر في الربع الأخير من القرن الرابع للهجرة إذ كان لهن اثر على الحياة الاجتماعية و اصبح حضورهن ظاهرة بارزة في المجتمع

---

(1) الحلة 2: 15.

(2) القلائد / 106.

(3) ديوان ابن زيدون / 149.



الاندلسي و امتد تأثيرهن إلى عهد ملوك الطوائف، و في ذلك يقول صاحب المعجب عن عهد ابن ابي عامر (ملأ الأندلس غنائم و سبايا من بنات الروم و أولادهم و نسائهم و في ايامه تغالى الناس بالأندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب و الحلي و الدور)[1] و كانت هنالك دور لبيع البنات ودور لبيع القيان تسمى بدور المدنيات، و دور لتدريبهن على فنون الحديث و الملاطفة و الرقص و الغناء و الموسيقى و التزين فضلا عن نظم الشعر و بعض

العلوم الأخرى لإضافة سمات ثقافية على جمالهن[2]، و برز في هذا المجال معلمون محترفون منهم: محمد بن الكتاني المتطبب الذي قال (في ملكي الان أربع روميات كن بالامس جاهلات، وهن الان عالمات حكيمات، منطقيات فلسفيات هندسيات موسيقاويات اسطرلابيات معدلات نجوميات نحويات عروضيات ادبيات خطاطيات....و هن يتعاطين اعراب كل ما ينسخنه و يضبطنه فهما لمعانيه و لكثرة تكرارهن فيه)[3] و كان بعض الامراء لا يشترون الجواري الا بعد اجراء الامتحان لهن و مما يروى[4] انه سيقت لابن صمادح جارية تقول الشعر و تحسن المحاضرة فقال تُحمل الى الاستاذ ابن الضراء الخطيب ـ و كان كفيفا ـ ليختبرها، فلما وصلته قال لها: ما اسمك ؟ فقالت: غاية المنى.

فقال:

سل هوى غاية المنى	من كسا جسمي الضنى

فقالت: تجيزه:

واراني متيما	سيقول الهوى أنا

فحكى ذلك لابن صمادح فاشتراها.

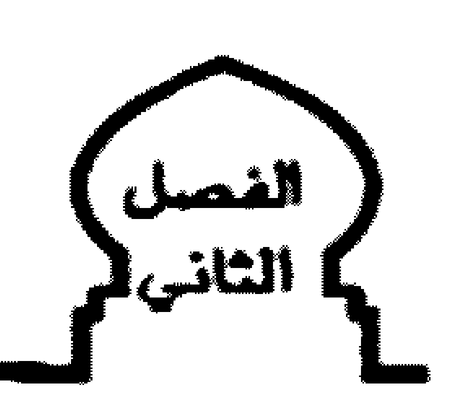
---

(1) المعجب / 38.

(2) البيان المغرب 3: 81، النفح 4: 136.

(3) الذخيرة 3/ 1: 320، الجذوة / 45.

(4) الذيل والتكملة/ السفر الثامن / 2 : 488 – 489، النفح 4/ 287.



و كانت للمعتمد جارية تدعى العبادية (طريفة كاتبة شاعرة ذاكرة لكثير من اللغة، و سهر ابن عباد ليلة لامر اهمه و هي نائمة فقال:

تنام ومدنفها يسهر   و تصبر عنه و لا يصبر

فأجابته:

لئن دام هذا و هذا له   سيهلك و جداً و لا يشعر[1]

وقد وصلت اسعارهن الى مبالغ طائلة[2]، و فرض بعضهن احترامهن على سادتهن و اصبح لهن شأن في المجتمع بعد أن أصبحن أمهات لأمراء والملوك وكانت اعتماد الرميكية جارية قبل أن يشتريها المعتمد ويتزوجها وتصبح أما لأولاده، والجارية إذا أنجبت من سيدها يحتفظ بها وترتفع مكانتها فلا تباع ولا تشتري وتسمى أم ولد[3].

والجواري على نوعين[4]:

جواري الخدمة: وهن اللاتي جاوزن سن الشباب أو لا يصلحن للمتعة والتسلية.

جواري التسلية والمتعة (السريريات): ويستخدمن في البيوت والأديرة والحانات. وكان الحكماء والأمراء يمتلكون منهن أعدادا كبيرة ، فالمعتضد كان كلفا بالنساء (فاستوسع في اتخاذهن وخلط في أجناسهن فانتهى من ذلك الى مدى لم يبلغه أحد من نظرائه فقيل انه خلف من صنوفهن السريريات خاصة نحو سبعين جارية)[5] وهو القائل:[6]

---

(1) الذيل والتكملة 2/ 2: 494 النفح 4/ 283، لم يحوها الديوان.

(2) الذخيرة 3/ 1: 112.

(3) البيان المغرب 3: 50.

(4) اشبيلية في القرن الخامس / 97.

(5) الحلية السيراء 2: 43.

(6) نفسه 2: 46.

قسمت زماني بين كد وراحة ... فللرأي أسحار وللطيب آصال

فأُمسي علي اللذات وللهو عاكفاً ... وأُضحي بساحات الرئاسة اختال

وقد أورد ابن حزم الأندلسي أمثلة كثيرة على وفاء الجواري لأسيادهن[1] ولم يكن لهن أية حقوق ومما يروى أن جارية مرابطية أهدافها يوسف بن تاشفين للمعتمد غنت وهو في نشوة الشراب هذه الأبيات:

حملوا قلوب الأسد بين ضلوعهن ... ولووا عمامهم على الأقمار

وتقلدوا يوم الوغى هندية ... أمضى إذا انتضيت من الأقدار

إن خوّفوك لقيت كل كريهة ... أو أمنوك حللت دار قرار

(فوقع في قلبه إنها عرضت بسادتها فلم يملك غضبه ورمى بها في النهر فهلكت)[2] وبعد زوال جماهن كن يحلن الى الخدمة وترخص أسعارهنّ فلأبي عبد الله محمد بن مسعود أرجوزة طويلة على لسان جارية خاطب بها الوزير ابن بقانا كان أهداها اليه وضاعت حالها بين يديه منها[3]:

وكنت أرجو معه للراحة ... إذا لم يفز بطائل الملاحة

إذا به أدخلني في شغل ... لفرط الإلمام بسوق الغزل

ألا وهبتني لشخص تاجر ... ولم أكن عند فقير فاجر

أوليتني كنت لبعض الجند ... فربما حاز نفيس المجد

---

(1) طوق الحمامة / 134- 140.

(2) النفح 4: 276.

(3) الذخيرة 1/ 1: 553.

قـــد كـــسدت آدابـــه والـــشعر فـــما لـــه عنـــد البرايـــا قـــدر

وكانت الجواري نقمة على الأندلسيين ومـن أهـم أسـباب انحـلال المجتمـع وتفككـه لكثرتهن وتربيتهن لأبناء الأمراء والملوك ونشرهن الميوعة والانحلال وغرس روح الانهزاميـة فيهم بإعلاء شأن الممالك النصرانية وتـشجيع اللهـو والمجـون والخمـرة[1] فانتـشرت مجـالس الأنس والطرب واللهو وكثرت الراقصات المشهورات بالجمال والصنعة واللعب ولا سـيّما أن القانون الاسلامي في الأندلس كان سمحا معهن فالجارية التي تـزني تعاقـب بخمـسين جلـدة وأن بعض الفقهاء لا يوقع عليها العقاب ويترك الأمر لسيدها ليختار ما يحلو له من الجـزاء[2] وأن بلاطات كانت مرتعا خصبا للمجون والتهتـك وكـان الأندلـسيون يختـارون الجمـيلات منهم ذوات القدود المشوقة والأحاديث اللطيفة كساقيات نـشاركهم الـسهر وتحـرص عـلى خدمتهم فابن خفاجة وصف إحداهن[3] .

واهيـــــف قـــــام يـــــسقي والـــــسكر يعطـــــف قـــــده

وقـــــد تـــــرنّح غـــــصناً واحمـــــرت الكـــــأس

وأهـــــب الـــــسكر خـــــدّاً أورى بـــــه الوجـــــد زنـــــده

فكـــــاد يـــــشرب نفـــــسي وكـــــدت أشرب خـــــدّه

وعرف عن بعضهن في إدارة خانات الخمور وقد أشـار ابـن اللبانـة الى إحـداهن قائلاً[4]:

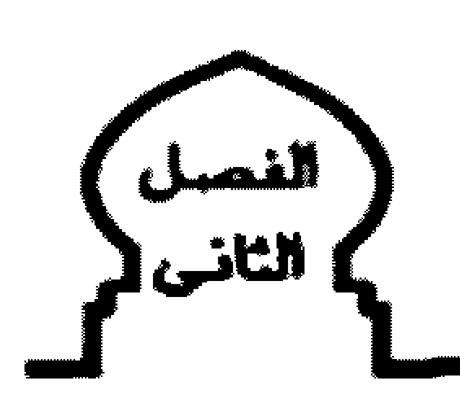
---

(1) ينظر الحلة السيراء 2: 43.

(2) بداية المجتهد ونهاية المقصد 2: 365 اشبيلية في القرن الخامس / 98.

(3) ديوان ابن خفاجة / 354.

(4) شعر ابن اللبانة / 60.



ولـــــرب ربـــــة حانـــــة نبهتهـــــا والجـــو لؤلـــؤ طلّـــه قـــد رضرضـــا

وكثيرات منهن كن يجدن الغناء والموسيقى والرقص، ووصف الشعراء بعضهن كقول ابن خفاجة[1]:

وفتـــاة حـــسن كلهـــا أعجـــاز غنـــت غنـــاء كلـــه إعجـــاز

غنـــت أغانيهـــا وخفـــت موقعـــا فكـــأنها تطويلهـــا إيجـــاز

وأصبحن جزءا من الحياة الأندلسية ولا سيما الطبقة الغنية لذلك كانت المرآة الأندلسية تتقبلهن وتتباهى بهن لأنها تعودت عليهن وربما تقوم بتقليدهن لاستمالة أزواجهن وان اعتماد الرميكية رغم مكانتها ودورها في إدارة مملكة بني عباد كانت تراودها الوساوس وقد أشار المعتمد الى ذلك في أبيات منها [2]:

تظـــن بنـــا أم الربيـــع ســـآمة ألا غفـــر الـــرحمن ذنبـــا تُواقعـــه

وإن المعتمد نفسه كانت تغلب عليه الأوهام والظنون فكتب إليها [3]:

أقيمـــي عـــلى العهـــد مـــا بينـــا ولا تـــستحيلي لطـــول البعـــاد

وكان اللون الأشقر من علامات الجواري في الغالب واللون الأسود من علامات الحرائر من العرب والبربر يقول أبو مروان بن غصن لحجاري [4]:

لـــولا خفارتهـــا وحالـــك شـــعرها قلنـــا ســـبايا مـــن بنـــات الأصـــفر

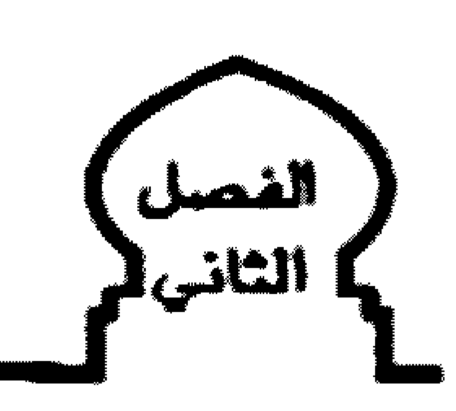
---

(1) ديوان ابن خفاجة/ 352.

(2) ديوان المعتمد/ 20.

(3) نفسه/ 8.

(4) الذخيرة 3/ 1: 335.



و(النساء في الطبقة العامة) كن يختلفن عن أقرانهن في الطبقة الراقية وكانت علاقتهن بأزواجهن قائمة على التضامن الذي فرضه واقع المجتمع فكانت المرأة أحيانا تشارك الرجل في الحصول على القوت فضلا عن واجباتها اليومية داخل المنزل وأشار ابن بسام الى ذلك عندما تحدث عن ام الشاعر ابن اللبانة حيث كانت تبيع اللبن [1] فضلا عن ذلك أن الرجل العادي لم يكن في وسعه شراء الجواري لارتفاع أسعارهن في عهد انحسرت فيه انتصارات المسلمين وتدهور الاقتصاد الأندلسي وهذا لا ينفي عدم وجود مشاكل بين الأزواج أسوة بالمجتمعات الأخرى كقول ابن صارة الشنتريني وقد طلق زوجته[2]:

أما الزمان فرق لي من طلة كانت تطل دمي بسيف نفاقها

الذئبة الطلساء عند نفاقها والحية الرقشاء عند عناقها[3]

أما في مجال (التزين والأناقة) فاشتهرت المرأة الأندلسية بجمالها ومفاتنها وإظهار أناقتها والتفنن في اختيار ما يناسب قوامها وأنوثتها من الملابس والحلي وكانت تلبس ملابس خاصة للصباح وأخرى للمساء كما يفهم من استعارة إدريس بن اليماني (470هـ) [4] في وصف الطيف:

سرت في قميص الصبح وهوجسيد فأبلت قميص الليل وهو جديد

والراقصات كن يفضلن الملابس المثيرة يقول ابن خفاجة[5]:

وكأنها والريح عابثة بها تزهى فترقص في قميص أحمر

---

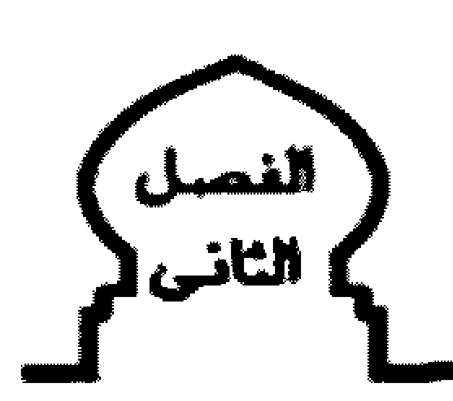
(1) نفسه 3/ 2: 667.

(2) الذخيرة 2/ 2: 844.

(3) الطلة: الزوجة.

(4) الذخيرة 3/ 1: 358.

(5) ديوان ابن خفاجة/ 51، الذخيرة 3/ 2: 600.



وقد تفننّ في خياطة أثوابهن وقد فصل ابن عذاري في أنواعها [1] وأكثرن في التزين بالحلي وفي ذلك قال ابن زيدون [2]:

على خصرها فيه وشاح مفصل وفي رأسها تاج وفي جيدها سمطّ

ومنه قول أبي الفضل بن حسداي في جارية [3]:

صاغت الجوزاء قرطين على مسمعيها والثريا دملجا

واستجابت من سماها حلاً فكساها قُزَحٌ ما نسجا

ووصف الوزير الكاتب أبو عبد الله بن مسلم ثوب ساقية قائل (وقد أسبلت على بهو السماع وقبة الغناء قطعة من الخسروان اللازوردية قد ألهب بالذهب نحورها وحواشيها وقرنت بالعسجد أسافلها وأعاليها وكحلت بأسلاك الجوهر خطوطها ورسومها ووصلت بالياقوت الأحمر دوائرها ورقومها فجاءت كطرة الصباح نقطت بالنجوم ولبة الفجر رصعت بغير كواكب الرجوم...) [4] فأعانوا الشعراء على تذوق طبيعتهن واستلهام جمالهن وكانت للجواري والمغنيات وجمال البيئة الطبيعية الأندلسية والحياة الحضرية المترفة التي أغرقت المدن بوسائل الاستمتاع كافة ومجالس الخمر واللهو والرقص والغناء وذوق الأندلسيين وإحساسهم المفرط بالجمال وابتذال الجواري أثر في شيوع الغزل في القرن الخامس للهجرة أكثر من القرون الأخرى ولا سيما (الغزل المكشوف) الذي انحصر في اتجاهات عدة:

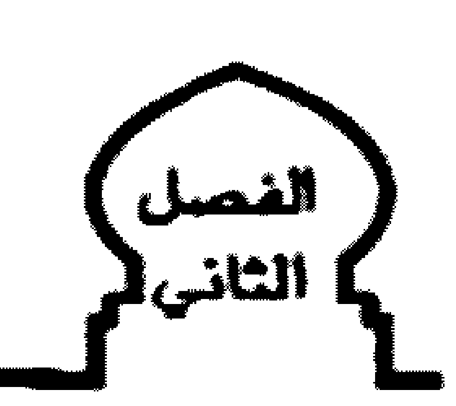
---

(1) البيان المغرب1 / 296.

(2) ديوان ابن زيدون/ 17.

(3) الذخيرة 3/ 1: 491.

4 الذخيرة3/ 1: 434.



1- إظهار مفاتن المرأة الحسية وأوصافها الجسدية من خلال وصف مباشر أو صور وتشبيهات تدور حول الجمال الخارجي الحسي بالاعتماد على تشبيهات موروثة في الأدب العربي القديم من ذلك قول ابن حمديس الصقلي[1]:

وناهدة تربت كفها	ترائبها بسحيق العبير
تصون على القطف رمانة	من النهد في غصن بان نضير
لها وجنة صقلت بالنعيم	وناظرة كحلت بالفتور
وتبسم عن أقحوان تريك	على نوره الشمس إشراق نور

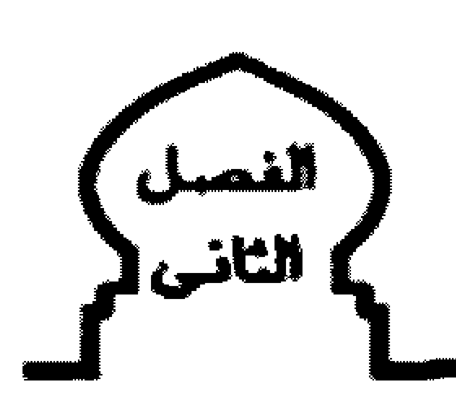
وقد يتخلل قصائدهم النسيب ويغلف بسمات الحب والجوى لإضفاء الحيوية عليها وهي ألفاظ عابرة ملائمة للحالة الآتية التي قيلت فيها القصائد

2-بيان بكل جرأة ما يحصل بين الرجل والمرأة عن غير خجل وحياء وقد أورد ابن بسام في ذخيرته أمثلة كثرة على هذا النوع رغم تظاهره بالمذهب الأخلاقي وكانت معظم هذه القصائد تدور على كيفية الاستجابة لنزواتهم ووصف دقيق لخلواتهم وزياراتهم الليلية سرا، ومنهم حفظا لماء الوجه اختتم قصائده بأبيات في تفضيل التعفف والطهارة وإنما ما قاله من باب الهزل والاستظراف أو الخيال فأبو حصن الاشبيلي أختتم قصيدته الفاضحة بقوله[2]:

لم أنل من كل فهت	به غير التمنّي
إنما الشعر فكاهات	وحسبي حسن ظني

1 ديوان ابن حمديس / 179.

(2) الذخيرة 2/ 1: 163.



وابن خفاجة رغم ما عرف عنه من الحياء له في هذا المسلك أمثلة كثيرة مثل قوله[1]:

تسافر كلتا راحتي بجسمه فطورا الى خصر وطورا الى نهد

فتهبط من كشحيه كف تهامة وتصعد من نهديه أخرى الى نجد

3- غزل الحانات[2] في وصف للمغنيات والقيان وما بينهم وبين الزبائن من حوار وكشف لملامح جمالهن مثل قصيدة ابن حمديس الصقلي التي مطلعها[3]:

هات كأس الراح أو خذها ينزل اللهو بها بين يديك

والى جانب ذلك كان هناك(الغزل العفيف) المتسامي عن عرض الصور المثيرة محاولا بيان أحاسيسهم وما فيهم من اللوعة والوحدة وما ينبعث في نفوسهم من ذكريات[4]،وكان لكتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي أثره في شيوع النسيب والعشق والحب بعد أن حلل الحب والغرام (ليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة إذ القلوب بيد الله عز وجل وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير)[5]

وفصل الكلام في أنواع العشق وضروب الوصل وآفات المحبين وصفاتهم وما يعتريهم من حركات وأقوال وصفات مع أمثلة من واقع الأندلس مشفوعا بأبيات شعرية وأمثلة على التذلل والخضوع للمحبوب مثل قوله[6]:

---

(1) ديوان ابن خفاجة 349، الذخيرة 3/ 2: 589.

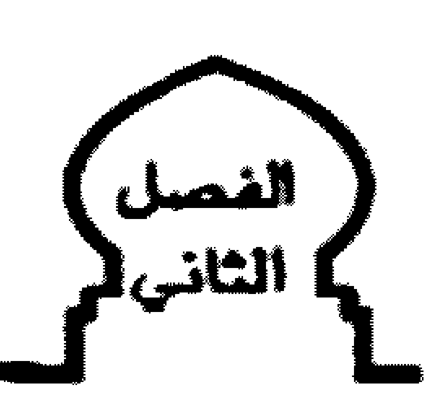
(2) ينظر الشعر في ظل بني عباد / 146.

(3) ديوان ابن حمديس / 343.

(4) ينظر الشعر في ظل بني عباد / 136-161.

(5) طوق الحمامة/ 5.

(6) نفسه / 84.



ليس التذلل في الهوى يستنكر   فالحب فيه يخضع المستكبر

وفي الغزل التقليدي ظهر حب المسيحيات واشتهر أبو عبد الله بن الحداد بحب فتاة مسيحية نظم فيها قصائد ومقطوعات أورد ابن بسام عددا منها حيث يذكر فيها شعائرها الدينية وكان يتردد على الكنائس لأجلها ويستمع الى طقوسها ويتحدث مع رجال دينها ومما قاله[1]:

فإن بي للروم رومية   تكنس ما بين الكنيسات

أهيم فيها والهوى ضلة   بين صواميع وبيعات

وقوله:

حديثك ما أحلى فزيدي وحدثي   عن الرشأ الفرد الجمال المثلث

أما (مقاييس الجمال) عند الأندلسيين فقد لخصها المعتضد قائلا[2]:

غزالية العينين شمسية السنا   كثيبية الردفين غصنية القد

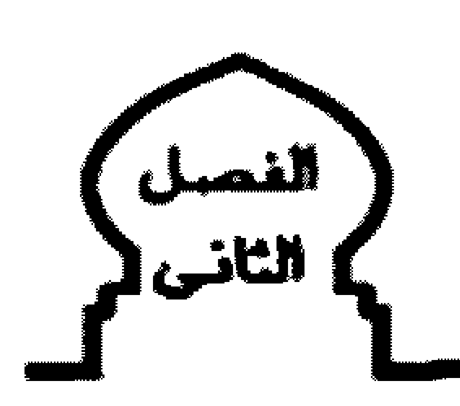
وكان للطبيعة الأندلسية الجميلة وعاداتهم الاجتماعية أثر في تحديد المعايير القياسية لجمال المرأة الأندلسية التي كانت تختلف في بعض صفاتها من شخص الى أخر تبعا لأصولهم وأمزجتهم وتعوّد ذوقهم على مقاييس محددة يقول أميليو غرسيه (إن المثل الأعلى لجمال المرأة الأندلسية المسلمة أن تكون بيضاء يتجلى الوجه الوردي في جمال القمر) [3] ومن خلال

---

(1) الذخيرة 1/ 2: 705-706.

(2) الحلة السيراء 2: 48.

(3) الشعر الأندلسي / 93.



تشبيهاتهم[1] يتبين أن مقاييس الجمال لم تكن تختلف كثيرا عن المشرق إلا أنهم أشادوا بالشعر الأشقر والعيون الزرق يقول ابن خفاجة[2]:

وغدت تحف به الغصون كأنها ... هدب تحف بمقلة زرقاء

كما أشادوا بالشعر الأسود والعيون السود وان ما أثاره ابن حزم في تفضيل اللون الأشقر على اللون الأسود لم يجد له صدى في بلاد الأندلس كالتي حدثت في المفاضلة بين النوريات ومن كلامه[3]:

يعيبونها عندي بشقرة شعرها ... فقلت لهم: هذا الذي زانها عندي

يعيبون لون النور والتِّبر ضلة ... لرأي جهول في الغواية ممتدِ

وهل عاب لون النرجس الغض عائب ... ولون النجوم الزاهرات على البعد

ومن ثم هاجم الذين يفضلون اللون الأسود قائلا:

وابعد خلق الله من كل حكمه ... مفضل جرم فاحم اللون مسود

وقوله نثرا: (وإما جماعة خلفاء بني مروان – رحمهم الله – ولا سيما ولد الناصر منهم فكلهم مجبولون على تفضيل الشقرة..... وأما الناصر والحكم المستنصر رضي الله عنهما فحدثني الوزير أبي – رحمه الله – وغيره أنهما كانا أشقرين أشهلين وكذلك هشام المؤيد.....)[4] ومن المظاهر الاجتماعية في الأندلس (رثاء النساء) والبكاء على جمالهن وذكر أيامهن وحلاوة العشرة معهن في مزج بين الغزل والرثاء وقد أشار الدكتور إحسان عباس الى هذا

---

(1) ينظر كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس / 121 وما بعدها.

(2) ديوان ابن خفاجة / 356.

(3) طوق الحمامة / 87-88.

(4) طوق الحمامة 85-86.

اللون ووصفه بالبكاء على زوال الرقة والجمال[1] وفي الغالب يقترن برحيل الزوجة من جراء الموت وشعور الرجل بفراغ كبير وفقدان ركن من حياته الذي تعود عليه من خلال العشرة وتربية الأولاد والأمان الذي كان يجده في أسرته وتزداد المصيبة وقعة إذا كانت الزوجة ذات حسن وجمال وأخلاق ولنا في ذلك قصيدة للأعمى التطيلي في زوجته (آمنة) وعدد أبياتها خمسون بيتا منها[2]:

ونبئت ذاك الوجه غيره البلى	على قرب عهد بالطلاقة والبشر
وما فعلت تلك المحاسن في الثرى	فقد ساء ظني بين أدري ولا أدري
آمن إن أجزع عليك فإنني	رزأتك أحلى من شبابي ومن وفري
آمن لا والله مازلت موفيا	بينك لو أني أخذت له حذري
ونبئت ذاك الجيد أصبح عاطلا	خذي ادمعي إن كنت غضبى على الدر
خذي اللؤلؤ الرطب الذي لهجوا به	محارته عيني ولجته صدري

والقصيدة تدل على الحزن والتفجع في تمثيل صادق لعاطفة قوية تجاه زوجته الذي لا يتحرج من وصف ملامح جمالها وهو متردد في تصديق زوال هذا الجمال وما يحصل لها في الثرى ،ولابن حميدس قصيدة في رثاء أم ولده عمر المسماة بجوهرة التي غرقت في مياه البحر وقد حزن عليها طول حياته وذكرها في أكثر من موضع من ديوانه ورثاها بلوعة وحزن[3].

أيا رشاقة غصن البان ما هصرك	ويا تألف نظم الشمل من نثرك
ويا شؤوني وشأني كله حزن	فضي يواقيت دمعي واحبسي دررك

(1) تاريخ الادب الاندلسي/ عصر الطوائف والمرابطين / 119-120.

(2) ديوان الاعمى التطليلي/ 70.

(3) ديوان ابن حمديس/ 212.

مــا خلــت قلبــي وتبريحــي يقلبــه   إلا جنـــاح قطـــاة في اعتقـــال شرك

ومخاطبا البحر

هـــلا نظـــرت الى تفتـــير مقلتهـــا   إني لأعجـب منـه كيـف مـا سـحرك

فهو يتعجب من رشاقة قدها وجمالها الذي طواه القدر وفرق بين الأحبة التي انفرط عقدها ويذكر حزنه وصورة قلبه المتقلب المضطرب كجناحي طائر علق في شرك كما انه يخاطب البحر عن كيفية عدم احساسه بالجمال والابتعاد عن الشفقة والرحمة تجاه حسنها

وبأسلوب آخر رجا الشاعر أبو إسحاق الألبيري (460هـ) الرحمة والمغفرة لزوجته وتكلم عن حسن معشرها وتقواها وعفتها وكرم عرقها ورعايتها له بأسلوب وعظي زهدي مؤكدا الوفاء لها من غير التطرق الى نواحي الجمال فيها [(1)].

وذكر ابن بسام الشاعر ابن هند الداني مثال آخر لفراق الزوجة والبكاء على عشرتها والإحساس بحبها وجواها بسبب الطلاق الذي قد يكون ضحية يمين أكد الشهود صدورها عنه في حالة غضب آني، فازداد تعلقا بها ومن كافيته قوله [(2)] :

مهمـا رحلـت وصـار حبـك قاطنـا   فـــالموت في أولادك أو أخـــراك

رفقـا بقلـب أنـت في سـودائه   فهنـاك أسـكنك الهـوى فهنـاك

ومنها:

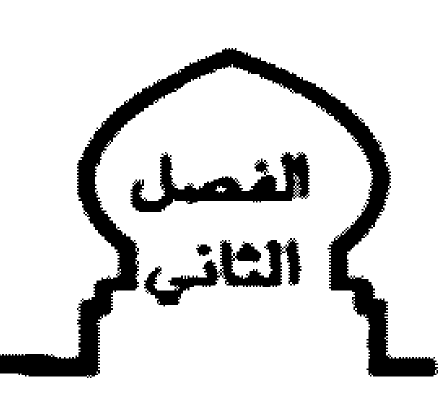
يُحيـي ويقتـل بالـشهادة وهـؤلاء   يـدري فـأف لـزوره الـسفاك

أما مراثي زوجات الملوك والأمراء وبناتهم وأمهاتهم فقد سالت على السنة الشعراء وكانت تدور على حسن أخلاقهن وورعهن وبرهن بالناس وأحادثهن الساحرة وما ترك رحيلهن من اثر في نفوسهم.

---

(1) ديوان ابي اسحاق الالبيري / 77-82.

(2) الذخيرة 3/ 2: 897.



أما للمرأة في بداية عهد المرابطين وفي السنوات الأخيرة من القرن الخامس فكانت تعيش مرحلة انتقالية يصعب فيها تغيير عادات وتقاليد اجتماعية متأصلة سريعا لذلك لم تتغير كثيرا على الرغم من أن سياسة الدولة كانت مبنية على أسس دينية إسلامية إلا أن الوجه المبتذل للمرأة من الجواري والراقصات والمغنيات والقيان ومحلات شرب الخمر قد انحصر ظاهريا ولاسيما بعد زوال مجالس الطرب واللهو والمجون في بلاطات الملوك وتغلغل الفقهاء بشكل واسع في مجالات السياسة وإدارة الحكم.

وأخيرا كان أهم ما يهدد المرأة بطبقاتها كافة سقوط المدن وغزوات النصارى على أراضي المسلمين حيث كن يؤخذن سبايا أمام آبائهن وأزواجهن ويعاملن معاملة الرقيق وقد وصف المؤرخون مفصلا سقوط مدينة بربشتر إذ صار لأكبر رؤسائهم في حصته نحو ألف وخمسمائة جارية أبكارا[1] وأشرنا في المظاهر السياسية الى ابنة الشاعر سليمان بن مهران السرقسطي التي كانت جارية عند زوجة ملك الإفرنج[2] وكانت نساء الأمراء وبناتهن معرضات للهتك والبيع والشراء في حالة انقلاب الزمان عليهم ومما جاء في الخبر عن الخليفة عبد الرحمن بن هشام الملقب بالمستظهر بالله (وفضح حريم عبد الرحمن وسبي أكثرهن الدائرة وحملوهن الى منازلهم علانية)[3] وقصة بثينة بنت المعتمد بن عباد التي كانت جميلة شاعرة، جاء في النفح عنها (ولما أحيط بابيها ووقع النهب في قصره كانت من جملة من سبي)[4]،وكان احد تجار اشبيلية قد اشتراها على أنها جارية سريرية ووهبها لابنه (ولما أراد الدخول عليها امتنعت وأظهرت نسبها وقالت: لا احل لك إلا بعقد النكاح أن رضي أبي بذلك) وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها وانتظار جوابه وما كتبته بخط يدها منها:

(1) الذخيرة 3/ 1: 181، النفح 4/ 449.

(2) الذخيرة 3/ 1: 318 – 319، الجذوة / 349.

(3) الذخيرة 1/ 1: 54.

(4) النفح 4/ 284-285.

فخرجت هاربة فحازني امرؤ لم يأت في اعجاله بسداد

إذ باعني بيع العبيد فضمني من صانني إلا من الانكاد

وأرادني لنكاح نجل طاهر حسن الخلائق من بني الأنجاد

فكتب اليه المعتمد:

بنيتي كوني به برّة فقد قضى الوقت بإسعافه [1]

الظواهر الاجتماعية

القصور:

وصف الأندلسيون القصور وما فيها من البرك والتماثيل والصور وما يحيط بها من الترع والبساتين لإعجابهم بما وصل اليه العمران الأندلسي من رقي وشموخ وما صرف عليه من أموال طائلة فضلا إن هذه القصور كانت من مظاهر الأبهة وفخامة الملوك والأمراء ووصفها يدل على مكانتهم وقوة ممتلكاتهم حيث قال احدهم [2]:

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبألسن البنيان

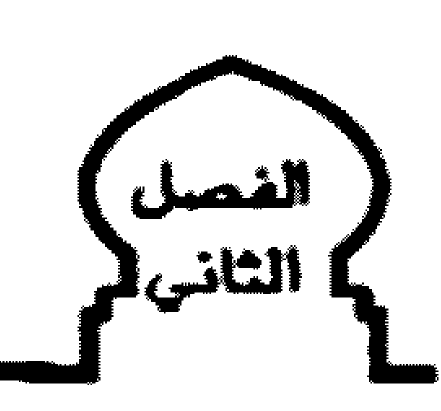
إن البناء إذا تعاظم قدره أضحى يدل على عظيم الشأن

كما كانت وسيلة للتقرب من صاحب القصر فهما متلازمان ينعكس احدهما على الآخر، وجاء الوصف من خلال مقطوعات شعرية مستقلة أو ضمن قصائد مدحية أو غزلية أو في الحنين وقد شجع الملوك على وصف القصور وربطها بعظمة ممالكهم وبرز بين الشعراء

---

(1) للمزيد ينظر (المرأة في الشعر الاندلسي – عصر الطوائف / سلمى سلمان علي رسالة ما جستير – كلية الاداب – جامعة المستنصرية 1986 اله طابعة.

(2) النفح 1/ 521 ونسب بعبد الرحمن الناصر.



ابن حمديس الصقلي في وصف العمران ونعته المقري بـ (.... ذي المقاصد الحسان خصوصا في وصف المباني والبرك فما ابقي لسواه في ذلك حسنا ولا ترك) [1] فبنو عباد اشتهروا بتشييد القصور والعمارات الفخمة مثل المبارك والثريا والزاهي والمكرم والزاهر وسعد السعود[2] قال غوستاف لوبون (إن مدينة اشبيلية قد أخذت حظها من الحضارة والعمران في عهد العباديين وذلك ما يمكن لمسه في نواح كثيرة من حيث تحصين أسوارها والاهتمام في متنزهاتها وحدائقها وبناء القناطر والجسور على نهرها الكبير وتشييد الفنادق والمشافي والمساجد فيها وتعبيد طرقها وتنظيفها) [3] وكان القصر الزاهي من أجمل المواضع وأبهاها لإطلاله على النهر وكثرة بساتينه وتماثيله حيث قضى المعتمد أجمل أيامه فيه، لذلك أكثر الشعراء من وصفه فالشاعر عبد الجليل بن وهبون يصف في قصيدة مرافقه قائلا[4]:

وللزاهي الكمال سنا وحسنا ... كما وسع الجلالة والكمالا

ويصف محاسنه والرسومات التي تزين جدرانه وأسقفه:

وكل مصور حيّ جماد ... تبيّن فيه زهوا أو دلالا

له عمل وليس له حراك ... وإفهام وما أدّى مقالا

ويصف الفيلة المصنوعة من خالص اللجين التي تقذف المياه من أفواهها

ويفرغ فيه مثل النصل بدع ... من الأفيال لا يشكو ملالا

رعى رطب اللجين فجاء صلدا ... وقاحا قلما يخشى هزالا

---

(1) نفسه 2/ 39-40.

(2) القلائد / 24.

(3) تاريخ العرب 3/ 626.

(4) الذخيرة 2/ 1: 508.

كـأنّ بـه عـلى الحيـوان عتبـا ... فلـم يرفـع لرؤيتهـا قـذالا

ويصف الرياحين:

وأوصى بالريـاحين اغتراسـا ... همـامٌ طالمـا أغـترس الرجـالا

وفي بركها وأحواضها يقول:

براعـة مـصنع جلبـت فأضـحت ... براعـة منطقـي منهـا مثـالا

ثم يربط بين أبهة القصر وصاحبه:

أقـام لهـا معاليهـا شموسـا ... ومـدّ لنـا مـساعيه ظـلالا

وفي الموضوع نفسه ربط ابن حمديس بين معالم القصر وبنيانه وصفات الممدوح فالقصر اقتبس من المعتمد رحابة الصدر والحلم والنسب والأصالة [1] :

إذا فتحـت أبوابهـا خلـت أنهـا ... تقـول بترحيـب لـداخلها: أهـلا

وقـد نقلـت صـناعها مـن صـفاته ... إليهـا أفانينـا فأحـسنت الـنقلا

فمـن صـدره رحبـا ومـن وجهـه سـنا ... ومـن صـيته فرعـا ومـن حلمـه أصـلا

ولابن وهبون قصيدة أخرى في قصر المبارك مطلعها [2] :

فيـا أيهـا القـصر المبـارك لاتـزل ... وأنـت جديـد الحلتـين قـشيب

وكانت هذه القصور تزين بالرسوم والنقوش وتجمل بالفسيفساء وزخارف مختلفة وقد تكتب على جدرانها آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو أبيات شعرية أو حكم وأمثال بخطوط أقرب الى النقش والزينة [3] وتضاء ليلا فيتحول ظلامها الى إشراق وضياء وكانت

---

(1) ديوانه/ 378.

(2) الذخيرة 2/ 1: 517 وفي القصر أعلاه أوصاف عدة لشعراء الآخرين.

(3) تاريخ ابن خلدون/ المقدمة/ 524، الشعر في ظل بني عباد / 73-75، البيئة الأندلسية/ 24.

تحوي على الأحواض والصهاريج المصنوعة من المرمر المنقوش وتماثيل من النحاس والذهب والفضة الخالصة لسباع وطيور وأشجار وبرك ماء ولنا في ذلك قول المعتمد في فوارة قصره [1]:

ولربما سلّت لنا من مائها ... سيفا وكان على النواظر مُغمدا

طبعته لجيا فذابت صفحة ... منه ولو جمدت لكان مهنَّداً

حيث يشبه الماء المندفع من نوهتها في الفضاء بالسيوف وكانت تحيط بقصورهم حدائق وبساتين فيها من الزهور ما أبدعه الخالق وقد انبهر الشعراء بحسن جمالها منهم يوسف عبد الصمد [2]:

وحديقة مخضرة أثوابها ... في قُضبها للطير كل مغرد

نادمت فيها فتية صفحاتهم ... مثل البدور تنير بين الأسعد

والجدول الفضي يضحك ماؤه ... كالعقد بين مجمع ومبدد

وتر جرجرت للناظرين كأنها ... درٌّ نثير في بساط زبرجد

واستخدم الأندلسيون الشموع للإنارة وإضفاء الجمال على مساكنهم وقصورهم لذلك أكثروا من وصفها فابن حمديس يتعجب منها قائلا [3]:

قناة من الشمع مركوزة ... لها حربة طبعت من لهب

تحرق بالنار أحشاءها ... فتدمع مقلتها بالذهب

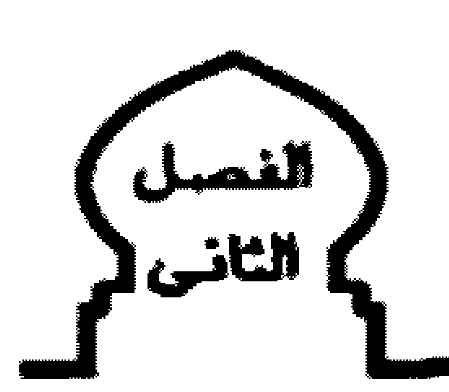
وتفنن بعضهم في صنع تماثيل من الشموع قال أبو القاسم بن مرزقان في شمعة على هيئة مدينة صغيرة مصنوعة من الشمع أهديت للمعتمد مطلعها [1]:

---

(1) ديوان المعتمد/ 29.

(2) الذخيرة 3/ 2: 818.

(3) ديوان ابن حمديس/ 24.



مدينـــــة في شـــــمعة صـــوِّرت قامـــت حُماهـــا فـــوق أســـوارها

ومـــا رأينـــا قبلهـــا روضـــة تتقـــد النـــار بنوّارهـــا

وجاء في النفح (وفي إقليم طالقة من أقاليم اشبيلية وجدت صورة جارية من مرمر معها صبي وكأن حية تريده لم يسمع في الأخبار ولا رئي في الآثار صورة أبدع منها جعلت في بعض الحمامات وتعشقها جماعة من العوام)[2]

ولم يقتصر بناء القصور على العواصم فقد وجدت في كل بلدة كانت قاعدة للأمراء منها قصر الشراجيب في شلب الذي فيه المعتمد مع صديقه ابن عمار أيام لهوه وطربه عندما كان أميرا عليها في حكم أبيه المعتضد، وقال عنه صاحب القلائد: (هذا متناه في البهاء والإشراق مباه لزوراء العراق)[3] وقال فيه ابن اللبانة[4].

أمـــا علـــم المعتـــد بـــالله أننـــي بحـــضرته في جنـــةٍ شـــقها نهـــر

ومـــا هـــو نهـــر أعـــشب النبـــت حولـــه ولكنـــه ســـيف حمائلـــه خـــضر

ومن قصور قرطبة التي وردت في أقوال الشعراء قصر الدمشق المشيد بالصفاح والعمد الذي أنشد فيه ابن عمار قصيدة مطلعها[5]:

كـــل قـــصر بعـــد الدمـــشق يـــذم فيـــه طـــاب الجنـــي ولـــذّ المـــشَمُّ

وقصر الفارسي المقصود للنزهة خارج قرطبة وذكره ابن زيدون في لهوه في متنزهاته مع ولادة بنت المستكفي[1] وقصر مربيطر الذي تغنى به أبو عيسى ابن لبون[2].

---

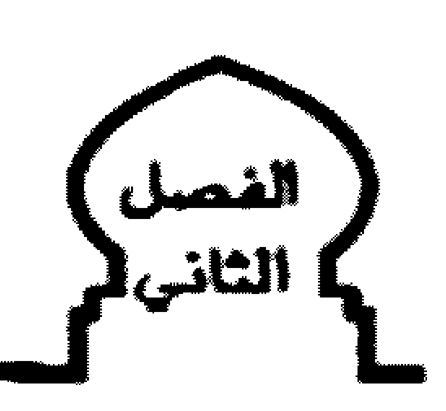
(1) المغرب 1/ 266.

(2) النفح1/ 158. الروض المعطار/ 123.

(3) القلائد / 33.

(4) شعر ابن اللبانة/ 46.

(5) ديوانه/ 255.



ويعد المأمون يحي بن ذي النون صاحب طليطلة أكثر الأمراء عناية واهتماما ببناء القصور والمرافق التابعة لها وقد تحدث المؤرخون بإسهاب عن قصوره المبنية من رفيع المرمر البيض المسنون المصفح بالعاج وما فيها من دلائل الرقي في العمران والبذخ الشديد ومن هذا قول ابن حيان (وقد خرمت في جثمانه صور لبهائم وأطيار وأشجار ذات ثمار وقد تعلق كثير من تلك التكاثيل المصورة بما يليها من افنان اشجار واشكال الثمر...)[3] وضع فوقه لوح نقش عليه حفرا أبيات من الشعر في مدح المأمون (وفوقه بحور منتظمة من الزجاج الملون الملبس بالذهب الإبريز وقد أجريت قيه أشكال حيوان وأطيار وصور أنعام وأشجار يذهل الألباب ويقيد الإبصار وأرض هذه البحار مدحوة من أوراق الذهب الإبريز مصورة بأمثال تلك التصاوير من الحيوان والأشجار بأتقن تصوير وأبدع تقدير)[4]

وكانت فيها بحيرتان نصبت فيهما صور أسود مصوغة من الذهب الإبريز ينساب من أفواهها الماء كرشيش القطر وقد وضع في قعر كل بحيرة حوض رخام (محفور من رفيع المرمر كبير الجرم.... قد أبرزت في جنبانه صور حيوان وأطيار وأشجار ينحصر ماؤها في شجرتي نضة عاليتي الأصلين)[5] وينزل من أعالي أفنان الشجر رذاذ بنغمات تصبي النفوس وقال فيه أبو محمد المصري (496هـ)[6] :

قصر يُقصر عن مداه الفرقد عذبت مصادره وطاب المورد

---

(1) ديوان ابن زيدون / 258.

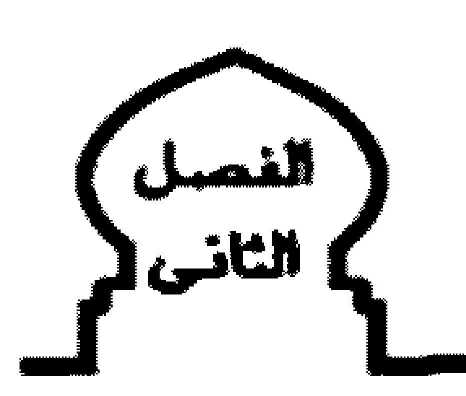
(2) القلائد/ 99، المغرب 2: 376، النفح 1/ 672.

(3) الذخيرة4/ 1 : 132- 134.

(4) نفسه.

(5) نفسه.

(6) الذخيرة 4/ 1: 355.



نـــشر الـــصباح عليـــه ثـــوب مكـــارم   فعليـــــه ألويـــــة الـــــسعادة تُعقـــــد

وكــــــأنها المــــــأمون في أرجائـــــــه   بـــــدر تمـــــام قابلتـــــه أســـــعد

وكــــــأنها الأقـــــداح في راحاتـــــه   درٌّ جمــــــادُ ذاب فيــــــه العــــــسَجَد

ومن عجائب عمرانه أنه بنى في وسط بحيرة قبة ينسدل من أطرافها ماء متصل والمأمون يشرب في جوفها مع من أحب من خواصه أيام الصيف فلا يمسه من الماء شيء أو أي شيء آخر[1] وقال أبو محمود المصري[2]:

شمــــــسيةُ الأنـــــساب بدريـــــةٌ   يحـــــار في تـــــشبيهها الخـــــاطرُ

كــــأنها المــــأمون بــــدر الــــدجى   وهــــي عليــــه الفلــــك الــــدائر

ومن هوسه في البنيان وتهاونه في أمور المسلمين ما نقله ابن بسام أن خيل الإفرنج ضرب بلاد المظفر بن الأفطس ومحا رسومه وأباح حريمه وهتك أعراضه فخرج أبو المطرف بن مثنى فدخل على المأمون فوجده غاضبا حانقا فظنّ أن الضجر بسبب ما سمعه من أخبار من بلد المظفر فطفق يهون عليه ويسليه (فيك الخلف مما فات.... قد آن أن تنكر على الطاغية الافتيات فلما فهم منحى ابن مثنى اعرض عنه)[3] وكان همه إتمام بناء القصر ولم يدر بأنه يتحول الى مربط لخيل أدفونش لاحقا.

ومن القصور الأخرى التي وردت في شعر الشعراء قصر السرور ومجلس الذهب في سرقسطة الذي قال فيها المقتدر بن هود[4]:

قـــصر الـــسرور ومجلـــس الـــذهب   بكـــــما بلغـــــت نهايـــــة الطـــــرب

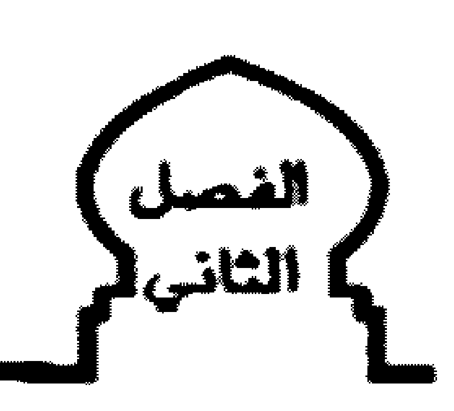
---

(1) المغرب 2/ 9، النفح 4/ 353.

(2) الذخيرة 4/ 1: 355.

(3) الذخيرة 4/ 1/ 148.

(4) المغرب 2/ 435.



لـــو لم يحـــز ملكـــي خلافكـــما   كانـــت لـــدي كفايـــة الأرب

وقصور أخرى أقل ذكرا أمحا الزمـان أثـار جميعهـا ولم يبـق لأصـحابها إلا مـا كتبـه المؤرخون عنهم ولنا في ذلك قول الأعمى التطيلي[1]:

وللـــذي همّـــه البنيـــان يرفعـــه   إن الـــردى لم يغـــادر في الثـــرى أحـــدا

مـــا لابـــن آدم لا تفنـــى مطامعـــه   يرجـــو غـــدا وعـــسى أن لا يعـــيش غـــدا

مجالس اللهو والطرب والخمر:

اشتهر الأندلسيون بمجالس اللهو والطـرب والخمـر وأكثـر الـشعراء مـن وصـفها، وفي شيوعها أسباب أهمها:

1- **الطبيعة الأندلسية الجميلة** وما فيها من رياض وأنهار واعتدال في المناخ تلك التي ملكت جوانحهم وامتزجت بمشاعرهم وصقلت ذوقهـم فتغنـوا بجمالهـا ووصـفوا مظاهرها فتركت في نفوسهم آثارا نفسية ووجدانية طربة فأصبحت الأنهار والجداول والترع والبساتين والحقول والأزهار بواعث للهو والطرب فالطبيعة ضاحكة تبعـث في نفوسهم الفرح واللهو والتسلية فتعقد في ربوعها مجالسهم ومحافل طـربهم كقـول ابن خفاجة[2]:

حـــث المدامـــة فالنـــسيم عليـــل   والظـــل خفـــاق الـــرواق ظليـــل

والـــنَّور طـــرف قـــد تنبـــه دامع   والمـــاء مبتـــسم يـــروق صـــقيل

وقـد انتشى عطـف الاراكـة فـأنثى   ســـكرا ورجـــع في الغـــصون هـــديل

وتطلعـــت مـــن برقـــه وغمامـــه   في كـــل أفـــق رايـــة ورعيـــل

(1) النفح 4/ 321، ديوانه / 27.

(2) ديوان ابن خفاجة / 254، الذخيرة 3/ 2: 61.

واهتم موسرون منهم بامتلاك الحدائق والرياض والتفنن فيها والتباهي بتنسيقها وتنوع زهورها فتفاعلوا معها وقضوا مجالسهم في ربوعها وشغف الشعراء بها واقتبسوا منها صورهم ومزجوها بأغراضهم الشعرية كافة وأصبحت الطبيعة ملازمة لهم فإذا وصفوا مجلسا لهم قدموا نثرا وصف البيئة المحيطة به ،قال أحدهم وهو يتكلم عن الأديب أبي عبد الله بن السراج (وشربنا يوما على ماء يتفجر من أعال أحجار وقد أحدقت بنا عدة أشجار وتردد فيها علينا غناء أطيار تنسي لحن الأوتار وانكسرت لنا الكأس هنالك)[1]

وكانت هذه المجالس ملهمة للشعراء وباعثة للغناء والموسيقى كقول أحدهم[2]:

نحن في المجلس الذي يهب الرا حة والسمع والغنى الغناء

2-الترف الشديد في الطبقة الغنية: لم يكونوا يهتمون بضخامة المبالغ التي تصرف على مظاهر بذخهم وترفهم ومما يروى إن اعتماد الرميكية رأت ذات يوم بإشبيلية نساء البادية يبعن اللبن في القَرب وهن رافعات عن سوقهن في الطين فقالت لزوجها: أشتهي أن أفعل أنا وجواري مثل هؤلاء النساء فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد ونشر الطين بالقصر وجعل لها قَربا وحبالا من ابريسم فخرجت هي وجواريها تخوض في ذلك الطين[3]، والحديث عن حفلة المأمون بن ذي النون في اعذار حفيده يحيي لايكتمل في صفحات حيث بلغ البذخ فيه حدا يفوق الوصف[4] وصف ابن حيان مجلس انسه بآلاته الموسيقية وشرابه وأنواع طعامه وموائده الفخمة وقيانه والمغنيين والمغنيات وطربه حينما سمع

---

(1) الذخيرة 1/ 2: 874.

(2) القلائد / 6.

(3) ينظر النفح1/ 440 .

(4) ينظر الذخيرة 4/ 1: 128-138.



المقطوعة المنظومة من الشاعر عبد الله بن الخليفة الملقب بأبي محمد المصري ومطلعها:

باكر لبكر الدّنان إن	هداء العروس في السحر
وأشرب عقارا تخال حمرتها	تحرق أيدي السقاة بالشرر

(فطفح بابن ذي النون الإطراب حتى حن حنين الناب وخلع لوقته عليه ثوبا من التستري الأخضر مطرزا بالذهب ووصله بمائتي دينار ذهبا ثم فضي الصلات والخلع في سائر الطبقات)[1]

(وتعجب يوسف بن تاشفين من بذخ المعتمد حينما دخل الأندلس واطلع على ضروب من الترف والبذخ فقال (الذي يلوح من أمر هذا الرجل انه مضيع لما في يده من الملك لأن هذه الأموال الكثيرة التي تصرف في هذه الأحوال لابد أن يكون أرباب لا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبدا)[2].

3- **تشجيع الملوك والأمراء:** حيث كانت بلاطاتهم مسرحا للعبث والمجون والخمر فالمعتضد على الرغم مما عرف عن قسوة كان يكثر من مجالس الخمر والمجون وكان ذا كلف بالنساء وهو القائل[3]:

اشرب على وجه الصباح	وأنظر الى نَور الاقاح
وأعلم بأنك جاهل	ما لم تقل بالاصطباح
فالدهر شيءٌ باردٌ	إن لم تسخّنه براح

(1) الذخيرة 4/ 1: 136.

(2) النفح 4: 375.

(3) الذخيرة 2/ 1: 30.

وقوله [1]:-

أتتــــــك أم الحـــــــسن تــــشدو بـــــصوت حـــسن

تمــــــدّ في ألحانهــــــا مــــدّ الغنـــــاء المــــدني

وعن القلائد: أن مجالس بني عباد كانت تعقد أيضا في قصورهم وتكاد لا تخلو أمسية من أماسيهم من تلك المجالس الخمرية التي تصاحبها أصوات الموسيقى والغناء والطرب واللهو [2] .

ومما يروى إن الخليفة يحي بن حمود قد أنغمس في شربه ولهوه وفي ليلة مصرعه كان الشراب قد أخذ منه [3] .

وكانت هنالك حرية اجتماعية واسعة فمجالس الشرب والغناء والرقص كانت تعقد على ضفاف الأنهار وفي البساتين وفي بيوت الناس من غير رادع من الرقيب [4] .

قال أبو الوليد ابن زيدون في ليلة انس باتها في إحدى جنات اشبيلية [5]:

وليـــل أدمنـــا فيـــه شرب مدامـــة الى أن بـــدا للـــصبح في الليـــل تـــأثير

وجاءت نجوم الصبح تضرب في فولـــت نجـــوم الليـــل والليـــل مقهـــور

أما الوزير أبو عامر بن مسلمة فأن العيش عنده سماع وناي وقدح فهو يقول [6]:

---

(1) نفسه.

(2) ينظر القلائد / 6-7.

(3) ينظر الذخيرة 1/ 1: 316 – 317.

(4) ينظر النفح 4/ 199.

(5) ديوان ابن زيدون / 368.

(6) البديع في وصف الربيع / 152.

يـــا نـــديمي قـــم اصـــطبح وعـــــلى العـــــود فـــــاقترح

إنـــما العـــيش بالـــسما ع وبالنـــــــاي والقـــــــدح

وتأمـــل حـــسن الـــشقا ئـــــق تنـــــشط الى المـــــرح

مثـــل كـــأس العقيـــق في قاعـــــة المـــــسك يلـــــتمح

4- **طبيعة الأندلسيين وميلهم للفكاهة والمرح وحبهم للحياة:** جـاء في الـنفح عـن أهل اشبيلية (....وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة.... وبعينهم على ذلـك واديهـا الفرج وناديها البهج)[1] وقوله (أخف الناس أرواحا وأطبعهم نوادرا)[2]

ولم يقتصر هذا الطبع على العواصم فالحجاري صاحب المسهب يتحدث عن مدينة شريش قال(..... لأهلها همم وظرف في اللباس وإظهار الرفاهية وتخلق بـالآداب ولا تكاد ترى بها إلا عاشقا ومعشوقا...)[3] لذلك قال ابن حمديس[4]:

بـاكر الى اللّـذات واركـب لهـا سـوابق اللهـو ذوات المـراح

وأبو عامر بن مسلمة في ترحيبه بالربيع يقول[5]:

أهـلا وسـهلا بوفـود الربيـع وثغـره البـسام عنـد الطلـوع

كـأنها أنـواره حُلـة مـن وشي صـنعاء الـسري الرفيـع

---

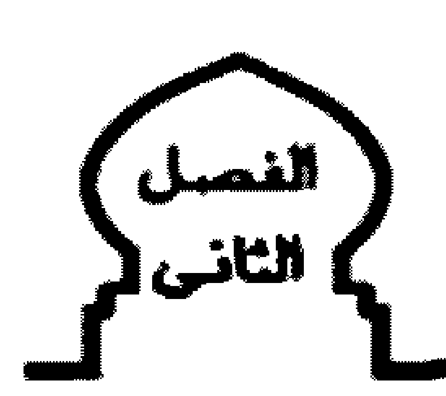
(1) النفح 1/ 159.

(2) نفسه 3/ 212.

(3) النفح 1/ 184.

(4) ديوانه / 89، الذخيرة4/ 1: 323.

(5) البديع في وصف الربيع / 16.



لذلك اهتموا بالموسيقى والغناء والجواري وبذلوا جهودا كبيرة لتدريبهم على فنون الغناء والموسيقى والرقص فالمعتمد – كما أشرنا – دفع ثلاثين ألف دينار في مغنية [1]. وأنه كان يجيد الغناء والضرب على الطنبور والعود [2]، والآلات الموسيقية كان لها روادها وصناعها، قال أبو محمد المصري في عود ومجلس غناء [3].

يا حبّذا العود فكم من فتى ... باح له البم بأسراريه

غنّت عليه الطير رطبا وقد ... غنت به لما قسا جاريه

فهو على أخلاقها قد جرى ... وهي على أخلاقه جاريه

5- انتشار الخمرة ومجالسها: كان المدام وشرب الخمر من العادات الاجتماعية المنتشرة وقلما نجد شاعرا أو أديبا لم يتغن بذكر الخمر وأدواتها فالشاعر أبو عبد الله بن مسلم الداني بعد أن نهض صباحا قال[4]:

أما ترى الصبح أقبل ... فالكأس لم لا تُعَجل

هات المُدام دراكا ... فأنني لست أمهل

ما العيش إلا مدام ... ومنظر ومقتل

وهاكها طوع ملكي ... فكل ما شئت أفعل

والشاعر أبو عامر بن مسلمة ألف كتابا بعنوان (حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح) أهداه الى المعتضد جمع فيه مقطوعات شعرية مختارة في الخمر لشعراء عصره مع

---

(1) بدائع البدائه / 1: 74، الشعر في ظل بني عباد/ 70.

(2) تاريخ العرب / 3: 710.

(3) الذخيرة 4/ 1 356.

(4) المغرب 2: 405.

مجموعة من قصائده في الربيع والأزهار [1] وقد حلل بعضهم الخمر طرافة كقول أبي بكر الخولاني المنجم تشفعا للأديب أبي بكر الاصبغ القلمندر[2]:

إن دِرء الحدود بالشبهات	لحديث رواه كل الثقات
ما أراه إلا تناول تفا	حا فنمت عليه في الطرقات
نفحات التفاح والراح والأتـ	رج للمرء جدّ مشتبهات

وكان القلمندر يقول: (أنا أولى الناس بألا يترك الخمر لأنني طبيب أحبها عن علم بمقدار منفعتها):

جرت مني الخمر مجرى دمي	فجل حياتي من سكرها
ومهما دجت ظلمات الهموم	فتمزيقها بسنا بَدرها[3]

وكانت الخمرة مسموحا بها في نظر بعضهم إذا لم تؤد الى العربدة وإساءة الأدب لذلك كانوا أحيانا يستهلون بها في قصائدهم المدحية كقول أبي بكر بن نصر الاشبيلي في مدح إسماعيل بن عباد [4]:

أهدت الى روحي براح يمينها	راحا أرق من الهواء وأعتقا
فكأنّ حب حبابها في وجهها	درّ على أرض النضّار تفرّقا

وكانوا يتهادون الخمرة وأدواتها تعزيزا للمودة الموجودة بينهم فقد أهدى المعتمد الى ابن اللبانة قطيعا مترعا من الخمر وكأسا من بلار ومعها قطعة شعرية منها [1]:

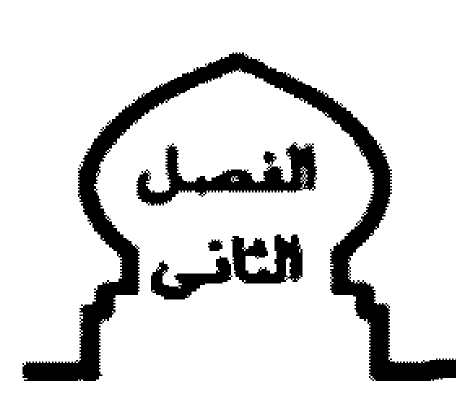
---

(1) البديع في وصف الربيع/ 8، 38، 83.

(2) الذخيرة 4/ 1: 357.

(3) المغرب 1/ 369.

(4) الذخيرة 2/ 1: 212.



جاءتــــك لــــيلا في ثيـــاب نهـــار ـــــن نورهـــا وغلالـــة الـــبلاّر

كالمـــشتري قـــد لـــفّ مـــن مريخـــه إذ لفّـــه في المـــاء جـــذوة نـــار

ومن خلال قصائدهم يتبين أن فلسفتهم في الشرب كانت دنيوية بحته اعتقادا منهم بأن الحياة قصيرة وعليهم استغلال كل لحظة في السرور والابتعاد عن الهم لانه يؤدي بالإنسان إلى الردى، لذلك كانوا لا يتحرجون من شربها وصنعها بأنفسهم

في بيوتهم ولنا في ذلك قول أبي بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي في دنٍّ خمر تخللت له [2]:

أبـــا حـــسنٍ إني فجعـــت بـــصاحب أنـــيس ينـــسق الهـــم عنـــد احتلالـــه

وقول المعتمد [3]:

علـــل فـــؤادك قـــد أبـــل عليـــك وأغـــنم حياتـــك فالبقـــاء قليـــل

وكانت الطبيعة الجميلة من بواعث انعقاد مجالسهم الخمرية التي لم تكن تنفصل عن المرأة والتغزل بها فأمتزج الغزل بالخمرة والطبيعة كقول ابن حصن الاشبيلي [4].

اشرب عـــلى طيـــب نـــسيم الـــسّحر وانظـــــر الى غـــــرة ذاك القمـــــر

كأنـــــه مـــــاء غـــــدير صـــــفا والمحـــق فيـــه مثـــل ظـــلّ الزهـــر

وقول أبي بكر عبادة بن ماء السماء [5]:

ســـقى الله أيـــامي بقرطبـــة المنـــى سرورا كـــريّ المنـــشي مـــن شرابـــه

---

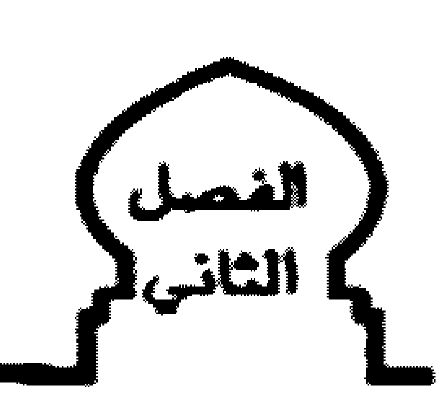
(1) القلائد / 6، النفح 4: 279، ديوان المعتمد/ 18.

(2) الذخيرة 2/ 2: 769.

(3) ديوان المعتمد / 25.

(4) الذخيرة 2/ 1: 166.

(5) نفسه 1/ 1: 473.



وكم مزجت لي الراح بالريق من يدي ... أغرّ يريني الحسن ملء ثيابه

وفي السقاة وهم يلبسون أجمل الملابس يقول المعتمد[1]:

وربّ ساق مهفهف غنج ... قام ليسقي فجاء بالعجب

أبدى لنا من لطيف حكمته ... في جامد الماء ذائب الذهب

وكانت الأديرة مرتعا خصبا للخمر وروادها فابن حمديس الصقلي وصف مجلس شراب وغناء ورقص بأسلوب قصصي قائلا[2]:

وراهبة أغلقت ديرها ... فكنا مع الليل زوارها

هدانا إليها شذا قهوة ... تذيع لأنفك أسرارها

فما فاز بالمسك إلا فتى ... تيمم دارين أو دارها

وقد سكنت حركات الأسى ... قيان تحرك أوتارها

وراقصة لقطت رِجلها ... حساب يد نقرت طارها

وعلى الرغم من شيوع الخمرة فإنها نبذت من بعضهم لأن شخصياتهم ومواقعهم الاجتماعية لا تتناسب مع شربها أوربما لتقدم العمر والميل الى التوبة والزهد ،فلنا في ذلك قول أبي الاصبغ عبد العزيز[3]:

ولم أجتنب شرب المدام لعفة ... ولم الحق الصهباء ذما ولا عذلا

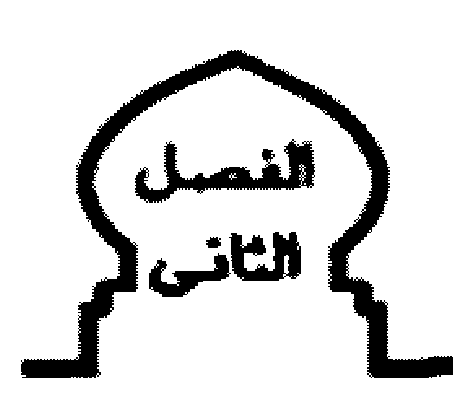
تنافرني أن صرت ضدا لشكلها ... فليست لنا أهلا ولسنا لها أهلا

---

(1) ديوان المعتمد / 3.

(2) ديوان ابن حمديس / 181، الطار: الدف.

(3) الذخيرة 2/ 1: 213.



ومن الحكام في فترات محددة منعوا الخمور وكسروا دنانها فأبو الوليد ابن جهور حرمها على نفسه ومنعها على الناس رسميا فقال ابن زيدون [1]:

هو الملك المشفوع بالنسك ملكه   فيا فضل ما يخفى ويا سرو ما يبدو

أباح حمى الخمر الخبيثة حائطا   حمى الدين من أن تستباح له حد

الغزل بالغلمان

من يقرأ دواوين أغلب الشعراء في الأندلس في القرن الخامس يصاب بالدهشة من وجود قصائد كثيرة من هذا النوع بحيث يغلب عليه الظن أن هذه الظاهرة كانت متفشية في المجتمع الأندلسي ويؤكده اعتراف ابن بسام (فقد جرت خيول فرسان هذا الشأن بهذا الميدان وتغنوا في ذلك نظما ونثرا ومدحا وذما)[2] ووصل بهم الأمر الى بناء دور خاصة لهم كالتي اتخذها ابن السقا وزير أبي الوليد بن جهور في قرطبة لنفسه خاصة بالغلمان سماها الناس دار اللذة [3] ومنهم من ألف كتابا كاملا مثل(ترك الأعذار في وصف الأعذار) للنواجي(وطول الاعتذار عن حب العذار) للمنهاجي[4] وفي كتاب (حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح) لأبي عامر بن مسلمة كثير من المساجلات التي تدور حول وصف الغلمان يشارك فيه شعراء اشبيلية منهم أبو عمر نفسه [5] ،وابن بسام رغم تصنعه بالمذهب الأخلاقي فقد نقل قصائد ومقطوعات كثيرة في ذخيرته وقد أسرف الشعراء في تصوير هذه الظاهرة حتى الذين ترتبط

---

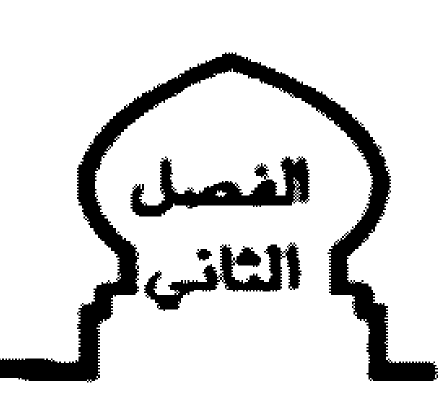
(1) ديوان ابن زيدون/ 361.

(2) الذخيرة 1/ 1: 144.

(3) الحلة السيراء / الهامش / 2: 176.

(4) الشعر الأندلس/ 86.

(5) إشبيلية في القرن الخامس/ 4.



أسماؤهم بسمات الوقار والحشمة والخجل والمكانة الاجتماعية فإبن شهيد الوزير لم يتحرج في التغزل بفتى فيما كتبه الى ابن الأبار[1]:

انظر الى الظبي الأنيق الذي	يختال في أبراد إحسان
كأنما مقلته بابل	حفت بسحر الإنس والجان
كأنما شاربه بهجة	زمرد من فوق مرجان
كأنما إردافه عالج	وقده غصنٌ من البان

ولم يكن الأمراء والوزراء يتحرجون من هذه القصائد رغم ما كان يتصف بعضهم بالجهاد والبسالة فابن خفاجة المشهور برزانته له سبع مقطعات في معذر وهو يسوغ ذلك بقوله (وإن كان مقولا بطريق الفكاهة والنادر والدعابة)[2] وابن حزم الفقيه يقول (....... فإن إخواني يجشمونني القول فيما يعرض لهم على طرائقهم ومذاهبهم)[3] وعلى الأرجح أن هذه الظاهرة المنافية للدين كانت موجودة في طبقة محددة وغير مرغوبة بدليل أن صاحب القلائد عندما ترجم للشاعر عبد الجليل بن وهبون قال[4] (وكان كلفا بالغلمان.... وكان من أجلهم ممقوتا ومهجورا) على عكس ما ذهب إليه أحد الباحثين (انه لا يبدو أمرا معيبا أو غير مرغوب فيه لاسيما الوسط الارستقراطي)[5] أما بواعثها فأن معظمها قيلت في مجالس الخمرة في سقاة من باب المقدرة الفنية في قول الشاعر ولا سيما إن الأندلسين قد اشتهروا بالارتجال والإجازة والمباراة في وصف الأشياء والحوادث مع وجود قسم منها قيل استجابة

(1) الذخيرة 2/ 1: 111.

(2) ديوان ابن خفاجة / 13.

(3) طوق الحمامة/ المقدمة/ 16.

(4) قلائد العقبان/ 254.

(5) اشبيلية في القرن الخامس / صلاح خالص/ 102.

فنية لطلب من احدهم في عهد وصل الانحلال الاجتماعي الى ذروته وتنافسوا للوصول الى المتعة والبحث عن وسائل جديدة بعد أن أصبحت المرأة عند الطبقة الغنية مبتذلة، لذلك من جهر بأقواله من غير خوف من الرقيب في تعلقه بالذي يهواه فقد روى ابن بسام من حديث عن قول ابن فتوح عن نفسه (ماشيت غلاما معذرا كنت قديم الامتزاج به والكلف بقربه فلقيني بعض إخواني معه في جوف المسجد الجامع... فقال: الى متى يدوم غرامك بهذا الغلام وهذه بنود عزله قد رفعت وعقدات خلعه قد عقدت ؟ فقلت لا والله لا أرى بنود عزله ولا عقدات خلعه وإنما أرى لامات مسك في صفيحة كافور وسطور دجى في مهارق نور فولى عني وكتبت اليه

كان صبحا لعاشقيه فلما	بقلت صفحتاه أغشي سناه
مثل ضوء الهلال يزداد ضعفا	نوره إن دجت له أفقاه[1]

وجل القصائد مستوحاة من نظرة وصفية من قبل الشاعر فقط،من ذلك ما قاله عبد الجليل بن وهبون عندما رأى غلاما ملثما فاستهواه بحسنه وقال على البديهة [2] :

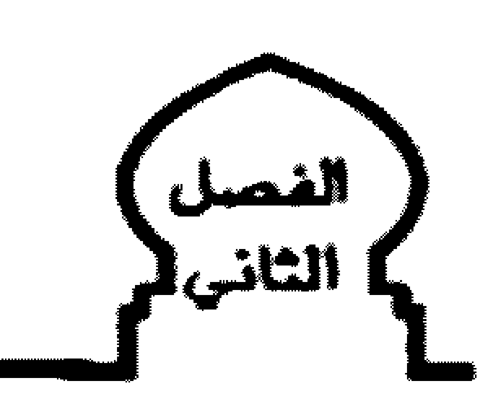
غزال يستطاب الموت فيه	ويعذب في محاسنه العذاب
يقبله اللّثام هويوشوقا	ويجني ورد خديه النقاب

ومما جاء في النفح (وكان بسرقسطة غلام.... نشأ عند ملكها المقتدر بن هود وتخلق بالركوب والأدب وكان في غاية الجمال والحلاوة والظرف فعلق بقلب ابن هود وكتم حبه زمانا فلم ينكتم فكتب له:

يا ظبي بالله قل لي	متى ترى في حبالي
يمر عمري وحالي	في خيبتي منك خالي

(1) ينظر الذخيرة ق1م 2: 778.

(2) بغية الملتمس/ 387.



إن كنـــت ظبيـــا فأنـــت إل   هزبـــــر تبغـــــي اغتيـــالي

ولـــــيس يخطـــــر يومـــا   حلـــول غيـــل يبـــالي[1]

وكانت هذه الظاهرة ذات تأثير على التفكك الأسري وترك الأولاد والأهل فإن عبيد الله بن يحي الازدي المعروف بابن الجزيري الذي وصفه الحميـــدي بأنـه (وزيـر.... شـاعر كثير الشعر معدود من أكابر البلغاء ومـن ذوي البديـــــهة في ذلـك)[2] كـان قـد رضي بإهمال داره وإباحة حريمه والتعريض بأهله طمعا في الحصول من فتى كان علقه وفيه قال ابن حزم[3].

يـــا جـــاعلا إخـــراج حـــر نـــسائه   شركـــا لـــصيد جـــاذر الغـــزلان

إني أرى شَركـــا يمـــزق ثـــم لا   تحظـــى بغـــير مذلـــة الحرمـــان

وكانت الجواري أحيانا يلبسن ملابس الغلمان مع التفنن في إظهـار أنـوثتهن فـإبن شهيد أبو عامر وصف ساقية عقربت شعرها ووضعته على صدغها[4]:

ظبيـــة دون الـــصبايا قصـــصت   فأتـــت غيـــداء في شـــكل الـــصبى

ومنهن اللاتي وضعن الشوارب وخالا اسود من المسك على خـدهن في ذلـك يقـول الشاعر الأسعد بن بليطة (440هـ)[5]

غلاميـه جـاءت وقـد جعـل الـدجى   لخـــاتم فيهـــا فـــصي غاليـــة خطـــا

(1) النفح 2/ 562.

(2) جذوة المقتبس / رقم 624.

(3) طوق الحمامة / 235.

(4) ديوان ابن شهيد/ 92.

(5) الخريدة/ قسم المغرب والاندلس/ 676.

غــدت تنقــع المــسواك في بــرد ثغرهــا   وقــد ضــمنت مــسكا غــدائرها المــشطا

أرى نكهــة المــسواك في حمــى اللمــى   وشــاربك المخــضّر بالمــسك قــد خطــا

ومنهم من أتهم بتعلقه بالكبار كقـــول أبي علي إدريس بن اليماني (470هـ)[1]:

إن كنـــت تهـــوى مليحـــاً   فـــلا تقـــل بمعـــذّر

وأهـــوى الـــصغار ففـــيهم   عـــلى الحقيقـــة تعـــذر

دع الكبـــار لقـــوم   دانـــوا بـــدين السميـــسر

وفي موتهم من لم يتمالك نفسه فرثـاهم، مـن ذلـك قـول ذي الـوزارتين أبي الوليـد بـن الحضرمي في رثاء غلام وسيم اسمه فعال كان المتوكل بن الأنطس يهواه[2]:

أودى فعـــال فلهفـــي   لـــه ولهفـــي عليـــه

غالتـــه أيـــدي المنايـــا   وكـــنّ في مقلتيـــه

وكـــان يـــسقي النـــدامى   بطرفـــه ويديـــه

غـــصن ذوى وهـــلال   جـــار الكـــسوف عليـــه

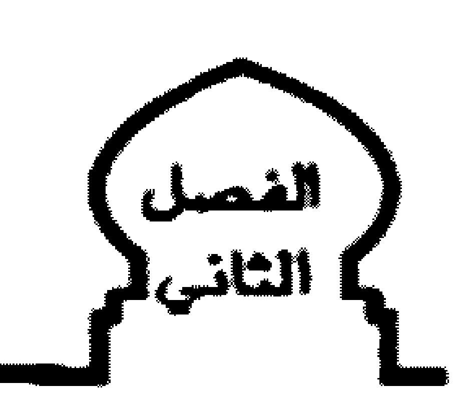
السمات (العادات) الاجتماعية المتأصلة :

النظافة: جاء في النفخ عن رسائل فضائل الأنـدلس إن أهلهـا (أشـد خلـق الله اعتنـاء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون... وفيهم من لا يكون إلا ما يقوته يومه فيطويه صـائما ويبتـاع صابونا يغسل به ثيابه)[3]وكان عدد الحمامات في عهـد ابي عـامرفي قرطبـة تـسعمائة حمـام[1]

(1) الذخيرة3/ 1: 338.

(2) الذخيرة 2/ 1: 391.

(3) النفح 1: 223.



لذلك تكرر ذكر الحمامات في قصائد الشعراء ووصفوا نعيمها وحسن تنسيقها منها قول أبي جعفر التطيلي[2]:

يا حسن حمامنا وبهجته ... مرأى من السحر كله حسن

ماء ونار حواهما كنف ... كالقلب فيه السرور والحزن

وقول أبي بكر بن بقي[3]:

حمامنا فيه فصل القيظ محتدم ... وفيه للبرد سر غير ذي ضرر

ضدان ينعم جسم المرء بينهما ... كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

ولا قبال الناس على الحمامات فأن بعضها كان مكتظا ليس فيه مجال للقعود مثل قول ابن حمديس[4]:

وحمام سوء وخيم الهواء ... قليل المياه كثير الزحام

فما للقيام قعود به ... ولا لقعود به من قيام

وعرف الأندلسيون بالتأنق والتجمل في المظهر والملبس والحرص على الروائح العطرية والكحل والحناء[5] وقد فصل المقري عن زيهم في السلم والحرب[6] ومن باب حرصهم على النظافة استعمالهم للنفط والشموع للإنارة بدلا من المشاعل التقليدية التي ينبعث

---

(1) نفسه 1: 540.

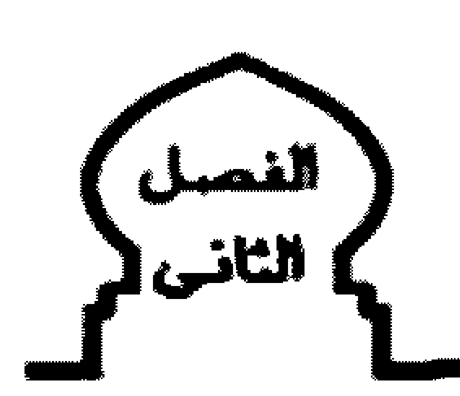
(2) ديوان الاعمى التطليلي/ 245.

(3) الذخيرة 1/ 1: 303.

(4) ديوان ابن حمديس/ 559.

(5) البيئة الأندلسية / 55-56.

(6) النفح 1/ 222-223.



منها دخان كثير تسود ما حولها ولا سيما أيام الشتاء ولنا في ذلك قول الأسعد بن بليطة في النفط [1].

والنفط مهما أفترَّ فوه فاغرا — أجرى لسان النار فوق الماء

فكأنه ذهب بدا في صارم — أو رجع برق في أديم سماء

وكذلك استعمالهم للفحم والمواقد في التدفئة فالفقيه الحافظ أبو محمد عبد الحق عطية يقول في استعمال الفحم [2]:

جعلوا القرى فحما حالكا — قدح الزناد به فأورى نارا

فبدا دبيب السقط في جنباته — كالبرق في جنح الظلام أنارا

ثم انبرى لهبا وثار كأنه — في الحريق ذو حرق يطالب ثارا

التدبير والعمل: وكان الأندلسيون أهل احتياط وتدبير وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال لذلك[3] قد ينسبون للبخل ومن الأمثلة على تدبيرهم أن أهل بلنسية كانوا يتخذون الزبل في تسميد الأرض حيث كانوا يطرحون الأزبال داخل عينة ومن ثم ينقلونها إلى المزارع وقد أشار ابن فرج الألبيري المعروف بالسميسر إلى هذا قائلا [4]:

بلنسية بلدة — وفيها عيوب متى

فخارجها زهر كله — وداخلها برك من قذر

ومن الشعراء المعروفين بالبخل الشديد – أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني- حيث إن جواريه قتلنه لتقطيره عليهن وصفه الحجازي (انه كان إماما في

---

(1) الذخيرة 1/ 2: 796.

(2) النفح 1/ 223.

(3) ديوان ابن الرقاق/ المقدمة/ 17-22.

(4) نفسه/ 21.

علم الحديث) ووصفه بالبخل المفرط إذ كان يترك أهل داره يأكلن الخبز بلا أدام فإذا طلبوا الادام حرد عليهم وقال: هذه عادة سوء فخنقوه [1] . ومن شعره:

إني إذا حضرتني ألف محبرة ... تقول: أخبرني هذا وحدثني

صاحت بعقوتي الأقلام زاهية ... هذي المكارم لا قعبان من لبن

لذلك رفضوا التسول والاستعطاء (وإذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه فضلا عن أن يتصدقوا عليه فلا نجد بالأندلس سائلا إلا أن يكون له عذر) [2] لذلك اعتكفوا على العمل وكسب الرزق وان المسافر لا يسير فيها فرسخين دون ماء أصلا وحيثما سار من الأقطار يجد الحوانيت في الفلوات والشعاب والأودية ورؤوس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة [3] وفي الوقت نفسه كان الترف شديدا عند البعض ولا سيما الطبقة الغنية من الحكام ومن سار على دربهم حيث كان بعضهم يأكل في أوان من الفضة والذهب ولنا في ذلك قول ابن عمار في طبق من الفضة مذهب الباطن [4]:

وسماء من الغنى قد أسالت ... ذهبا في قرارة من لجين

فاجتنت حولها العيون بلطف ... زهر الحسن من بنان اليدين

ارتداء الألبسة البيضاء عند الحزن: جرت العادة في معظم المجتمعات ارتداء الملابس السوداء عند الحزن على فقيد أو في التعبير عن مناسبة حزينة أو مأساوية في حين إن

---

(1) النفح 1/ 220.

(2) نفسه.

(3) نفسه 1/ 226.

(4) ديوان ابن عمار / 229.

أهل الأندلس كنوا يرتدون الملابس البيضاء في هذه المناسبات، وصف ابن برد غلاما قد بيض على عادتهم في لباس البياض عند الحزن فقال [1] :

أجِل جفونك في ذا المنظر الحسن ولمْ على النأي منه حادث الزمن

وأعجب لضدين في مرآه قد جمعا شخص السرور عليه لبسه الحزن

وفي الموضوع نفسه يقول الحلواني (أبو الحسن عبد الكريم بن فضال القيرواني) [2].

لئن كان البياض لباس حزن بأندلس فذاك من الثواب

الم ترني لبست بياض شيبي لأني حزنت على الشباب

التهادي بالورد وغيرها: من مظاهر حب الأندلسيين للطبيعة وإحساسهم بالجمال وميلهم إلى الأزهار باختلاف ألوانها وأنواعها بعث الورود إلى أحبابهم وأصدقائهم للدلالة على المودة والاحترام ومن ثم وصفها شعرا ولدينا في ذلك أمثلة كثيرة منها أبيات للوزير أبي الوليد إسماعيل بن حبيب الحميري صاحب كتاب – البديع في وصف الربيع – في وصف ورد بعث بها إلى أبيه [3]:

يامن تآزر بالمكارم وارتدى بالمجد والفضل الرفيع الفائق

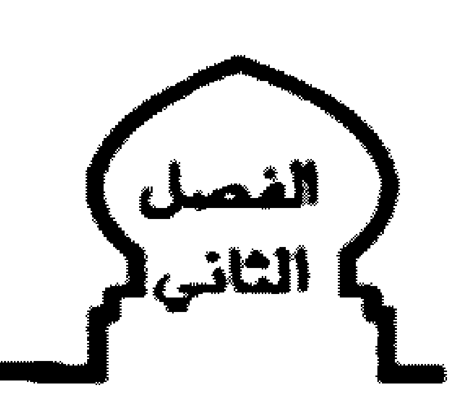
انظر إلى خد الربيع مركبا في وجه هذا المهرجان الرائق

---

(1) الذخيرة 1/ 1: 506.

(2) نفسه 1/ 2: 914.

(3) النفح3/ 428.



ورد تقـــدم إذا تـــأخر واغتـــدى　　في الحـــسن والإحـــسان أول ســـابق

وافـــاك مـــشتملا بثـــوب حيائـــه　　خجـــلا لأن حيـــاك آخـــر لاحـــق

ولم يقتصر التهادي على الأزهار وإنما شمل الثمار فابن عمار أهدى إلى عيسى بن لبون تفاحا وأجاصا وكتب معها [1]:

خـــذها كـــما ســـفرت إليـــك خـــدود　　أو أوجـــست في راحتيـــك نهـــود

حـــذرا مـــن التفـــاح نثـــرا بينهـــا　　ولهـــا بأغـــصان الجنـــان عقـــود

وشـــفت مـــن الأجـــاص قـــصدا انـــه　　شـــكل الجـــمال وحـــده المحـــدود

وفي المناسبات كانوا يتهادون كل ما هو طريف وجميل فابن عمار أهدى ثوبا من صوف بحري يوم عيد إلى المعتمد وكتب اليه [2]:

لمـــا رأيـــت النـــاس يحتـــشدون في　　إتحـــاف يومـــك جئتـــه مـــن بابـــه

فبعـــث نحـــو الـــشمس شـــبه أهابهـــا　　وكـــسوت مـــتن البحـــر بعـــض ثيابـــه

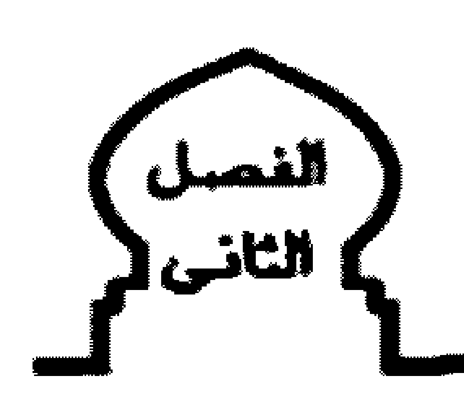
وقد سر المعتمد فوجه اليه بمكبة فضة فيها خمسمائة دينار ذهب وكتب معها أبيات شعرية مطلعها

هبـــة أتتـــك مـــن النـــضار ألوفهـــا　　فـــاغنم جزيـــل المـــال مـــن وهابـــه

---

(1) ديوان ابن عمار : 263.

(2) نفسه 230.



الخروج إلى النزهات: من أجل الاستمتاع بالحياة وعدم ضياع الزمن عليهم استغلوا أوقاتهم في المتعة والمرح بوسائل عدة منها النزهات النهرية ،وللاشبيليين خاصة نزهات صاخبة في واديهم الكبير[1] ولنا في ذلك أبيات لأبي الفضل بن حسداي فيها قوله وكان شاهدا على نزهة مع المستعين بالله أحمد بن هود على نهر سرقسطة (يريد طراد لذته وارتياد نزهته والمستعين قد أحضر من آلات إيناسه وأظهر من أنواع ذلك وأجناسه ما راق من حضر وفاق حسنه الروضة الأنضر والزوارق قد حفت به)[2].

نسير في زورق حف السفين به ... من جانبيه بمنظوم ومنتثر

مد الشراع به نسرا على ملك ... بذ الأوائل في أيامه الأخر

الاحتفالات: لحب الأندلسيين للترف واللهو وبحثهم عن مناسبة للاحتفال وإدخال السرور في قلوبهم كانوا يحتفلون بالمناسبات الدينية – كالأعياد ورأس السنة الهجرية والمناسبات الاجتماعية كالزواج وعقد القران والتهنئة بالمولود..... واستمدوا من الشرق الاحتفال بيوم نوروز والمهرجان فكانوا يستعدون لها ويقدمون فيها الهدايا وكان الشعراء يجتمعون في الأعياد والمناسبات وينشدون أرق ما عندهم من القصائد في تهنئة الأمراء وفي النوروز قال ابن اللبانة[3]:

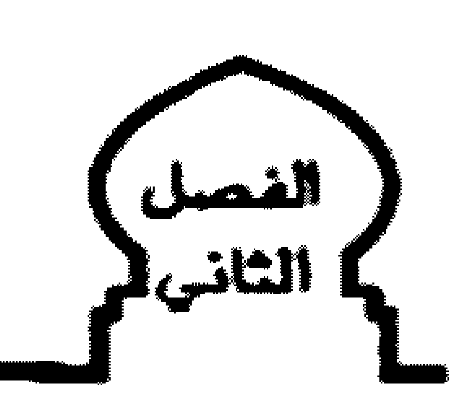
يا كوكب النيروز في بهجة ... أسنى من البدر المنير اللياح

---

(1) الشعر في ظل بني عباد 116.

(2) النفح 1/ 642- 643.

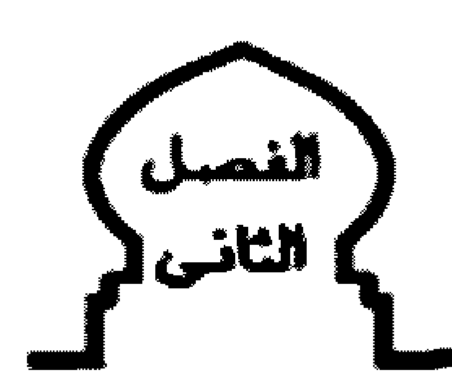
(3) شعر ابن اللبانة/ 31.



جاءت عطاياك تهادى به ... تهادي الغير غداة اقتراح

لو أن لي قوة عهد الصبا ... لم أترك النيروز دون اصطباح

يوم رقيق ناثر ناظم ... كافوره فوق الربى والبطاح



المبحث الثاني
المظـاهر الدينية

الطبيعة الدينية

أ - **المسلمون:** منذ الأيام الأولى للفتح الإسلامي كانوا أصحاب السلطة والحكم وكانت اللغة العربية سائدة في البلاد يتثقف بها المسلم من العرب والبربر والمولدين لعلاقتها الصميمية بكتابهم المقدس وشريعتهم السمحاء، وبمرور الزمن نتيجة لزيادة المولدين عن طريق المصاهرة والزواج واعتناق أفواج من السكان الأصلين الدين الإسلامي وهجرات العرب في نهاية القرن الأول وفي القرن الثاني واستمراريتها من البربر ولا سيما في حكم المنصور بن أبي عامر في نهاية القرن الرابع للهجرة وظهور الصقالبة الذين تربوا على أسس إسلامية منذ الصغر زاد عدد المسلمين في القرن الخامس، وكان عددهم أكثر من المسيحيين واليهود مجتمعة [1] فضلا عن الطبقة المستعربة من سكان البلاد الأصليين الذين ارتضوا مختارين العادات الإسلامية أسلوبا حتى استعملوا الختان وتركوا أكل لحم الخنزير مع الاحتفاظ بدينهم المسيحي[2] وكانوا حلقة وصل بين المسلمين والمسيحيين، وذكرت لنا المصادر الأندلسية اعتناق كثير منهم الدين الإسلامي. أما مذهب المسلمين فكانوا على منهج الإمام الأوزاعي [3] عبد الرحمن بن محمد الأوزاعي و(88- 157 هـ) الذي كان من المجاهدين الذين رابطوا على ساحل البحر المتوسط في القرن الثاني لرد غارات الروم [4] فاهتم بالتشريعات الحربية والجهادية وكانت ملائمة لأحوال الأندلسيين في تلك الحقبة فانتقلت عبر المهاجرين الشاميين وبعض العلماء إلى

---

(1) ينظر تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس / 61-80.

(2) ينظر الحضارة الاسلامية في الأندلس / 24.

(3) النفح 3: 230 تاريخ الفكر الاندلسي / 3.

(4) وفيات الاعيان 3: 127.

الأندلس، وفي دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل الملقب بالحكم الربضي في بداية القرن الثالث انتقلت الفتوى إلى رأي مالك بن أنس (179هـ) [1] لأسباب سياسية ودينية [2] وكان لانتشار هذا المذهب أهمية كبيرة من حيث كثرة خروج العلماء إلى الحجاز وانتشار

كتاب الموطأ بين الأندلسيين درسا واختصارا وشرحا [3] وظل هذا المذهب سائدا في القرن الخامس لالتزام الدولة به ولنا في ذلك قول أبي جعفر أحمد بن محمد الملقب بابن البني (488هـ) في مخاطبته أحد القضاة [4]:

أهل الرياء لبستموا ناموسكم ... كالذئب أدلج في الظلام العاتم

فملكتموا الدنيا بمذهب مالك ... وقسمتموا الأموال بابن القاسم

وكان لهذا المذهب آثار عميقة في المظاهر الدينية والثقافية في الأندلس في حرصهم على النص والابتعاد عن الفلسفة والمنطق والتأمل المفرط لذلك دعا الشاعر الفقيه ابن عبد البر النمري (474هـ) إلى عدم الإكثار من التأمل والتأويل [5]:

لا تكثرنَّ تأملاً ... واحبس عليك عنان طرفك

فلربما أرسلته ... فرماك في ميدان حتفك

ودعا ابن العسال (487هـ) إلى التمسك بالمالكية [6]:

---

(1) ينظر النفح 3/ 230.

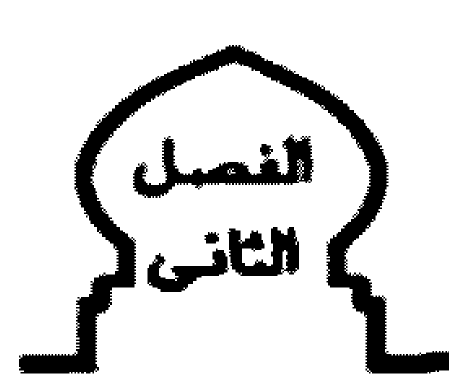
(2) ينظر تاريخ العرب وحضارتهم / 315-316.

(3) ينظر الحياة العلمية في بلنسية/ 384-285.

(4) الذخيرة 2/ 330.

(5) الذخيرة 3/ 1/ 128.

(6) أخبار وتراجم اندلسية/ 71.



أيا مَن عدا جاهلا ناسكا إن أحببت إلا ترى هالكا

فأمّ إمام الهدى مالكا ولا تلك مذهبه تاركا

إلى جانب المذهب الشافعي الذي أدخله ابن سيار (278هـ) والتشيّع ولا سيما عند بني حمود أصحاب مالقة والجزيرة الخضراء وقرطبة في مراحل معينة، وكانوا يفتخرون بنسبهم الهاشمي والتشيّع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وقلما نجد شاعرا يمدحهم ولا يذكر نسبهم وتشيعهم العلوي ومنهم عُبادة بن ماء السماء [(1)]

فها أنا يا ابن النبوة نافثٌ من القول أريا غير ما ينفث الصل

وعندي صريح في ولائك معرق تشيعه محض وبيعته بتل

والمذهب الظاهري الذي دعا اليه ابن حزم: [(2)]-

ألم تر أني ظاهري وإنني على ما بدا حتى يقوم دليل

والمعتزلة ، وقد روى ابن حزم في حديثه عن سعيد بن منذر بن سعيد صاحب الصلاة في جامع قرطبة الذي قُتل بيد البربر يوم دخولهم عنوة سنة(403هـ) ـ قوله:(هو رأس المعتزلة بالأندلس وكبيرهم وأستاذهم ومتكلمهم وناسكهم وهو مع ذلك شاعر طيب ونقيه وكان أخوه عبد الملك بن منذر متهما بهذا المذهب أيضاً) [(3)]

ولم يكن يُسمح بآراء وأفكار تبتعد كثيراً عن المذهب المالكي وكان الجدال والسباب والخصومة من الظواهر المألوفة، يقول ابن حزم في خصومه [(4)]:

تتبع سواي أمراً يبتغي سبابك إن هواك السباب

---

(1) الذخيرة 1/ 1: 478.

(2) نفسه 1/ 1: 175.

(3) طوق الحمامة / 112.

(4) النفح 2/ 79-80.

فـأني أبيـت طـلاب الـسفاه | وصـنت محـلي عـما يعـاب
وقـل مـا بـدا لـك مـن بعـد ذا | وأكثـر فـان سـكوتي خطـاب

ب- المسيحيون: كان النصارى يتمتعون بقدر كاف من التسامح في ظل الحكم الإسلامي في الأندلس، وشغل الكثير منهم مناصب مهمة في الإدارة والقصر، وفي القرن الخامس ولتفوق الممالك النصرانية الشمالية وفرض هيمنتها على دويلات الطوائف أخذ الملوك والأمراء في التودد إليهم أكثر من ذي قبل لكي لا يُستغلوا من الأعداء فأعطوهم الحرية الكاملة في التعبير عن أنفسهم أو ممارسة شعائرهم الدينية أو التكلم باللغة الرومانية ومعاملتهم بسياسة تتسم باللين والمصانعة، ففي حكومة بني جهور في قرطبة عُين ابن زيدون للنظر في شؤون أهل الذمة في بعض الأمور المعترضة [1] وكان قائد ابن عباد في فتح قرطبة ابن مرتين من أصل نصراني وفي بلاطه شعراء مسيحيون يفدون عليه أسوة بالمسلمين ويمدحونه منهم ابن المرعزي وله [2]:

الله أكـبر أنـت بـدر طـالع | والنقـع دَجـن والكـماة نجـوم
والجـود أفـلاك وأنـت مـديرها | وعـدوك الغـاوي وهـن رجـوم

فأستهل بلفظتي الله أكبر وهما لفظتان إسلاميتان، واشتهرت مملكة دانية والجزائر الشرقية في حكم مجاهد العامري وابنه إقبال الدولة علي بن مجاهد بالتسامح الديني حيث عاش الأخير مدة في سردينيا واعتنق المسيحية في أثناء أسره وكانت أمه نصرانية [3] وكذلك مملكة سرقطة لموقعها المتاخم للممالك النصرانية لاعتماد

(1) ينظر دول الطوائف / 396.

(2) النفح 3/ 522.

(3) دول الطوائف / 397.

حكامها على التحالفات مع الممالك الشمالية وكان في حكومة ابن هود وزير اسمه – أبو عامر بن غند شلب [1] – وقد أشاد المستشرقون بذلك (وكان باب المناصب مفتوحا للنصارى ويستخدمون في الجيش غالبا) [2] وهم الذين علموا الشعوب النصرانية التسامح وكانوا يسمحون لأساقفتهم عقد مؤتمرات دينية خاصة بهم، وإن عدد الكنائس التي وجدت في ظل الحكم الاسلامي تؤكد ذلك [3] وقد وصف أبو عبد الله بن الحداد (480هـ) بعض شعائرهم في الكنيسة خلال مصاحبته لفتاة رومية أحبها كانت تدعى نويرة وقال فيها شعراً كثيراً مثل قوله [4]:

وفي شرعة التثليث فرد محاسن ... تنزل شرع الحب من طرفه وحيا

وكانت الأديرة منتشرة في ضواحي المدن التي يوجد فيها المسيحيون ووصف ابن شهيد مبيته في إحداها بقوله [5]:

ولرب حان قد شممت بديره ... خمر الصِّبا مزجت بصرف عصيره

وكان لهم قاضٍ يتولى الفصل بينهم حسب ما تقتضيه السنة المسيحية القوطية [6]، والجزية فرضت عليهم بصورة عادلة فقد فرق بين الغني والفقير ومتوسط الحال كما أعفي عن النساء والصبيان وذوي العاهات وكان لهم نصيب في العطاء [7]، وجعلوا لهم أيام الأحد عطلة وعاشوا مع المسلمين في ألفة ومودة [8]، وكان لهم ممثل في

---

(1) دول الطوائف/ 398.

(2) حضارة العرب/ 276.

(3) نفسه / 277.

(4) الذخيرة1/ 2: 709.

(5) المطمح/ 18، النفح 1/ 525.

(6) تاريخ افتتاح الأندلس/ 31.

(7) العرب واليهود في العصر الإسلامي/ 62.

(8) غابر الأندلس وحاضرها/ 38.

البلاد وقاضي محكمة استئنافية برئاسة الكونت [1] ،ولكن مع ازدياد نفوذ الممالك النصرانية انحرف ولاؤهم إليهم وأخذوا ينتهزون الفرص للإيقاع بالمسلمين وفي ذلك أمثلة كثيرة منها:حصار قلمرية وسقوط طليطلة ونكبة بلنسية حيث لعبوا دورا بارزاً في معاونة الإفرنج [2] ، ووصلت بهم الجرأة الى دعوة بعض ملوك الطوائف لاعتناق المسيحية فعندما استشعر الرهبان المسيحيون القوة في دير(كلوني) بعثوا رسالة الى المقتدر بالله حاكم سرقسطة يدعونه فيها الى اعتناق المسيحية من اجل مساعدته في فك حصار مدينة سرقسطة وما تبعه من حوار جدلي وجواب القاضي أبي الوليد الباجي [3] ، و لهذه الأسباب ارتفعت الأصوات في نهاية القرن الخامس في عهد المرابطين بالاشتداد في معاملتهم وتجريدهم من التسامح الذي كانوا يتمتعون به والى حدود معينة [4] .

ج- **اليهود:** استقبل اليهود الفاتحين العرب كمحررين لان القوط كانوا يسومونهم أنواع العذاب فساعدوا المسلمين على تثبيت أقدامهم وبالمقابل منحوا الحرية الكاملة ورفع عنهم الاضطهاد وتقادم الى الأندلس أعداد كبيرة منهم وأصبحت لهم الأديرة ومراكز دينية وكانت لهم في قرطبة في القرن الرابع الهجري مدرسة دينية ذات شهرة واسعة، وظهرت جالية يهودية في قرطبة وغرناطة ومدن أخرى [5] قال غوستاف لوبون:

---

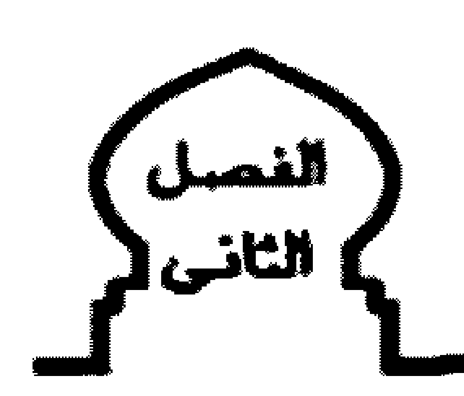
(1) تاريخ الاسلام/ 4: 630.

(2) دول الطوائف: 399.

(3) ينظر الحوار الديني الاسلامي المسيحي/ مجلة المؤتمر الرابع للحضارة الاندلسية/ 83.

(4) رسالة ابن عبدون في الحسبة/ 55-57.

(5) البيان المغرب 2/ 9 في الادب الاندلسي / 51، اشبيلية في القرن الخامس/ 33.



(وكانت اسبانيا العربية بلد أوربا الوحيد الذي تتمتع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها فصار عددهم فيه كثيراً جداً) [1].

وفي عهد ملوك الطوائف كان اليهود يتمتعون بحرية واسعة وسمح لهم بمزاولة التجارة والعمل بالعلوم المختلفة وإشغال مناصب حساسة في الإدارة والقصر وكانوا يمتهنون تجارة العبيد وبيع أدوات الزينة وأنواع الحرف الأخرى [2] وبرز بينهم أعلام كبار واعتنق إعداد منهم الإسلام منهم أبو الفضل بن حسداي الذي كان أبوه من بيت إشراف اليهود وذا شأن في دولة ابن رزين وكان له في الأدب باع طويل في النثر والنظم ومن شعره [3]:

وأطربنا غيم يمازج شمسه	فيستر طورا بالسحاب ويكشف
ترى قُزحا في الجو يفتح قوسه	مكبا على قطن من الثلج يندف

لم تعرض لنا المصادر التاريخية والأدبية مشكلات كبيرة أو صراعات جرت بينهم وبين بقية السكان أو مع السلطة الحاكمة على الرغم من دورهم البارز في التجارة وتقلدهم المناصب الحساسة في الدولة ولاسيما المالية منها عدا الاضطراب الذي حصل في غرناطة وتحدثت عنه المصادر بروايات متداخلة [4] ، نتيجة إقحام أنفسهم في السياسي بين ملوك الطوائف بمساندتهم باديس بن حبوس في حربه ضدالمعتضد بن عباد وفي ذلك يقول ابن عمار [5]:

يهودا وكانت بربراً فانتضى الظبي	وأنبئهم منها بألسنة لد

---

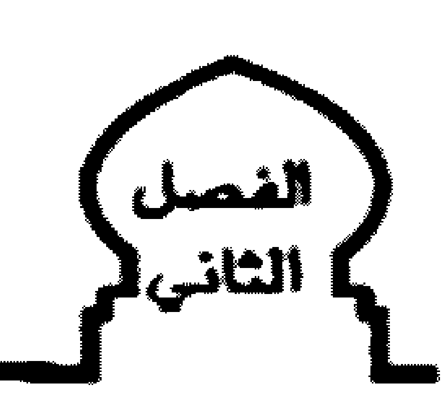
(1) حضارة العرب / 276-277.

(2) الشعر في عهد المرابطين والموحدين/ 52.

(3) المغرب 2: / 44، النفح 3: 401.

(4) واضطراب محمدود في قرطبة عام 463هـ.

(5) ديوان ابن عمار / 197.



وبرز أبو إبراهيم إسماعيل بن نغريلة وكان حسن السيرة[1] ، وكشف مؤامرة بقتل باديس بن حبوس فعلا شأنه [2]، وجاء في الإحاطة كان من أكمل الرجال علما وحلما وفهما...... بارعا في الآداب العبرية والعربية والعلوم الأخرى كالرياضة والفلك والهندسة والمنطق والجدل وله رسائل يشيد بالإسلام وفضائله[3] ، وبعدم وفاته تولى ابنه يوسف بن نغريلة مكانه فاستأثر بعطف باديس وثقته وترك مقاليد الأمور بيده بعد أن شاخ وانهمك في الشراب والراحة [4] ووقف أمامه الشعراء وذوو الحاجة وقال فيه الاخفش بن ميمون القبذاقي [5]:

إذا مدحت فلا تمدح سواه ففي ... يمناه بحر محيط للعفاة زخر

يصغي الى المدح من جود ومن أدب ... كمشتكي الجدب قد أصغى لصوب مطر

وقال فيه الشاعر أبو احمد بن خيرة القرطبي الملقب بالمنفتل قصائد كثيرة مثل قوله [6]:

هذا ابن يوسف ... ورث الفضائل عن فواضل

شرف الزمان بمثله ... شرف الأسنة بالعوامل

---

(1) الذخيرة 1/ 2: 766.

(2) التباين/ 31-34.

(3) الاحاطة/ 446:1-447.

(4) التبيان/ 42.

(5) المغرب 2/ 183.

(6) الذخيرة1/ 2: 763.

وقوله [1]:

ومن بك موسى منهم ثم صنوه   فقل فيهم ما شئت لن تبلغ العُشرا

الى قوله:

أدين بدين السبت جهرا لديكم   وان كنت في قومي أدين به سرا

فقال ابن بسام بعد روايته القصائد (فقبح الله هذا مكسبا وابعد من مذهبه مذهبا تعلق به سبباً)

ولم يكن يوسف هذا حكيما مثل أبيه فاستأثر بالحكم ووزع الأعمال على اليهود وضاعف همه في جمع المال ونقم الناس عليه وفي ذلك قول يوسف بن محمد بن الجد [2]:

تحكمت اليهود على الفروج   وتاهت بالبغال وبالسروج

وقامت دولة الأنذال فينا   وصار الحكم فينا للعلوج

فقل للأعور الدجال هذا   زمانك إن عزمت على الخروج

وتمادى في غيه وقتل بالسم بلقين بن باديس سرا، واتفق مع يحيي بن صمادح حاكم المرية على تسليم غرناطة اليه، وتجاوز على القرآن والدين الاسلامي حيث اقسم أن ينظم جميع القرآن والدين في أشعار وموشحات يغنى بها كقوله [3]:

نقشت في الخدّ سطراً   من كتاب الله موزون

لن تنالوا البر حتى   تنفقوا ممّا تحبون

---

(1) نفسه1/ 2: 765، التبيان/ 42.

(2) الذخيرة2/ 2: 562.

(3) المغرب 2: 114.

فزادت النقمة عليه ونظم أبو إسحاق الألبيري قصيدة نونية يحث فيها أهل غرناطة للثورة عليه وعلى بني دينه [1] وكان للقصيدة دوي كبير، واقترب جيش ابن صمادح واحتل عدداً من الحصون تمهيداً للدخول الى غرناطة ويوسف ابن نغزيلة في مجلس يهيئ الأمر فخرج منادٍ قائلا (غدر اليهود وخان وطاح المظفر) فثار الناس وفي مقدمتهم الصنهاجيون المناوؤن له وهجموا على قصره وعثروا عليه في مخزن للفحم وقتلوه وصلبوه وهجموا على إحياء اليهود وقتلوا منهم يومئذ ما ينيف على أربعة الآف [2]،جاء في المغرب انه كان له ابن صغير هرب الى إفريقيا وكتب من هناك الى أهل غرناطة شعره المشهور منه [3]:

غودر الجسم في التراب طريحا	وغدا الروح في البسيطة ريحا
أيها الغادرون هلاّ وفيتم	وفديتم شبه الذبيح الذبيحا
إن يكن قتلكم له دون ذنب	قد قتلنا من قبل ذاك المسيح
ونبيا من هاشم قد سممنا	خرّ من أكله الذراع طريحا

وفي عهد المرابطين ولاعتماد الدولة على أسس دينية وجهاد مستمر كان هنالك تشدد على اليهود وقد بالغ بعض الكتاب في تصوير هذا التشدد [4]، ولاسيما أن بعضهم في تواريخ لاحقة قد وصل الى مراتب عالية ونبغ منهم شعراء وأدباء [5].

---

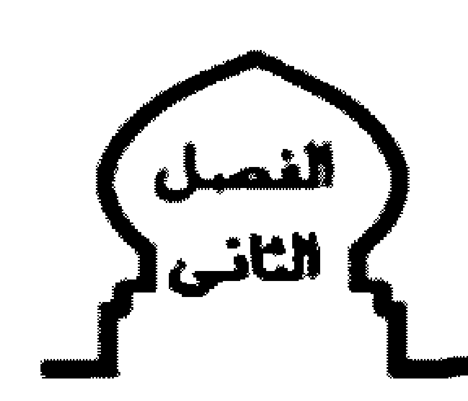
(1) ديوان ابن اسحاق الالبيري/ 96.

(2) الذخيرة1/ 2: 766.

(3) المغرب: 1/ 115.

(4) تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين/ يوسف اشباخ/ 87.

(5) البيان المغرب/ 4: 77، النفح 3: 522-530.



تيارات المجتمع

كان المجتمع الأندلسي خليطا غير متجانس صب في بودقته طبائع وحضارات أجناس مختلفة فحمل من تناقصات العصر وما وجد، فتوزعت شخصيته القلقة غير المستقرة على مسار طويل متذبذب يحمل شحنتي السالب والموجب فانتشروا على قطبي المسار في نطرف حاد وتنبذب عجيب بين هذا وذاك، ومن خلال قصائدهم يمكن حصرهم ضمن ثلاثة تيارات رئيسة هي:-

1- التيار اللاهي:

ويمثل الفئة التي فصلنا القول عنها في المظاهر الاجتماعية التي اتصفت بالترف واللهو والمجون بين الخمر والجواري من اجل الاستمتاع بكل لحظة من الحياة بفلسفة حيوانية شهوانية ،إيمانهم بالله لم يكن تشوبه شائبة فأن ابن حمديس رغم منادمته للخمر والطرب واللهو كان مؤمنا بالله تعالى [1]:

من سلم الأمر للإله نجا ومن عدا القصد واقع الهلكه

وكانوا سببا في انهيار الدولة الأندلسية وتخريم أركانها وفساد خلق أفرادها وقد عبر احدهم وهو الشاعر أبو الحسن بن الجد عن ذلك قائلا [2]:

وكيف يشعر من في كفه قدح تحدو به مذهلات الناي والوتر

صمت مسامعه عن غير نغمته فما تمرّ به الآيات والسور

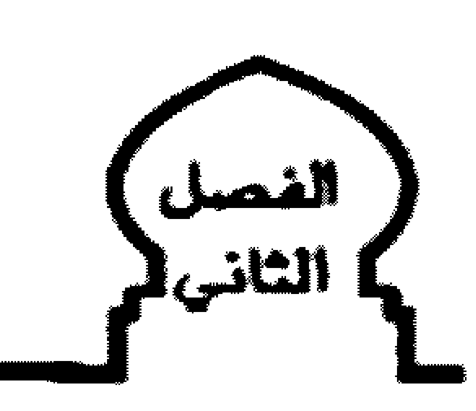
2- التيار المضطرب:

ويمثل الفئة التي لم تستقر على منهج معين وشخصياتهم كانت موزعة بين تناقضات حادة فتارة رجل متعبد قويم الخلق والفعل وتارة يعيش حياة لاهية من غير وازع وحياء

---

(1) ديوان بن حمديس / 355، الذخيرة 4/ 1: 336.

(2) أعمال الاعلام/ 242.



،وهي الشريحة الرئيسة في المجتمع الأندلسي روى صاحب المطمح في الوزير ابن أبي الحسين بن سراج:(وكانا من البلاغة في غاية البيان ومن الفصاحة أعلى مراتب التبيان وكنا نحضر مجلس شرابه ولا تغيب عن بابه وكان له بباب الصموعة من الجامع موضع لا يفارقه أكثر نهاره) [1] ومن الأمراء و القادة من يشرب الخمر في أثناء الجهاد ضد النصارى، منهم أبو الحسن بن يسع الكاتب ذو الوزارتين الذي كتب لابن لبون في لورقة واستبد بها بعد وفاته الى أن تخلى عنها الى المعتمد بن عباد، ويروى انه كان في بطليموس في غزوة الزلاقة يستهدي مشروباً وكتب في ذلك الى أبي بكر بن القبطورنه مقطوعة مطلعها [2]:

عطشت أبا بكر وكفك ديمه   وذبت اشتياقاً والمزار قريب

ولابن حزم الفقيه صاحب المذهب الظاهري قطع شعرية كثيرة في الغزل بالجواري والتغني بصفاتهن والشوق إليهن أو في الغلمان كقوله [3] :

جرى الحب مني مجرى النفس   وأعطيت عيني عنان الفرس

فقبلته طالباً راحة   فزاد ألـيلاً بقلبي اليبس

وكان بعضهم يصوم رمضان ويترك الشرب واللهو والطرب على مضض فإبن رشيق لم يكن يرحب بقدوم رمضان لأنه عدو الكؤوس والأكواب عنده [4]:

لاح لِي حاجب الهلال تمشيا   فتمنيت أنني من سحاب

قلت أهلاً وليس أهلا لما قلـ   ت ولكن أسمعتها أصحابي

---

(1) المطمح/ 19-20.

(2) الحلة السيراء: 2: 174.

(3) طوق الحمامة/ 137.

(4) دبوان ابن رشيق/ 26.

مظهــــرا حبـــه وعنـــدي بغـــض   لعـــــدو الكــــؤوس والأكــــواب

لذلك هاجم الفقهاء الذين يصومون من غير الاكتراث للمعاني الحقيقية للصوم كقول الفقيه الإمام الحافظ أبي بكر بن عطية [(1)]:

إذا لم يكــن في الــسمع منــي تــصاون   وفي بــصري غــض وفي مقــولي صــمت

فحظي إذا مــن صــومي الجــوع والظلــم   وان قلت إني صمت يومي فما صمت

كما أشار الى الذين يجعلون من مناسبة الإفطار وما بعدها وسيل للهو وفنونه [(2)]:

لا تجعلـــن رمـــضان شـــهر فكاهـــة   تلهيـــــك فيـــــ القبــــيح فنونـــــه

أما التوجه الى الخلاعة بعد تشدد في العبادة فصوره قد تكـررت في المجتمـع الأندلـسي وقد روي أن أبا القاسـم احمد بن أبي بكر بن الملح نشأ على عفة وطهارة وزهد فكان أبوه يلومـه على إفراطه في الزهد والاقتصار على كتب المتـصوفين ويحـضه عـلى الأدب ومعـاشرة الأدبـاء والظرفاء فلما عاشرهم زينوا له الراح وتهتك في الخلاعة وفر الى اشبيلية مدينة اللهـو والطـرب وتزوج من عاهرة ترقص في الأعراس وصار يضرب معها بالدف فكتب له أبوه شعراً أوله [(3)]:

ياســـخنة العـــين يـــا بنيـــا   ليتـــــك مـــــا كنـــــت لى بنيـــــا

أبكيـــت عينـــي ، أطلـــت حـــزني   أمـــــت ذكـــــري وكـــــان حيّـــــا

فأجابه:

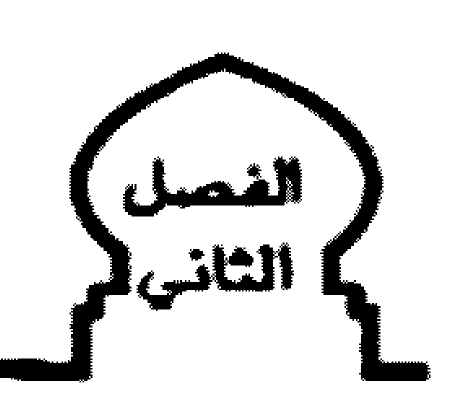
أوجفـــت خيـــل العتـــاب نحـــوي   وقبـــــــل زيَّنتهـــــــا اليّـــــــا

وقلـــت هـــذا قـــصير عمـــر   فـــاربح مـــن الـــدهر مـــا تهيّـــا

(1) القلائد/ 217.

(2) نفسه.

(3) المغرب 1/ 384، النفح 4/ 71.



قــد كنــت أرجــو المتــاب ممــا فتنــت جهــلا بــه وغيّــا

لــولا ثــلاث شــيوخ ســوءٍ أنــت وإبلــيس والحميّــا

وقد سبق إن اشرنا الى الفقيه أبي القاسم بن الخياط الذي تزهد خمسين سنة في عفة وعبادة ولما سقطت طليطلة انقلب عن الإسلام وشد الزنار وحلق رأسه وقال:(ما فعلت هذا إلا بعد ما كمل عقلي)[1] ومما روي أن أبا محمد المصري الشاعر بعد أن أدى فريضة الحج أشتاق الى الخمرة والطرب وهو في طريق بلاد الشرق قافلاً من الحجاز فقال:

ألا هنــد قــد قــضّيت حجــي فهــات شرابــك العطــر العجيبــا

فقــد ذهبــت ذنــوبي في الليــالي فقــومي الآن نقــترف الــذنوبا

خلطنــا زمــزم في حــشانا بــماء الكــرم فامتزجــا قريبــا

3- **التيار المحافظ**

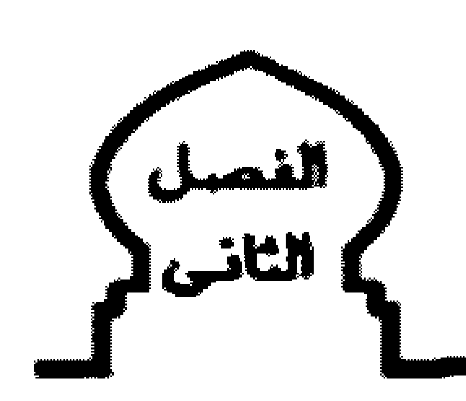
المسلمون في الأندلس منذ أن وطئت أقدامهم عليها خاضوا صراعا من أجل تثبيت جذورهم ونقل عاداتهم وتقاليدهم التي تهذبت بتعاليم الإسلام وشرعه أمام الأكثرية الساحقة من السكان الأصليين الذين كانت لهم عاداتهم الخاصة بهم،

ولارتباط عمليات الفتح بالجهاد ونشر الدعوة الإسلامية تمسكوا بالإسلام دينا وظهرت بينهم طبقة يدعو الى المعروف وينهون عن المنكر وكان جلهم من التيار المحافظ المتمسك بالدين الاسلامي وتعاليمه السمحة والتقاليد العربية الأصيلة.

وفي القرون اللاحقة ولامتزاج المسلمين بالسكان الأصليين ولحالات الترف التي غلبت عليهم برز انحلال واضح عن التقاليد القديمة وظهر اتجاه مضاد للاتجاه المحافظ يسيران جنباً الى جنب لكل منهما أتباع وجماعات فالتيار المحافظ كان يستمد قوته من الشرع ومن الصراع المرير مع النصاري الذين بدأوا حملة استرداد لاحتلال أراضي المسلمين في حين

---

(1) المغرب: 2/ 22.



كان التيار المضاد يتوسع بحب الحياة وجمال الدنيا ولهوها بعد أن أصبحت بلاطات الملوك مسرحا للعبث والمجون، وارتبط التيار المحافظ بالمظاهر الدينية التي نفصل عنها فيما يأتي:

المساجد:

من أهم المظاهر الدينية والاجتماعية والثقافية عند مسلمي الأندلس لتعلقها بوجودهم وكيانهم وان كثيرا من المظاهر الاجتماعية والثقافية كانت تعقد داخل المساجد، والرئيسة منها في المدن الكبيرة تسمى ' المسجد الجامع ' تتوسط المدينة ويؤدي الأمير صلاة الجمعة فيه، وله منارة [1] وفي كل حي مسجد أو أكثر وجاء في النفح أن عدد المساجد في قرطبة في مدة ابن أبي عامر بلغ ألفا وستمائة مسجد [2]، ومن أعظمها مسجد قرطبة الذي بناه عبد الرحمن الداخل ولم يكمل في زمانه وكمله ابنه هشام ثم زاد عليه الخلفاء فيما بعد [3] ومن هذه الزيادات ما قام به ابن أبي عامر التي استغرقت سنتين ونصف وعمل فيه بنفسه وبلغ طول صحنه (من المشرق الى المغرب مائة ذراع وخمسة أذرع وعدد أبوابه تسعة وفي مقاصير النساء بابان) [4] وجميع ما فيه من الأعمدة (1293) عموداً من الرخام وباب مقصورة الجامع من ذهب ، وجدار المحراب وما يليه فيه الذهب على الفسيفساء، وثريات المقصورة فضة محضة ، وارتفاع المنارة الى مكان الأذان أربعة وخمسون ذراعاً [5]. وقال أبو تمام ابن أبي رباح في ثرياه [6]:

تحكي الثريا الثريا في تألقها ... وقد لواها نسيمٌ وهي تنقد

كأنها لذوي الإيمان أفئدةٌ ... من التخشع جوف الليل ترتعد

---

(1) ينظر الكامل في التاريخ 5: 496، الإسلام في المغرب والأندلس/ 85.

(2) النفح 1: 540.

(3) نفسه 1: 545.

(4) نفسه 545-563.

(5) نفسه.

(6) الذخيرة 3/ 2: 83.

وكان الأندلسيون يهتمون ببناء المساجد وتزيينها ومما قاله المقري عن مسجد مالقة (كبير الساحة شهير البركة وصحنه لا نظير له في الحسن وفيه أشجار بديعة)[1] وقوله عن جامع أقليش (ومن عجائب الأندلس البلاط الأوسط في مسجد جامع اقليش)[2] وكان الأمراء ورجال الدولة والموسرون من السكان يشتركون في بناء المساجد وتتخذ أسماؤهم حسب حاراتها أو مؤسسيها [3] أما وظائفها فلا تختلف عن مثيلاتها في الشرق وكانت تجري فيها حلقات علمية وتشتهر بفقهائها وعلمائها وطلابها ومكتباتها وكان المسلمون يعتزون بها ولا سيّما عندما تدنس من الأعداء فالمعتضد بن عباد حينما سيطر على مالقة لمدة معينة من ابن باديس وأعوانه الإفرنج، ذكر في نشوة انتصاره الجامع والصلاة فيه [4]:

فعاد البر معمور المغاني	وعاد الفسق مهدوم المباني
وقام إمام جامعهم يصلي	وآنست المسامع بالأذانِ

أو عندما يحول الى كنيسة كان يترك في نفوسهم وقعا كبيرا كما حدث في مسجد الجامع في بلنسية عندما حول الى كاتدرائية باسم – سانتا مارينا – اثر سقوط المدينة بيد السيد القمبيطور [5] ومسجد الجامع في طليطلة عندما حول الى كنيسة سنة 478هـ وروي أنه لم يبق فيه إلا شيخ ضرير (وبين يديه أحد التلامذة يقرأ فكلما قالوا له عجل أشار هو الى تلميذه بأن أكمل ثم قام ما طاش ولا تهيب ، فسجد به واقترب ، وبكى عليه ملياً وانتحب ، والنصارى

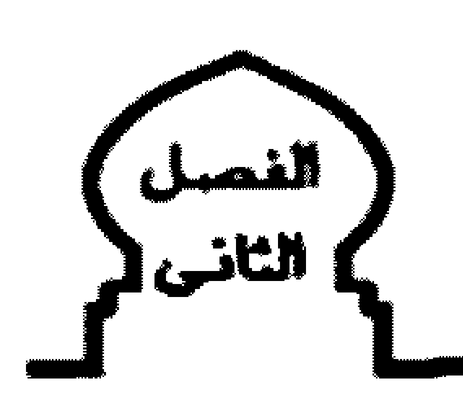
(1) النفح 1/ 152.

(2) نفسه 1/ 158.

(3) تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس / 176.

(4) ديوان المعتضد / قص 41.

(5) البيان المغرب / 3: 308.



يعظمون شأنه ويهابون مكانه ، لم تمتد إليه يدّ ولا عرض له بمكروه أحد)[1] فخرج وفي قلبه حسرة.

الجهاد:-

احتل شعر الجهاد والمقاومة الإسلامية مساحة شاسعة في الأدب الأندلسي والجهاد من الواجبات المقدسة في الإسلام والتقاعس عنه يعرض المسلمين الى خطر الفناء والسلب والنهب في أرواحهم وأموالهم وممتلكاتهم، والى هذا أشار أدباء الأندلس ، فقال ابن بسام: (أن بلادهم أخر الفتوح الإسلامية وأقصى خطى المآثر العربية ، وليس وراءهم ولا أمامهم الا البحر المحيط والروم والقوط)[2] وعد ابن الخطيب ذلك من فضائل الأندلس ، وقال: (وأعلم أنه لو لم يكن للأندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد لكان كافياً)[3] لذلك ظل الجهاد باعثا ورافدا للشعر ولا سيما في القرن الخامس للهجرة والقرون اللاحقة بعد أن زاد خطر الأسبان ، وتحول القتال الى الدفاع عن النفس في عقر ديار المسلمين في حين كان في السابق يرتبط غالباً بالفتوحات وتوسيع رقعة البلاد الإسلامية كالذي كان يحصل أيام المنصور بن أبي عامر.

وكان لسقوط بربشتر بيد النورمانديين سنة 456هـ أثره الفعال في بعث الروح في هذه الفريضة ، حيث شارك عشرات الألوف من المسلمين في تحريرها بقيادة المقتدر بن هود بعد تسعة أشهر من احتلالها[4]. وبعد احتلال طليطلة عام 478 هـ على يد الفونسو السادس ملك قشتالة ، حاول عدد من الفقهاء توظيف هذه الفريضة لتحرير هذه المدينة التي سقطت من غير رجعة ولكن افتقار الأندلس في تلك الحقبة الى ملك ذي بصيرة وجيش قوي لم يفلح الأمر على عكس الإفرنج الذين توحدوا تحت إمرة قائد محنك هو الفونسو السادس، فضلا عن

---

(1) الذخيرة 4/ 1: 168.

(2) الذخيرة 1/ 1: 14.

(3) النفح 1: 186.

(4) الذخيرة / 3/ 1: 181.

الخلافات الكبيرة التي كانت بين ملوك الطوائف فالمعتمد بن عباد كان منشغلا في توسيع رقعة مملكته على حساب الممالك الإسلامية والمقتدر بن هود صاحب سرقسطة كان منشغلا برد هجمات اراجون وأمراء برشلونة ولبعد الإمارات الأخرى الجنوبية والشرقية لم يكترثوا للأمر ، فأصيب المجتمع بنوع من الإحباط وفقدان للمبادئ، فالمقاييس كانت قابلة للتغيير حسب مصالح الأمراء، والتحالف مع الأعداء ضد إمارة أخرى أصبحت حالة متكررة لا تثير في نفوس الأندلسيين المشاعر والهمم لكي يشاركوا في الجهاد وعدت دفع الأدوات للأعداء سياسة ورغم ذلك كان هناك من يعي الموقف ويحذر ويدعو الى الجهاد والى توحيد كلمة المسلمين، فلنا في ذلك أمثلة عدة فأبو حفص عمر بن الحسن الهوزني أرسل بعد سقوط بربشتر الى المعتضد رسائل نثرية وشعرية يحثه على الجهاد ويصف ما حل بأهل المدينة من قتل وتشريد وسلب [(1)]

مصورا له خطورة الوضع قائلا [(2)]

أعباد ضاق الذرع وأتسع الخرق	ولا غرب للدنيا إذا لم يكن شرق
ودونك قولاً طال وهو مقصر	فللعين معنى لا يعبره النطق
إليك انتهت آمالنا فارم ما دهى	بعزمك يدمغ هامة الباطل الحق

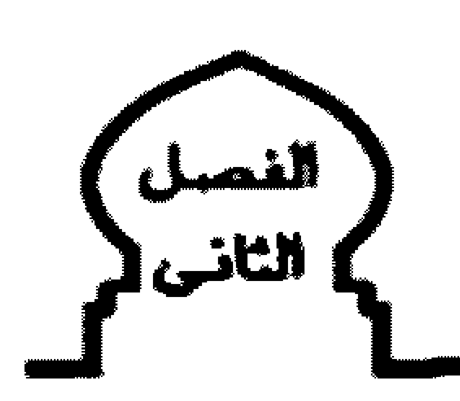
فأمره بالعودة الى اشبيلية لكي لايثير حفيظة الناس عليه(وفوض اليه في الكثر والقلة، فلما كان يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة الربيع الأول سنة ستين أحضره الى القصر وقد غلب عليه السكر وأمر خادمين من فتيانه بقتله فكلاهما أشفق من سوء فعله وفرّ فقام اليه هو بنفسه وباشر قتله بيده)[(3)] ودفنه بثيابه وقلنسوته وهيل عليه التراب داخل القصر من غير غسل ولا

---

(1) نفسه 2/ 1: 83-94.

(2) نفسه 2/ 1 1: 85.

(3) الذخيرة 2/ 1 : 83.



صلاة وكان رحمه الله متفننا في العلوم مع ثقوب فهمه وصحة ضبطه [1]، وفضل الله عليه شموله بقول رسولنا الأعظم صلى الله عليه وسلم (سيد الشهداء حمزة ورجل قام الى سلطان جائر فأمره ونهاه وقتله)[2] ولم يبخل أبو الوليد الباجي (474هـ) في الدعوة الى توحيد الأندلس ورفع شعار الجهاد من خلال تنقلاته الطويلة بين ملوك الطوائف [3] وكان لهذه الحركة وتمادي الإفرنج في طغيانهم أثرها في توجيه الدعوة الى المرابطين استنجادا بهم من أطماع النصارى بعد أن أخذوا يهددون المعتمد في عاصمته، ولإضفاء طابع الجهاد على الدعوة كلف بهذه المهمة قضاة الممالك حيث خاطب المعتمد جاريه صاحب غرناطة وصاحب بطليوس بإيفاد قاضيهما الى قاضي الجماعة للتوجه الى يوسف بن تاشفين بصحبة الوزير أبي بكر بن زيدون [4]، فضلا عما ورد في أعلاه إن الجهاد كان مجالاً خصبا للفخر والمباهاة وكان يختلط بالمديح ووصف المعارك البرية والبحرية ومقارعة الأعداء وضرب الحصون كما يرتبط بالخصائل الحميدة من الشجاعة والعفو والتضحية والكرم والبسالة.... وتحمل الأذى والجوع والبسالة الى جانب كونه وسيلة لحث الناس على الالتزام بتعاليم الإسلام لأن الهزائم في الغالب كانت تعلل بكثرة الذنوب والتقاعس في البيوت كما قال ابن العسال [5]:

لولا ذنوب المسلمين وأنهم	ركبوا الكبائر ما لهن خفاء
ما كان ينصر للنصارى فارس	أبدا عليهم فالذنوب الداء
فشرارهم لا يختلفون بشرِّهم	وصلاح منتحلي الصلاح رياء

ومن خلال القصائد يمكن تصنيف المعارك الجهادية الى:

(1) الصلة / 865.

(2) سنن النسائي / 7: 144.

(3) الذخيرة 2/ 1 :96.

(4) الحلة السيراء 2: 98-99.

(5) الروض المعطار: 40-41.

أ - الفتوحات الإسلامية وتوسيع رقعة الأندلس:

لم يشهد القرن الخامس الهجري معارك لتوسيع رقعة الأندلس الإسلامية لضعف الحكومات الأندلسية والإحباط الذي لازمهم حتى بعد الانتصارات المحدودة التي تحققت في حقب متفاوتة وكانت في مجملها دفاعية غير حاسمة فالمرابطون رغم بأسهم ومعنوياتهم العالية لم يتمكنوا من استرداد طليطلة وجل عملهم بعد الزلاقة كان في استرداد مدينة بلنسية عام 495 هـ التي سقطت بيد الإفرنج سنة 487هـ في قمة العنفوان المرابطي في الأندلس كما فصلنا القول فيها في الحديث عن مملكة بلنسية وكان نصرا مؤزراً رغم ما لحق بالمدينة من خراب وويلات وكان له الأثر في العمليات الجهادية اللاحقة ولا سيما وقعة (أقليش) المشهورة 502 هـ في شنتمرية

ب. المعارك الدفاعية:

إن المعارك التي حصلت في القرن الخامس مع النصارى معظمها كانت دفاعية بحتة أو هجومات لاسترداد مناطق محتلة في فترات سابقة واشتهر ابن دراج القسطلي بوصف المعارك التي خاضها المسلمون مع الإفرنج ويعد ديوانه سجلاً حافلاً بالوقائع العسكرية وتدور معظمها في منذر بن يحيي التجيبي صاحب مملكة سرقسطة ،وقد وصف في إحدى قصائده ضجيج المعارك وغبارها بأسلوب حماسي وعزم من الله تعالى في إمدادهم بالملائكة لتقاتل معهم منها [1]:

في جحفل كالليل جرار له ... من عز نصرك جحفل جرار

أمددت فيه بالملائكة التي ... نصرت بها أعمامك الأنصار

---

(1) ديوان ابن دراج/ 126.

وقوله في مدح له [1]:

جيش يجيش برعد الموت بقدمه ... الى عداك قضاءُ حُمَّ واقعه

يهدي بهدي لواءٍ أنت عاقده ... والله بالتأييد رافعه

وفي بعضها وصف أبطالها وفرسانها وأدواتها من سيوف ورماح والمواقع التي جرت عليها المعارك [2]:

تجارة غزو نقدها البيض والقنا ... قضاء حقوق واقتضاء لآجال

وللمعتمد بن عباد أبيات قالها في المنفى يتذكر سير معركة له ضد الإفرنج معطيا صورة واضحة لأجوائها وكيفية استعمال المسلمين للطبول وترديد تكبيرات قبل الطعن بالسيوف التي تصلي بهامات الأعداء وتسقطهم ركعاً وسجوداً [3]:

لك الحمد من بعد السيوف كبول ... بساقي منها في السجون حجول

وكنا إذا حانت لنحر فريضة ... ونادت بأوقات الصلاة طبول

شهدنا فكبرنا فظلت سيوفنا ... تصليّ بهامات العدا فتطيلُ

سجود على إثر الركوع متابعٌ ... هناك بأرواح الكماة تسيل

ولم يتمالك الشعراء أنفسهم قبيل معركة الزلاقة وبعدها بعد أن شاهدوا جيوش المسلمين تقاتل معا تحت راية الإسلام، فيوسف بن عبد الصمد له قصيدة طويلة في وصف المعركة ،أختتمها بأبيات في رفع معنويات الجنود ودفعهم لمزيد من الانتصارات منها قوله [4]:

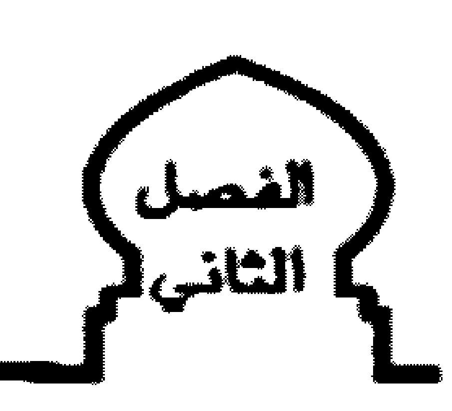
---

(1) نفسه / 116.

(2) ديوان ابن دراج: 235.

(3) ديوان المعتمد/ 111.

(4) القلائد/ 14.



فـــاطعن ولـــو أن الثريـــا ثغـــرة　　واضرب ولـــو أن الـــسماك وريـــدُ

وافـــتح ولـــو أن الـــسماء معاقـــل　　واهـــزم ولـــو أن النجـــوم جنـــود

واطلـــب بملـــك الأرض حقـــاً أنـــه　　فـــرضٌ عـــلى بـــيض الـــسيوف وكيـــد

وقال ابن بسام (وقيل في يوم الجمعة أشعار ســـــارت بالمغــارب والمشارق)[1]
وتعد قصيدة عبد الجيل بن وهبون (484هـ) من عيون القصائد التي أرخـت لموقعـه الزلاقـة وهي في أربعين بيتاً منها ما قاله في شدة المعركة وحمي وطيسها وصمود المعتمد بن عباد يقـول فيها [2]:

تألقـــت الوحـــوش عليـــه شتـــى　　فـــما نقـــص الـــشراب ولا الطعـــام

وقفـــت بحيـــث تلحظـــك العـــوالي　　وهـــــنّ الى مواردهـــــا هيـــــام

ولم يثبـــــت مـــــن الأشـــــياع إلا　　شـــقيقك وهـــو صـــارمك الحـــسام

يـــمانٌ في يـــدي مـــاضٍ يـــمانٍ　　فـــــلا نـــابي القـــرار ولا كهـــام

ولم يحملـــك طرفـــك بـــل فـــؤاد　　تعـــود أن يخـــاض بـــه الحِـــمام

ثبـــت بـــه ثبـــات القطـــب لمـــا　　أدار رحـــــاه خطـــــب لا يـــــرام

وفيها يصف ما حل بالإفرنج من الخـزي بعـد أن قطـع رؤوس رجالـه ورفعـت في أصـلاب الشجر.

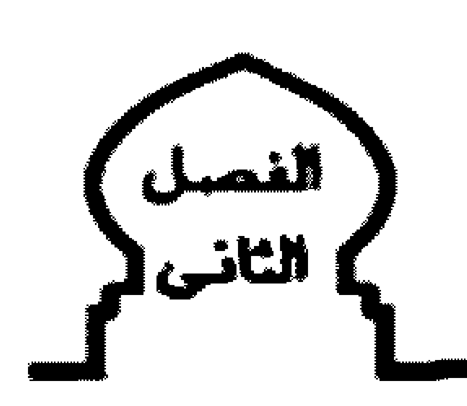
وله قصيدة أخرى يمدح المعتمد ويصف جيشه منها [3]:

---

(1) الذخيرة 2/ 1: 244.

(2) القلائد/ 13، الذخيرة 2/ 1 : 245-247.

(3) الذخيرة 2/ 1: 492.



جيش فوارسه بيض كأنصله   وخيله كالقناة عسّالة ذُبُل

وجرت في القدين الأخيرين من القرن الخامس للهجرة وقائع كثيرة بين الإفرنج والمرابطين وكانت معظمها سجالاً بين الكر والفر ولم يحدث فيها معارك حاسمة أو كبيرة سوى معركة شقر التي مهدت لخروج الإفرنج من بلنسية والمعركة التي جرت بعد الجواز الرابع ليوسف بن تاشفين سنة 496هـ التي تميزت بطابع الجهاد حيث جهز جيشا قوياً من المرابطين والأندلسيين بقيادة محمد بن الحاج وسار بجيشه نحو طليطلة مخترقاً أراضي مملكة قشتالة والتقى بهم في معركة عنيفة هزم فيها النصارى ولم يجن منها ثماراً مهمة [1] وقد أشاد ابن خفاجة بهذه المعركة في قصيدة مطلعها [2]:

ركضوا الجياد الى الجِلاد صباحاً   واستشعروا النصر العزيز سلاحاً

ج- معارك الحصون:

اعتاد المسلمون والإفرنج على حد سواء على تسوير مدنهم بحصون وأسوار دفاعية منيعة وإنشاء حصون ومعاقل رادعة لقوات الأعداء ولا سيما في الحدود الشمالية وكانت إمارة سرقسطة مركزا لتجيش الجيوش وتجهيز الغزوات وبناء الحصون لمجاورتها ثلاث ممالك نصرانية وقد سجل أبو عبد الله بن الحداد (480 هـ) جانباً من هذه المعارك من خلال إشادته ببعضها وبدور المقتدر بن هود فيها [3]:منها أن رذمير – ملك نافار وأراجوان – قد بني على بعض حصون سرقسطة فسار اليه المقتدر وأناخ عليه وافتتح بعض حصونه سنة 462 هـ وقال فيها ابن الحداد [4] :

إذا كان سعي المرء لله وحده   تدانت أقاصي ما نحاه وما ينجو

---

(1) دول الطوائف / 358.

(2) ديوان ابن خفاجة/ 251.

(3) الذخيرة 1/ 2: 726-728.

(4) نفسه 1/ 2 : 728.

وجــلّى ظـــلام الكفـــر منـــك بغـــرة هــي الــشمس والهنــدي يقــدمها الــصبح

وقوله في ابنه المؤتمن وبنيانه في نحر العدو (حصن المدور) [1]

مـــساعيك في نحـــر العـــدوّ ســـهام ورأيـــك في هـــام الــضّلال حـــسام

ومن الوقائع المهمة المتعلقـة بالحـصون – حـصار اليـبط – سـنة 481 هــ حيث جمع الفونسو قواته بعـد معركـة الزلاقـة ووضـع حاميـة كبـيرة في الحـصن أعـلاه للعبـث بالمـدن الأندلسية المحيطة به فتكررت هجماتهم على لورقة ومرسية فاستنجد المعتمد بن عبـاد وبعـض الفقهاء بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين فعبر الى الأندلس وسار صوب الحصن ومعه قـوات بعض ملوك الطوائف ولم يتمكن من فتحه رغم حصاره الشديد لمدة أربعة أشهر فانسحب الى مدينة لورقة بعد أن أدرك الخلافات القائمة بين ملوك الطوائف[2]. وقال أبو الحسن بـن الجـد فيهم [3]:

أمـــاتكم قبـــل مـــوت ســـوء فعلكـــم وكيـــف بالـــذكر إذ لم تحـــسن الـــسّير

وأشاد بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين

وانظـر الى الـصبح سـيفاً في يـدي ملـك في الله مـــن جنـــده التأييـــد والظفـــر

الدعوة الى مكارم الاخلاق

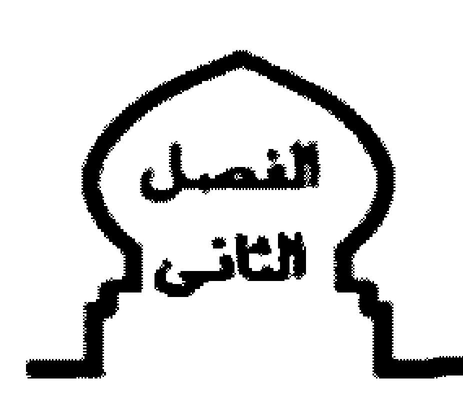
كان لاستحواذ التيار اللاهي على المجتمع أثـره الفعـال في رفـض طبقـة مـن المجتمـع ممارساتهم واتخاذ الوعظ والنصح وسيلة للتصدي لهم لترصين المجتمع قولا وفعلا من خـلال الالتزام بالآداب والأخلاق السامية في تصرفاتهم وعلاقاتهم مع بعضهم لتـنعكس عـلى مجمـل الأمور الأخرى وتزيد الأندلس قوة وثباتا

---

(1) الذخيرة 1/ 2: 728.

(2) البيان المغرب 4/ 143، أعمال الأعلام / 247.

(3) الذخيرة 2/ 1: 257.



ويختلط هذا الغرض أحيانا بالأغراض الأخرى كالزهد والتصوف والمديح والرثاء والهجاء والحكمة ولكنه يبقى غرضا مستقلا له أهداف محددة في إصلاح المجتمع والدعوة الى مكارم الأخلاق في أسلوب وعظي مباشر تتفاوت فيه الموسيقى تبعا لطبيعة الشاعر وعاطفته وموضوع القصيدة وقد يستعان ببعض التجارب الشخصية والأمور الفلسفية والمنطقية لتعزيز المعاني المطلوبة مع الابتعاد عن المحسنات اللفظية وقد اختص بعض الشعراء بهذا النوع من الشعر وألف فيه مصنفات منها (بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذهن والهاجس) و (جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله) لابن عبد البر القرطبي وكتاب (الذهب المسبوك في وعظ الملوك) و (مخاطبات الأصدقاء في المكاتبات واللقاء) لأبي عبد الله الحميدي (488هـ) ورسائل وحوادث موزعة في المصادر الأدبية والتاريخية[1] وقد روى ابن حزم وابن بسام في كتابيهما أخبارا كثيرة تدل على النبل والخلق الرفيع.

ولغرض تقوية مسلكهم وعدم التعرض لهم اتخذوا من الدين في قراءة القرآن وسنة رسوله الأعظم وسيلة وغاية للإهتداء بهما والسير على منهجهما معتمدين في ذلك على قوله صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده وان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[2] لذلك لم يترددوا في استعمال القوة إذا سنحت لهم الفرصة الملائمة كالذي حدث في غرناطة وثورتهم على ابن نغريلة اليهودي أو من خلال فرض مجلس من الفقهاء وكبار الأعيان للإدارة كالذي حدث في قرطبة وطليطلة واشبيلية، ومن القصائد التي تناولت هذا الموضوع بصورة عامة قصيدة أبي الحسن بن صالح الشنتمري الذي يدعو فيها الى التمسك بالمثل الرفيعة والأخلاق الحسنة ومطلعها[3]:

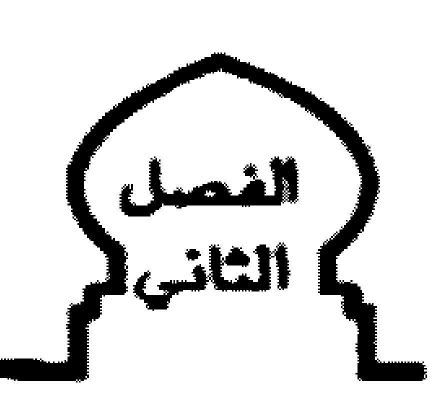
أحب من الأقوام كل نجيب ... شريف زكي الوالدين حسيب

---

(1) ينظر: الاتجاه الاسلامي في الشعر الأندلسي / 210-212.

(2) سنن أبي داود/ 242، سنن ابن ماجة/ إقامة :155.

(3) الذخيرة 2/ 2: 586.



وإني لـــذو علـــم صـــحيح يقينـــه بـــأن صـــديق الـــصدق غـــير غريـــب

ومـــن خلقـــي أني إذا مـــا وجدتـــه شـــددت عليـــه منـــه كـــفً رغيـــب

وان نـــصيب الجـــار عنـــد احتياجـــه الى العـــون في مـــالي لمثـــل نـــصيبي

وان بعيـــد القـــوم ينـــزل ســـاحتي ويـــأوي الى ركنـــي لمثـــل قريـــب

أهـــين لـــه مـــالي وأحفـــظ مالـــه وآتيـــه مـــن بـــري لكـــل عجيـــب

ومن الموضوعات التي عالجوها:

1- **الصحبة الصادقة** والعلاقات بين الأحبة من الأصدقاء – الاخوانيات – التي تدل على الوفاء فأبو عبد الله بن الحداد يدعو الى المحبة والألفة والتسامح (1):

واصـل أخـاك وإن أتـاك بمنكـر فخلـــوص شيء قلـــما يـــتمكن

ولكـــل شيء آفـــة موجـــودة إن الـــسِّراج عـــلى ســـناه يـــدخن

2- **رعاية الجار والوقوف** معهم عند الشدائد فإبن اللبانة يعكس صورة تعلقه بجيرتـه وبيان فضلهم في قوله(2) :

بنفسي وأهلي جيرةً مـا اسـتعنتم عـــلى الـــدهر إلا وانثنيـــت معانـــا

أراشوا جناحي ثم بلـوه بالنـدى فلـــم أســـتطع مـــن أرضـــهم طيرانـــا

3-**اصول عيادة المرضى:** فأبو جعفر بن اللمائي يوضح أصول عيادة المرضى من خـلال مراجعة بعض أصحابه له في علته التي مات منها (3):

روّحنـــى عائـــدى فقلـــت لـــه مَـــهْ لاتـــزدنى عـــلى الـــذى أجـــد

(1) الذخيرة 1/ 2: 729.

(2) النفح 3/ 199.

(3) الذخيرة 1/ 2: 621.

أمـا تـرى النـار وهـي خامـدة عنـــد هبـــوب الريـــاح تتقـــد

4- **عزة النفس:** مثل قول ابن اللبانة الداني[1]:

كابد الى العـز الهجـير ولا تكـن في الـــذل مـــا بـــين الظـــلال مُعرّســـا

5- **الدعوة الى التمسك بشعائر الإسلام واركانه:** مثل قول أبي عبد الله بن الحداد في الحث على زيارة بيت الله الحرام[2]:

فـزر مكـة مهـما اقترفـت مـأثما وزر أفقـــه مهـــما شـــكوت مفـــاقرا

تهـيم بمـرآة العـصور جلالـة وتحـــسد أولاهـــا عليـــه الأواخـــر

6- **الدعوة الى العلم وآدابه:** ولا سيما العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مثل قول أبي عبد الله بن الحداد[3] :

مـن لم يكـن للعلـم عنـد فنائـه أرج فـــإن بقـــاءه كفنائـــه

بالعلـم يحيا المـرء طـول حياتـه فـإذا انقـضى أحيـاه حـسن ثنائـه

وثمة قصائد ومقطوعات كثيرة في تربية الأولاد[4] وإكرام الـضيف[5] وطاعـة الآبـاء والعمل الصالح والرزق الحلال وحفظ اللسان....

---

(1) شعر ابن اللبانة / 56.

(2) الذخيرة 1/ 2: 718.

(3) النفح 4/ 337.

(4) ديوان ابن خفاجة/ 55-56.

(5) ديوان ابن شهيد / 168، النفح 3/ 440.

الزهد والتصوف

كثرت الدراسات عن موضوعي الزهد والتصوف [1] وقد أشار القـدامى الى موضـوع الزهد [2] وذكر ابن بسام أمثلة كثيرة عـلى قـصائد ذات مـضامين زهديـه مـستقلة أو ضـمن موضوعا ت شعرية ولكنه ذكر شاعرا واحدا هو أحمد بن عيسى الألبيري (428 هـ) له قصائد ذات منحنى صوفي وأغفل عن الشاعر أبي إسحاق الألبيري (460هـ) الذي له قصائد زهدية تختلط في بعضها بالتصوف وقد يرجع ذلك أن التصوف لم تتوضح أبعاده في الأدب الأندلـسي خلال القرن الخامس للهجرة وان ابن بسام كان متأثرا بسياسة الدولة المرابطية وبرأي الفقهـاء المسيرين لها والملتزمين بالنص وبالمذهب المالكي المتنافر مع التصوف، فالزهد هـو تـرك المبـاح المقدور عليه لأجل الله تعالى [3] ، وكان هذا الغرض يزداد في أثناء حكم المستبدين من الملـوك والأمراء لذلك قال الدكتور إحسان عباس (إن الزهـد ولـد في أحـضان الثـورة عـلى الحكـم الربضي) [4] وفي أثناء الاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وزيادة الوعي الديني.

أما في القرن الخامس للهجرة فكان للتيار المادي الحسي العابث في الأندلس أثر في تقوية التيار المتمسك بالعفة والطهارة والتزهد كرد فعل عليه وعلى الحكام الغاوين في الضلالة وكان التيار ضعيفا في المدن الكبرى أثناء حكم ملوك الطوائـف لقـوة التيـار الـصاخب وأزداد قـوة ونفوذا بعد استيلاء المرابطين والفقهاء على أمور الدولة.

وبالرجوع الى القصائد التي تحتوي على معاني الزهد يمكن تصنيفها الى:

---

(1) في الأدب الأندلسي يرجى الرجوع إلى:

أ. أدب الزهد في الأندلس في عصري الطوائف والمرابطين / للباحثة حميدة البلداوي.

ب. الشعر الصوفي في الندلس من العهد المرابطي حتى نهاية الحكم العربي/ الدكتور حميدة البلداوي.

(2) البيان والتبيين 3: 142-168، عيون الأخبار 4: 261-327، العقد الفريد 3: 142.

(3) الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة / 140، الاتجاه الاسلامي في الشعر الأندلسي / 145.

(4) تاريخ الأدب الأندلسي / عصر سيادة قرطبة / 116-117.

أ-الزهد الأخلاقي (الحقيقي):

وهو ترك المباح المقدور عليه كمذهب أخلاقي بعيدا عن المباهاة والبخل والثناء فالقدرة الإمكانية شرط واجب التوفر كما قال الشاعر حسان ابن المصيص [1]:

لا تحمدن زهد من لم يعط رغبته لعلة غض من جفنيه ذو الحَوَل

ومتعلق بالفعل والتنفيذ ويصدر في الغالب عن علماء أتقياء أو أناس صالحين لا يهمهم متاع الدنيا ولذاتها بقدر تعلقهم بالآخرة مع المحافظة على مستلزمات العيش التي توفرلهم الحياة الكريمة ، وكان للوعي الديني أثره البالغ في سمو هذا النوع من الزهد في عهد كانت الحياة الصاخبة على أشدها، ولنا في ذلك قول أبي عبد الله الحميدي [2]:

طريق الزهد أفضل ما طريق وتقوى الله تالية الحقوق

وكانوا على فئتين:-

أ - فئة انعزلت في البيت واعتكفت على العبادة والتقوى من غير مخالطة أصحاب السلطة والجاه مكتفية بما عندها من زاد عن محصول أو حرفة مقنعة مثل قول أحدهم [3]:

قميص من القطن من وشربة ماء قراح

ينال بها المرء ما وهذا كثير على من

وبما يوفر لهم الأمن والصحة والقوت كما قال أبو محمد بن الوليد المخزومي [4]:

ثلاثة يجهل مقدارها الأمن والصحة والقوت

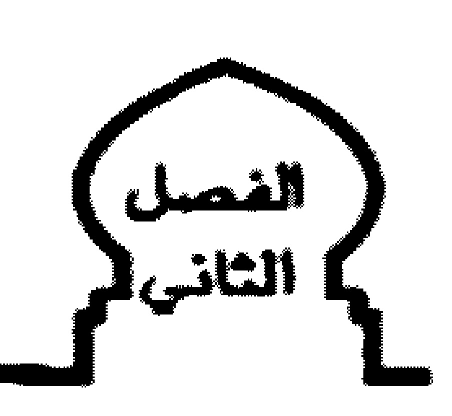
---

(1) الذخيرة 2/ 1: 437.

(2) النفح 2: 115.

(3) نفسه / 4 : 330 (الهامش).

(4) نفسه / 4 : 330.



فــلا تثــق بــمال مــن غيرهــا ... لــو أنــه درٌ ويــاقوت

معتمدين في ذلك على حديث رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم (من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه معه قوت يومه فكأنما سيقت له الدنيا بحذافيرها)[1] مع الحمد والشكر لله في عسره ويسره امتثالا لقوله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[2] وفي النعم والثواب كما قال أبو الوليد الباجي[3]:

الحمــد لله ذي الآلاء والــنعم ... ومبدع السمع والأبصار والكلم

مــن يحمــد الله يأتيــه المزيــد ومــن ... يكفــر فكــم نعــم آلــت الى نقــم

وعدم القنوط من رحمة الله تعالى كقول أبي الحسن على بن إسماعيل الاشبوني (الطيطل)[4]:

إذا سُد بابٌ عنك من دون حاجة ... فدعه لأخرى ينفتح لك بابها

حيث اتخذ لنفسه رقعة من جنة على بحيرة ولزم بها للعبادة[5] ومال الى النسك والتقشف ،ونظم في تلك المعاني أشعار رائعة وضروباً من الحكم تناقلها الناس وحفظوها عنه[6]. ومن شعره في نملة يبين دقة خلقها وقدرة الخالق[7]:

تسري اعتسافا ولقد تهتدي ... في ظلمة الليل الى الخرت

---

(1) الترمذي/ الزهد: 34، سنن ابن ماجه/ الزهد:9.

(2) إبراهيم / الأية.

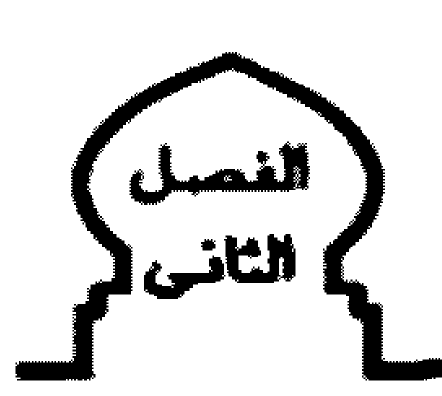
(3) الذخيرة 2/ 1 : 104.

(4) الذيل والتكملة / السفر الخامس / 1: 196.

(5) الجذوة / 294، بغية الملتمس / 1212.

(6) الذيل والتكملة / السفر الخانس/ 195.

(7) الذخيرة2/ 2: 797.



تـــشتد في الأرض عـــلى أرجـــل كـــشعرة المخـــدج في النبـــت

تـــــــشهد إن الله خلاقهـــــا رازقهـــا في ذلــــك الـــسّمت

وقوله[1]:

يـــا غـــافلاً شـــأنه الرقـــاد كـــــأنها غـــــيرك المــــــراد

والمـــوت يرعـــاك كـــل حـــين فكيـــــــف لم يجفـــــك المهـــــاد

فهـــــي زادا وزد مـــــزاداً فقـــــد طـــــوى عمـــــرك النفـــاذ

ب- فئة اتخذت من لسانها وفعلها قدوة للآخرين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكـر في ازدراء للدنيا والتزود للآخرة بأسلوب وعظي حكمي بلهجـة خطابيـة وروح مثالية ويشمل معظم الزهاد المشهورين الذين وردت أسماؤهم في المصادر الأدبية وعمل قسم منهم في السياسة فدفع بعضهم حياته ثمنا لهذا التدخل كأبي حفـص بن الحسن الهوزني الذي قتله المعتضد بالله [2] وأبي الوليـد البـاجي الـذي قـضى عمره في السفر بين ملوك الطوائف لتوحيد كلمة المسلمين ومن شعره قوله [3]:

إذا كنـــت ربي في طريقـــي صـــاحبا وتخلفنـــي في الأهـــل مـــا دمـــت غائبـــا

فـــسهل ســـبيلي وأزوِ عنـــي شرهـــا وشرّ الـــذي ألقـــاه في الأهـــل آيبـــا

أما عن صفات المتزهدين فقد وجدها ابن بسام مكتوبة لأحدهم:

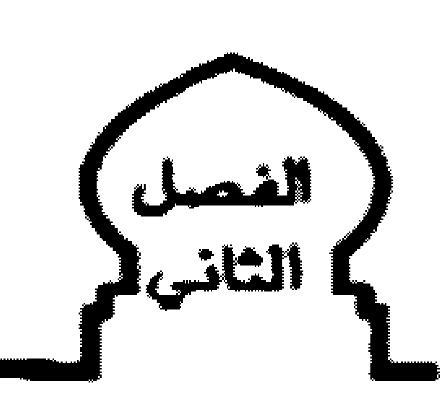
(...رقعة مرت بي في بعض التعاليق لرجل ناسك من أهل سرقسطة كتـب بهـا مـداعبا لصديق كتب اليه: ليت شعري ياأخي ما الشراب الذي تشربه وتستعمله فتخمر منه

---

(1) نفسه 2/ 2: 798.

(2) الصلة / 865.

(3) الذخيرة 2/ 1: 104.



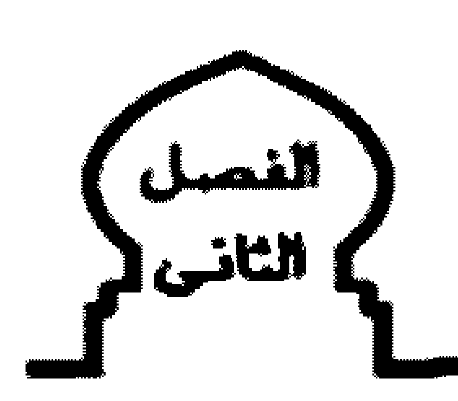
وجناتك وتنشط الى سعيك حركاتك ،بياضك أبدا مشرب بحمرة، كأنك مدمن خمرة وأنت في كل حال طروب لعوب غير عبوس ولا قطوب لا يظهر عليك هم ولا يخامرك غم، فلو وصفت لي صفة غذائك وشرابك رجوت التأهب بإهابك والتخلق بأخلاقك وآدابك فأجابه الزاهد:ـ

خذ كمأة الليل في جام من السهر	واسكب عليه دموع العين بالسحر
وامزجه بالخوف مزجا ناعما أبدا	وقم على قدم الإيراد والصدر
واجعل من الشوق مخواضا لساكبه	ليستوي لك منه الصفو بالكدر
واشربه مصطبرا بالله وارض بما	يجري عليك من الإحكام في القدر
واغسل بباقيه وجها لا حياء به	ألقت عليه المعاصي حمأة الغير
لعل قلبك أن تصبو معاطنه	لتستمد مجاري السمع والبصر
فيهتدي كل عضو نحو غايته	فبين مزدجر عنه ومعتبر
إن الوجوه قلوب إن نظرت الى	حقائق الحال أو حددت في النظر [1]

2- **زهد الشيخوخة:**

عندما يصل المرء الى مرحلة متقدمة من العمر يدب فيه المرض والسقم والشيخوخة وتنهار قواه البدنية فيتوب ويستغفر ويتعفف بعد أن يدرك عن تجربة سنة الحياة و مشقة غروبها فضلا عن ذلك أن المجتمع لا يستسيغ منه اللهو والعبث ،وإن تزهده يختلف في جوهره عن تزهد شاب عن مقدرة مخافة لله تعالي والأدب الأندلسي غني بهذا النوع فالشعراء جلهم قضوا رحيق حياتهم في المجون والتهتك وعندما دبت فيهم الشيخوخة كتبوا أجمل القصائد في

(1) الذخيرة : 1/ 2: 851.



الزهد عن مقدرة فنية مصقولة بطول تجربتهم الشعرية فالشاعر أميمة بن أبي الصلت الذي اشتهر بالخمرة والمجون والتهتك والهجوم على رمضان وصى قبل وفاته أن يكتب على قبره [1]:

سكنتك يا دار الفناء مصدقا ... بأني الى دار البقاء أصير

وأعظم ما في الأمر أني صائر ... الى عادل في الحكم ليس يجور

فيا ليت شعري كيف ألقاه بعدها ... وزادي قليل والذنوب كثير

فإن أك مجزيا بذنبي فإنني ... بحر عذاب المذنبين جدير

وإن يكُ عفو ثمّ عني ورحمة ... فثم نعيمٌ دائمٌ وسرور

وقد روى أن الشاعر أبا القاسم خلف بن فرج الألبيري المعروف بالسميسر (484هـ) اشتهر بالهجاء واللهو في شبابه ثم استغفر وتاب ويقول فيه ابن بسام:

(كما يحكى عن بعض الرواة قال: كان أحد المخنثين قد تسربل المجون وعبد البطالة والجنون حتى محّ شبابه واقصر أترابه ولم يدع عارا إلا ركبه ولا إثما إلا ارتكبه، فطاف به طائف اعتلال بعد طول إملاء من الله وامهال ،فكان يقول أي ربّ بأي ذنب أخذت وعلى أي جزيرة عوقبت ؟! هذا كان استغفاره حتى محا الموت أخباره) [2]

ومن قوله [3]:

جملة الدنيا ذهاب ... مثل ما قالوا سراب

والذي منها مشيد ... فخراب ويباب

وارى الدهر بخيلا ... أبدا فيه اضطراب

---

(1) ديوان اميه بن أبي الصلت/ 87.

(2) الذخيرة 1/ 2: 894.

(3) نفسه



سالب ما هو معط   فالذي يعطي عذاب

وقوله [1]:

دع عنك جاها   لا عيش إلا الكفاف

قوت حلال وأمن   من الردى وعفاف

وكل ما هو فضل   فإنه إسراف

وأين هذا من قوله في عهد الشباب [2]:

خذ من الدهر ما أتى   إن نعيما وان نكد

كن كسكين جازر   قاطع كل ما وجد

وابن شهيد أبو عامر بعد إصابته بمرض الفالج في آخر عمره قال[3]:

تأملت ما أفنيت من طول مدتي   فلم أره إلا كلمحة ناظر

وحصلت ما أدركت من طول لذتي   فلم ألفه إلا كصفقة خاسر

وللمعتصم أبو يحي محمد بن معن صاحب المرية لمدة إحدى وأربعين سنة قال قبيل وفاته [4]:

تمتعت بالنعماء حتى مللتها   وقد أضجرت عيني مما سئمتها

فيا عجبا لما قضيت قضاءها   ومليتها عمري تصرم وقتها

---

(1) نفسه 1/ 891.

(2) نفسه 1/ 2: 886.

(3) ديوان ابن شهيد / 113، المغرب 1/ 84.

(4) المغرب 2/ 196.

3- زهد زوال الجاه:

يلجأ الشاعر أحيانا الى الزهد بعد أن يفقد أمله في السلطة لانقلاب الأحوال السياسية عليه فهذا أبو عيسى بن لبون الذي كان قائما على مربيطر ووزيرا للمأمون بن ذي النون يطوف بعد عزله بلاد الأندلس ، وينتهي به الأمر الى الزهد بعد أن يئس من العودة الى السلطة فقال [1]:

نفضت كفي عن الدنيا وقلت لها   إليك عني فما في الحق أغبن

وما مصابي سوى موتي ويدفنني   قوم وما لهم علم بمن دفنوا

والمعتمد بن عباد عاش حياة مترفة ورأى من نعيمها ولهوها مالم يتيسر إلا له ثم انقلب عليه الزمن فقاسى من ويلات الدهر ومرارته، وبعد ان جرب الدنيا بيسرها وعسرها قال [2] :

أرى الدنيا الدنية لا تواتي   فأجمل في التصرف والطلاب

ولا يغررك منها حسن برد   له علمان من ذهب الذهاب

فأولها رجاء من سراب   وآخرها رداء من تراب

وقوله [3] :

أقنع بحظك من دنياك ما كانا   وعز نفسك إن فارقت أوطانا

ومن الموضوعات التي تكررت عندهم وصف الدهر وغدر الزمان وتقلبه كقول المعتمد [4]:

من يصحب الدهر لم يعدم تقلبه   والشوك ينبت فيه الورد والآس

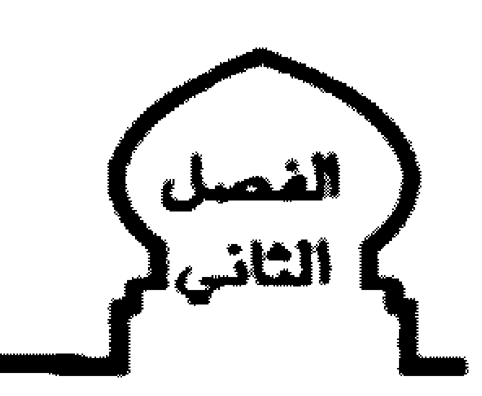
---

(1) الذخيرة3/ 1: 108 ، الحلة السيراء 2: 171.

(2) ديوانه / 93، الحلة / 2: 67.

(3) ديوان المعتمد بن عباد/ 114.

(4) نفسه / 107.



4- الزهد المؤقت.

وهي حالة طارئة مؤقتة في حياة فرد تعود على نمط معين من الحياة تنتابه أحيانا حالات تفكير وتأمل وأقوال في معاني الزهد لا تترجم الى أفعال في الغالب ، معظمها تأتي في مقدمات أو بين ثنايا قصائد الرثاء أو المديح أو حالات طارئة تكون مبعثا لتفكير الشاعر في إحدى موضوعات الزهد ، فإبن خفاجة (533هـ) كان يخرج من جزيرة شقر الى بعض الجبال وحده، حتى إذا صار بين جبلين نادى بأعلى صوته يا إبراهيم تموت - يعني نفسه - فيتردد الصوت ولا يزال كذلك حتى يخر مغشيا عليه[1] وكان عنده نوع من الخوف المتزايد تجاه الموت يطارده كهاجس ويلح عليه لذلك لم يتزوج [2]:

وهل مهجة الإنسان إلا طريدة	تحوم عليها للحِمام عقاب
تخب بها من كل يوم وليلة	مطايا الى دار البلى وركاب

وابن دراج القسطلي يقول في قصيدة في منذر بن يحي بأنه لا ينسى رب السماء [3]:

وأبو عبد الله بن خلصه الضرير ربط بين الكرم والعطاء والزمان الخؤون بقوله [4]:

فض لي بجودك فالغمام ضنين	وفِ بالأمانة فالزمان خؤون

وأشار الى سنة الحياة في الموت في قصيدة رثائية في أم معز الدولة [5]:

كلنا صائر الى الله حتما	واستراح العذول والمعذول
وقصارى بين القصور قبور	ويهب الصبا بها والقبول

---

(1) بغية الملتمس / رقم 502.

(2) بغية الملتمس / رقم 565 .

(3) نفسه 1/ 1: 73، ديوانه / 149.

(4) نفسه 3/ 1 : 326.

(5) نفسه 3/ 1/ 330.

سنة الله في العباد وما في ... سنة الله للورى تبديل

وابن اللبانة الداني وصف الدهر وتلونه وتلاعبه بالإنسان كما يشاء في قصيدة طويلة في المعتمد بعد أن زاره في السجن في أبيات مطلعها [1]:

لكل شيءٍ من الأشياء ميقات ... وللمنى من منائيهن غايات

والدهر في صبغة الحرباء منغمس ... ألوان حالاته فيها استحالات

ونحن من لعب الشطرنج في يده ... وربما قمرت بالبيدق الشاة

وقصائد الزهد أسلوبها تعليمي، القصد منها الاتعاظ والاعتبار فضلا عن إعطاء صورة جلية عن توجه صاحبها ومظاهر حياته ومساره، ويمكن تلخيص معانيها بما يلي :-

1- **الطاعة والانقياد لله تعالى:** كما قال أبو محمد غانم [2]:

صرّفْ بقايا العمر في طاعة ... ولا يغرنك كيد الغرور

وارحل الى الأخرى بزاد التقى ... فإنما الدنيا متاع الغرور

2- **ازدراء الدنيا وطلب الأخرة:** كقول أبي الوليد الباجي [3]:

تبلغ الى الدنيا بأيسر زاد ... فإنك عنها راحل لمعاد

وغض عن الدنيا وزخرف ... جفونك وأكحلها بطول سهاد

3- **الاستغفار والمناجاة وطلب الرحمة والاعتراف بالذنوب والندم على هفوات الماضي وترديد أسماء الله الحسنى** مثل قول المعتمد بن عباد [4]:

(1) شعر ابن اللبانة/ 24.

(2) الذخير 1/ 2: 858.

(3) نفسه 2/ 1/ 103.

(4) المعتمد بن عباد وشعراء عصره / 48، ديوانه: 115.

و طنْ على الكره وارقب إثره — وستغنم الله تغنم منه غفرانا

وقول ابن شهيد ابن عامر[1]:

وإني لأرجو الله فيما تقدمت — ذنوبي به مما درى من حقائقي

4- **التدبر في الكون**، والتأمل في كيفية خلقه لترسيخ الإيمان بوحدانية الله تعالى: مثل قول أبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بالطيطل[2]:

واعتبر الأرض كيف مدت — فهي لهذا الورى مهاد

ثم السماء التي أظلت — قد رفعت مالها عماد

كما بناها يبني سواها — كما بدأنا كذا نعاد

5- **تذكر الموت مثل قول ابن عطيون التجيبي**[3]:

فالموت يخترم الأنام قد استوى — منهم جبان عنده وشجيع

سيان مدرع لديه وحاسر — طعن المنية لا تقيه دروع

6- **ذكر الحساب وظلمة القبر مثل قول ابن الفرضي القرطبي**[4]:

فيا سيدي لا تخزني في صحيفتي — إذا نشرت يوم الحساب الصحائف

وكن مؤنس في ظلمة القبر — يصد ذوو القربى ويجفو المؤالف

---

(1) ديوان ابن شهيد / 134.

(2) الذخيرة 2/ 2/ 799.

(3) الذخيرة 3/ 2 : 783.

(4) النفح 2: 229.

7-القيام في الليل مثل قول أبي الوليد الباجي[1]:

قد أفلح القانت في جنح الدجى ... يتلـــوا الكتـــاب العـــربي النـــيرا

فقـــائماً وراكعـــاً وســـاجداً ... مبـــــتهلاً متعـــــبراً مـــــستغفراً

لـــه حنـــين وشـــهيق وبكـــا ... يبـــل مـــن أدمعـــه تـــرب الثـــرى

8- **شعر الوصايا:** وهي القصائد الموجهة من الآباء الى الأبناء ويغلب عليها الوعظ بأسلوب تعليمي في التأكيد على تقوى الله وطاعته وازدراء الدنيا والتمسك بالأخلاق النبيلة فيها الحكمة وخلاصة تجاربه في الحياة بحرارة في العاطفة وصدق فني ، غالبا تصدر من المتزهدين أو أعلام كان لهم شأن في المجتمع ولنا في ذلك قصيدة لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي (474 هـ)[2]

تجـــاف عـــن الـــدنيا وهـــوِّن لقـــدرها ... ووفِّ ســـبيل الـــدين بـــالعروة الـــوثقى

وســـارع بتقـــوى الله سرا وجهـــرة ... فـــلا ذمـــة هـــديت مـــن التقـــوى

ولا تـــنس شـــكر الله في كـــل نعمـــة ... يمـــن بهـــا فالـــشكر مـــستجب النعمـــى

وغيرها من المعاني المنسجمة مع الزهد[3].

أما التصوف الذي اختلط به عوامل عدة في المشرق[4] ، فإن الجانب الديني منه المتعلق بالزهد عن الدنيا ونعيمها، وحرمان البدن والنفس من الملذات، والاكتفاء بما يسد الرمق ويستر العورة، قد انتقل الى الأندلس وبصفة مبالغة ومهد في فترة لاحقة الى ازدهار الأفكار

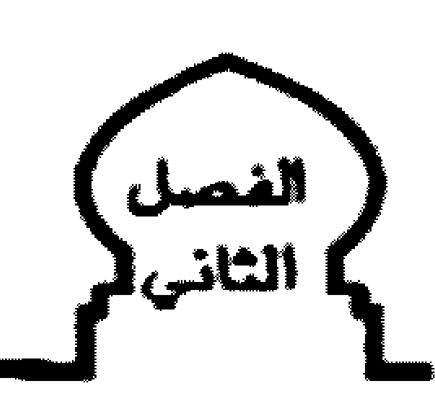
---

(1) الذخيرة 2/ 1 : 104.

(2) مطمح الانفس / 71.

(3) ينظر أدب الزهد في الأندلس / 67-104.

(4) ينظر نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام 3: 23-34، ونشأة التصوف في الاسلام / 25.



الصوفية وانتشار أساليبها لذلك اختلطت معاني الزهد بالتصوف عند معظم الشعراء الأندلسيين.

فالصلة بين الزهد والتصوف لاريب فيها [1] ولاسيما الزهد الذي يمزج التقشف بنزعة استنباطية تأملية لذلك لم يفرق ابن خلدون بينها إلا في البعد الزماني بقوله (وقد كان الزهد فاشيا في الصحابة والسلف ولما عم الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة بإسم الصوفية)[2] . وعد ابن العريف الزهد مقاما من مقامات التصوف[3] لذلك اختلفوا في تحديد أصل مفهوم التصوف [4]، وأصبح له منهج ورؤية خاصة بتأثير عوامل دينية وفلسفية وسياسية وثقافية نابعة من المجتمع الاسلامي وخارجه، فالتصوف عندهم (رؤية الكون بعين النقص ، بل غض الطرف عن كل ناقص ليشاهد من هو منزه عن كل نقص) [5] ومحاولتهم في سد هذا النقص للبلوغ الى عالم الكمال عن طريق الغياب عن عالم الأرض الناقص السفلي بتحرر من قيود الجسم والدنيا بقتل النفس واماتة الحواس والانطلاق الى عالم الحقيقة اللامتناهي حيث النور والصفاء و يصل المتبحر منهم في نهايته الى منزلة الكشف وحجاب الحس فيتعرض للمواهب الربانية ويتحقق ذاته في أفق الملائكة فيدرك حقائق الوجود مالا يدركه سواه [6] ، والتزهد لا يصل الى مستوى تعذيب النفس والابدان والسمو الى السماء وان القصيدة الصوفية تتوفر فيها مصطلحات ورموز لا تتوفر في القصائد الأخرى كالسكر الصوفي والغزل الإلهي والسمو الروحي......

---

(1) ينظر أدب الزهد في الأندلس / 15-23.

(2) مقدمة ابن خلدون 3: 1063.

(3) محاسن المجالس / 78.

(4) ينظر: الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي / 34-36.

(5) طبقات الصوفية / 278.

(6) ينظر الشعر الصوفي / 26-27.

فالمتصوفة يتعلق معظم قصائدهم في الذات الإلهية والسمو والشوق اليه والتقرب منه والدوران في محور – الأنا – في حين نجد المتزهدة يدورون في فلك القناعة والتقشف وازدراء الدنيا والتزود ليوم الحساب.

وقد وجد في القرن الخامس للهجرة في الأندلس من تأثر بالصوفية ومنازلها مثل أبي عمر أحمد بن عيسى الألبيري الذي وصفه ابن بشكوال (كان أديبا شاعرا متكلما)[1].

وقال عنه ابن بسام (من أفراد الزهاد)[2] وبالرجوع الى قصائده يتبين المنحى الصوفي لديه وجل قصائده في الحب الإلهي فهو يشرب جوهر الحب بكف العقل في نشوة الى رب العالمين في أنين مفعم بالحنين يسأله القرب منه والتفاني في ذاته عن طريق السمو الى ملكوته[3]:

شربت بكأس الحب من جوهر الحب ... رحيقا بكف العقل في روضة الحب

وخامر ماء الروح فاهتزت القوى ... قوى النفس شوقا وارتياحا الى الرب

ونادى حثيثا بالأنين حنينها ... الهي الهي من لعبدك بالقرب

إلى قوله:

لعلي أسقي ثم أسقاه دائما ... رحيقا بكف العقل من جوهر الحب

فالسكر الصوفي حالة تعتري المتصوفة حين يفاجأ بسر جمال الذات الإلهية ، فالسكر عندهم هو الغيبة ، والصحو حالة بعده[4] فاستعملوا ألفاظا تتعلق بالخمرة كالساقي والنديم والسكر والخمر..... على أنها رموز وجدانية معنوية تتعلق بالمحبة الإلهية وما يستندون إليها من الفناء والاتحاد والحلول[5] فضلا عن ذلك أن الشاعر قد وظف أساليب غزلية في منحاه

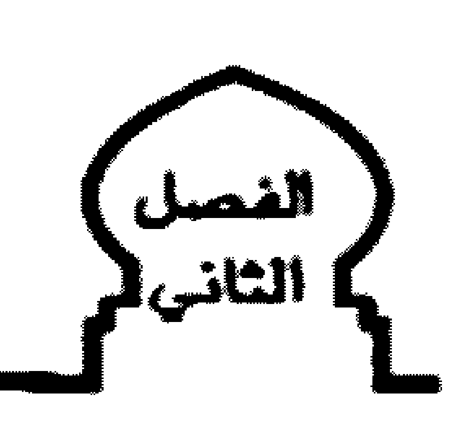
(1) الصلة / 48.

(2) الذخيرة 1/ 2: 850.

(3) الذخيرة 1/ 2: 851.

(4) شعر عمر بن الفارض / 133.

(5) الرمز الشعري عند الصوفية/ 340.



الصوفي ونفى العنصر المكاني للذات الإلهية مع إضفاء العلو في الصفات التي لا يدركه العيان ، يقول أبو عمر أحمد بن عيسى الألبيري [1]:

يـا محـدثاً للكـل كنـت ولم تـزل وكـذلك ربي لايـزال بـلا مكـان

أنـت الـذي جلـت صـفات جلالـه وعلـت جلالتـه عـن إدراك العيـان

وقوله [2]:

قربـا وبعـدا وهـو أبعـد مـن نـأى مـن كـل شيءٍ وهـو أقـرب مـن دنا

جلـت صـفات جلالـه فجلالـه قـد جـل عـن تحديـد كيـف ومـن ومـا

(1) الذخيرة 1/ 2: 850.

(2) نفسه 1/ 2 : 850.

الفصل الثالث
المظاهر الثقافية والفنية

المبحث الأول: المظاهر الثقافية

- أدب الملوك
- الكتب والمكتبات ووسائل الكتابة
- المدارس والتعليم
- الشعر والشعراء
- العلوم والعلماء

المبحث الثاني: الأنشطة الشعرية

- الشعر الفلسفي
- المعارضات الشعرية
- الموشحات
- شعر البديهة والارتجال
- شعر النوادر والفكاهة
- أفانين من النظم
- المراسلات الشعرية

المبحث الثالث: البناء العام للقصيدة

- البناء الشكلي
- القصائد والمقطعات
- المطالع
- حسن التخلص
- الخواتم
- اللغة والأسلوب (النسيج اللغوي)
- الأخيلة والصور الشعرية
- الأوزان والقوافي
- البناء الفكري والذهني (المضمون)

المبحث الأول
المظاهر الثقافية

أدب الملوك:

أهم ما يميز الأدب الأندلس في القرن الخامس كثرة شعراء الملوك ورعايتهم للشعر، فالأندلس ولا سيما قرطبة في النصف الأخير من القرن الرابع وصلت الى قمة ازدهارها الأدبي والعلمي وكانت علية القوم تحرص على تعليم أبنائها واختيار المؤدبين من ذوي العلم والأدب وكانت بلاطاتهم غنية بمجالس العلم والشعراء ولا سيما في عهد حكم المستنصر (350-366هـ) الذي اشتهرت فيه الحضارة الأندلسية، وكان يجري على المعلمين المرتبات لتعليم أولاد الفقراء، ووسع المكتبات وفتح المدارس وأمر بشراء الكتب وتقريب العلماء والأدباء[1].

وقد فصل ابن خلدون في تاريخه[2] وكيفية اهتمام الأندلسيين بتعليم القرآن ورواية الشعر والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتابة. لذلك قال المستشرق دوزي: ((إن كل فرد في الأندلس كان يعرف القراءة والكتابة))[3] وكان الشعر مظهرا من مظاهر الثقافة وحاجة نفسية ماسة تتطلبها الطبقة العالية وترتبط بالفنون الأخرى كالموسيقى والرقص والغناء واللهو والزخرفة والعمارة، لذلك حرص الملوك ومن بدرجتهم على تعليم أولادهم الشعر وكيفية تذوقه من خلال التعليم ومشاركتهم في المجالس التي كانت تعقد في بلاطاتهم، واختلاطهم بالشعراء المرتبطين بالقصر، فالمنصور بن أبي عامر على سبيل المثال ((كان عالما محبا للعلماء يكثر مجالستهم ويناظرهم وقد أكثر العلماء ذكر مناقبه وصنفوا له تصانيف كثيرة))[4] وكان له مجلس في أسبوع يجتمع فيه أهل العلم للمناظرة

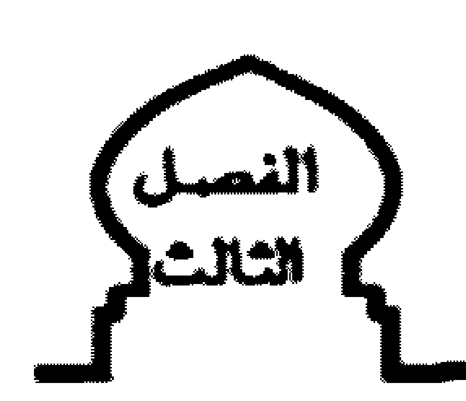
---

(1) الجذوة/ 13، المغرب 1: 186، البيان المغرب 2: 40.

(2) تاريخ ابن خلدون/ المقدمة/ 538.

(3) ديوان ابن زيدون/ المقدمة/ 16 تح علي عبد الغظيم.

(4) الكامل/ 9: 61.



بحضرته[1] وفي هذه البيئة المصقلة بفنون الأدب المختلفة كان الذوق الفطري للأمراء ينمو ويتهذب ويؤثر في تكوين شخصياتهم وهواياتهم المحبة للأدب ولا سيما الشعر. فالمهدي - محمد بن هشام بن عبد الجبار - الذي قضى على دولة بني عامر وشعل نار الفتنة، كان له باع في الشعر، قال في غلام في مجلس شراب[2]:

أهديت شبه قوامك المياس   غصنا رطيبا ناعما من آس

وكأنما يحكيك في حركاته   وكأنما تحكيه في الأنفاس

ونسب لسليمان المستعين بالله الذي خرب قرطبة ودخلها مرتين قصيدة في الغزل عارض فيها أبياتا لهارون الرشيد في المعنى نفسه، قال عنه أبن بسام[3] ((ورفعت له في الشعر راية مشى تحتها كثير من الشعراء والكتاب..... وهو أحد من شرف الشعر باسمه وتصرف على حكمه))، فكان رغم قسوته يجمع في بيت واحد قساوته وشعوره بالجمال في ازدواجية جامعة بين العنف والشجاعة والقسوة وبين العاطفة والرقة والجمال.

والمستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام (414هـ) قال عنه ابن بسام[4] ((كان على حداثة سنه ذكيا يقظا لبيبا..... أديبا وروبة ويصوغ قطعا من الشعر مستجادة)) ونقل له أربعين بيتا، منه قوله:

غزال براه الله من نور عرشه   لتقطيع أنفاسي وليس من الأنس

وهبت له ملكي وروحي ومهجتي   ونفسي ولا شيءٌ أعز من النفس

والناصر علي بن حمود (408هـ) على عجمته كان يصغي الى المدائح ويثبت عليها وقد مدحه ابن دراج في قصائد عدة، وكان له شعراء مختصون كابن الحناط القرطبي الذي قال فيه[1]:

---

(1) المعجب/ 38.

(2) النفح 1: 577.

(4) الذخيرة1/ 1: 46.

(4) نفسه1/ 1: 55، الحلة السيراء 2: 13-14.

روض يحاكي الفاطمي شمائلاً طيبا ومزنا قد حكاه سماحا

وبعد سقوطه الخلافة عام 422هـ استقل عدد من الأسر الغنية بمناطق نفوذها، وتكونت فيما يسمى بدويلات الطوائف وأصبحت لكل منها حياة فكرية وأدبية وبلاط تعقد فيه مجالس العلماء وحلقات الشعراء تحت أمرة ملكها أو أميرها الذي كان غالبا يشاركهم في الحديث ويكون له الحكم في تفضيل بعضهم على بعض وأصبح الشعر أمرا مشتركا بين الدويلات جميعا، يلقى منهم الرعاية والتكريم بمقدار ميل أمرائها للشعر وتذوقه، وكانت القصائد تنظم على أذواقهم وبما تلائم حاجاتهم النفسية والعاطفية، وفي ذلك قول عبد الجليل بن وهبون[2]:

ألستم معشر الأملاك طائفة تقضي بتخليدها هذي الأناشيد

لكم خلقنا ولم نُخلق لأنفسنا فإنما نحن تحميد وتمجيد

يا صاحب المجد، أن المجد سائمة تضل إن لم يكن بالشعر تقييد

فإن نقصتم أناسا من نوالكم فحق منكم لأهل الشعر تزييد

وأصبح الشعر مرتبطا بالأسر الحاكمة ولا سيما في اشبيلية وبطليوس والمرية واشتهر بنو عباد من غيرهم برعاية الشعر وقرضه فالقاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل كان له باع طويل في الشعر، يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر و حوك البلاغة ومن شعره في الياسمين [3]:

وياسمين حسن المنظر يفوق في المرأى وفي المخبر

---

(1) نفسه 1/ 1: 445.

(2) نفسه 2/ 1: 503.

(3) الذخيرة2/ 1: 23.

كأنـــــه مــــن فـــوق أغـــصانه دراهـــــم في مطـــــرف أخـــــضر

وابنه المعتضد المعروف بالقسوة والشدة والبطش كان يقف حائراً أمام جمال الطبيعة ولا سيما زهورها وله مقطوعات في وصف أنواعها منها[1]:

شربنـا وجفـن الليـل يغـسل كحلـه بـــماء صـــباح والنـــسيم رقيـــق

معتقـــة كـــالتبر أمـــا نجارهـــا فـــضخم وأمـــا جـــسمها فـــدقيق

أما المعتمد فقد نقل المقري عن ابن القطاع في كتابه " لمح الملح " [2]:

((كانت حضرته ملقى الرجال وموسم الشعراء.....حتى إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك من أعيان الشعراء وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه......))

وكان هو وابنه الراضي شاعرين وبنته بثينة وزوجته لهما شعر، قال غرسيه غومس: ((إنه فاق كل معاصريه في ذلك المضمار لأنه كان يمثل الشعر من ثلاثة وجوه: أولها إنه كان ينظم شعراً يثير الإعجاب وثانيها أن حياته نفسها كانت شعرا وثالثها أنه كان راعي شعراء الأندلس جميعا)) [3] فأجتمع عنده كبار أعلام الشعراء كابن زيدون وابن عمار وابن اللبانة وعبد الجليل ابن وهبون وأبن عبد الله بن الحداد والحصري القيرواني وابن حمديس وغيرهم وقال عنه ابن الأبار[4] ولم يك في ملوك الأندلس قبله أشعر منه وأوسع مادة وهو القائل في صباه بديهة وقد سمع الأذان لبعض الصلوات:

هـــذا المـــؤذن قـــد بـــدا بأذانـــه يرجـــو الرضـــا والعفـــو مـــن رحمانـــه

طـــوبى لـــه مـــن نـــاطق بحقيقـــة إن كـــان عقـــد ضـــميره كلـــسانه

---

(1) نفسه 2/ 1: 31.

(2) النفح 4: 372.

(3) الشعر الأندلسي / 47.

(4) الحلة السيراء 2: 55، ديوانه/ 57.

ومن الأمراء الذين اشتهروا بنظم الشعر أبو يحي بن صمادح الملقب بالمعتصم (443–484هـ) صاحب المرية، جاء في القلائد[1]: ((ولم تخل أيامه من مناظرة ولا عمرت إلا بمذاكرة أو محاضرة إلا ساعات أوقفها على المدام.... وكان له نظم أرج النغمة بهج الصفحة)) ومن شعره في ماء تسلسل في قصره[2]:

أنظر الى حسن هذا الماء في صببه   كأنه أرقم قد جد في هربه

وكان أولاده أبو جعفر احمد ورفيع الدولة أبو يحي والواثق عز الدولة وأم الكرم بنته كلهم شعراء، وأورد صاحب المغرب مقطعات شعرية لهم في الوصف والغزل والحنين[3]، وقال عن أم الكرم ((كان المعتصم قد اعتنى بتأديبها لما رآه من ذكائها، حتى نظمت الشعر والموشحات))[4].

والتفت حوله الشعراء منهم أبو عبد الله بن الحداد وابن فرج الألبيري وابن شرف البرجي وابن أخت غانم (أبو عبد الله محمد بن معمر المالكي) وأبو عبيد البكري وأبو حفص ابن الشَهيد وغيرهم.

وكان بنو الأفطس، ملوك بطليوس من حماة الشعر والأدب واشتهر منهم المظفر أبو بكر محمد (460هـ) الذي صنف كتاب ((المظفري)) في الأدب والتاريخ في مئة مجلد مملوءة بالأخبار والفنون الأدبية، ومن ثم ولده المتوكل عمر بن المظفر الذي قال عنه صاحب القلائد[5]: ((وطافت بكعبته الآمال واعتمرت الى لَسنٍ وفصاحة ورحب جنابٍ للوافدين

---

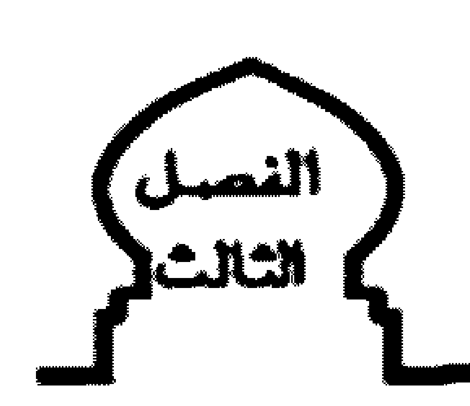
(1) القلائد/ 48.

(2) الذخيرة1/ 2: 736، المغرب 2: 197.

(3) المغرب 2: 199– 203.

(4) نفسه.

(5) القلائد / 36.



وساحة،و نظم يزري بالدر النظيم، ونثر تسري رقته سرى النسيم......)) ومن شعره يستدعي وزيره أبا غانم لمنادمته[1]:

انهض أبا غانم إلينا واسقط سقوط الندى علينا

فنحن عقد من غير وسطى ما لم تكن حاضراً لدينا

وقد اجتمع حولهم طائفة من الشعراء منهم عبد المجيد بن عبدون (520هـ) صاحب المرثية المشهورة في دولة بني الأفطس، وبنو القبطرانة أبناء عبد العزيز البطليوسي وأبو الوليد الحضرمي وابن عبد البر وغيرهم.

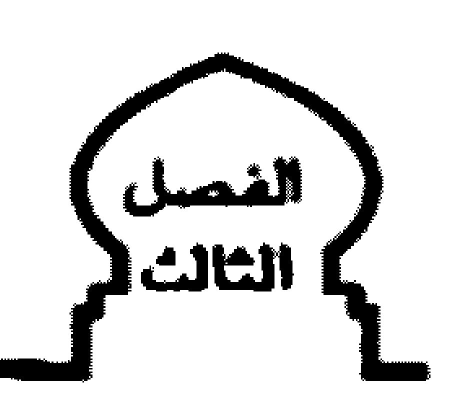
وكانت بلاطات معظمهم منتديات أدبية زاهرة يتنافس الملوك والأمراء لاجتذاب الشعراء والأدباء على قصورهم لإضفاء الهيبة والأحقية في حكمهم، حتى السيد القمبيطور الذي احتل بلنسية لم يتمكن الخروج عن المألوف فكان ((تدرس بين يديه الكتب وتقرأ عليه سير العرب))[2].

وشعر الملوك امتاز بالصدق في تصوير نفوسهم وأفكارهم وبيئتهم وواقعهم وطموحاتهم وغلبت عليه البساطة والألفاظ السهلة والبحور القصيرة من غير الغوص في المعاني، فجاءت معظم مقطعاتهم ارتجالية تظهر فيها عزة الملك وترف السلطان مع سهولة في البناء وحلاوة في الموسيقى فكان بحق مرآة لحياتهم،توزع شعرهم بين الغزل ووصف الطبيعة والخمر والفخر والاستعطاف والمراسلات، والزهد بعد زوال ملكهم، فقصائدهم الغزلية عذبة رائقة تدخل في نطاق اللهو والظرف والطرب وتمتزج في الغالب بالخمرة ومجالسها وصور النسيب فيها عابرة متعلقة بقدرة الشاعر على اختيار الصور الجميلة الملونة في تقصي الجمال وإظهار المفاتن.

---

(1) المغرب / 1: 364-365.

(2) الذخيرة3/ 1: 100.



ولكثرة الحروب والسجال بينهم وتنافسهم على السلطة كان شعرهم في الفخر يأتي في سياق الانتصارات وفتح الحصون وردع الأعداء والتفاخر بالنسب والمبالغة في تصوير معاركهم وإظهار شجاعتهم ولا سيما إن هؤلاء الملوك كانوا زعماء وقادة عسكريين في آن واحد وكان الفخر يزداد عندهم بعدم أفول نجومهم أو سقوط ممالكهم في نوع من السلوان والتغني بأمجادهم الغابرة والتباهي بما كانوا ينعمون به بأسلوب مرهف رقيق حزين، فالمعتمد بن عباد بعد أن أحس بدنو أجله أوصى أن تكتب على قبره ثلاثة أبيات يشغل الفخر السمة البارزة فيها[1].

الكتب والمكتبات ووسائل الكتابة

حرص الأندلسيون على اقتناء الكتب والبحث عن الفريد والجديد منها، روي في شغف الحكم المستنصر (366هـ) بالكتب، أنه كان جماعا يرسل البعثات الى العراق والشام ومصر لشراء الكتب الجديدة ونسخ المخطوطات، وكان له وراقون بأقطار البلاد المختلفة ينسخون له غرائب التواليف ورجال يوجههم الى الأفاق لجمع الكتب له[2]. وإنه أنشأ (ديوان الندماء) مهمته ترتيب الشعراء حسب الطبقات وبذل العطاء لهم طبقا لمستواهم الشعري، ويختار لرأس الديوان من أكابر الشعراء، وكان يصطحب معه في غزواته الشعراء والخطباء[3] وبعث الى أبي الفرج الأصفهاني ألف دينار ذهبا في كتاب الأغاني فأرسل اليه نسخة منقحة منه قبل ان يظهر لأهل العراق[4] وباسمه طرز أبو علي القالي كتاب (الأمالي)[5] وكان ((كثير التهمم بكتبه والتصحيح لها والمطالعة لفوائدها وقلم تجد كتابا كان في خزانته إلا وله فيه قراءة

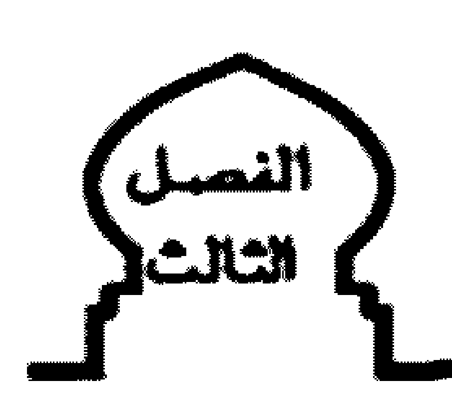
(1) نفسه 2/ 1: 57، ديوانه: 96.

(2) الحلة السيراء 1: 202.

(3) الجذوة / 13، المغرب 1: 186، التجديد في الأدب الأندلسي/ 29.

(4) الحلة السيراء 1: 201-202.

(5) المغرب 1: 186.



ونظر من أي فن كان من فنون العلم، يقرؤه ويكتب فيه بخطه....)) [1] وجاء في النفح أنه: ((جمع من الكتب مالا يحد ولا يوصف كثرة ونفاسة، حتى قيل إنها كانت أربعمائة ألف مجلد وأنهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها وكان عالما نبيها صافي السريرة[2])).

وكانت هناك سبعون مكتبة عامة[3] فضلا عن مكتبة قرطبة الرئيسة التي قال عنها ابن حزم: ((إن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، وفي كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط[4])).

أما المكتبات الخاصة فكان الأعيان يتباهون بها منها مكتبة القاضي ابن فطيس أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد (402هـ) الذي قيل عنه ((كان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء والمسندين، حافظا للحديث وعلله..... جمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس.... وكان له ستة وراقين ينسخون له دائما وكان قد رتب لهم في ذلك راتبا معلوما، وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للابتياع منه وبالغ في ثمنه، فإن قدر على ابتياعه وإلا انتسخه منه ورده عليه......)) [5] .

وكانت مكتبة القصر في قرطبة تضم أمهر المجلدين من الأندلس والعراق ورسامين يزيدون الكتب جمالا فضلا عن المصححين الذين يقومون بمقابلة الكتب المنسوخة وتصحيحها، وكانوا يتقاضون أجزل العطاء ويختارون من بين العلماء والأدباء[6]. وقد شاركت المرأة الرجل في اقتناء الكتب، منهن عائشة بنت أحمد بن محمد (400هـ) جاء في

---

(1) الحلة السيراء 1: 202.

(2) النفح 1: 395.

(3) الحضارة الاسلامية في الأندلس / 27-28.

(4) جمهرة أنساب العرب / 100.

(5) الصلة 1: 310.

(6) المكتبات وهواه الكتب في اسبانيا الإسلامية/ 27.

الصلة[1] ((لم يكن في جزائر الأندلس في زمانها من يعدلها فهما وعلما وأدبا وشعرا وفصاحة وعفة وجزالة وحصافة... وكانت حسنة الخط، تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب وتعتني بالعلم ولها خزانة علم كبيرة حسنة)) وكان بالربض الشرقي في قرطبة مئة وسبعون امرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي[2].

وفي القرن الخامس للهجرة ولازدهار الحركة الفكرية نتيجة قوة الدفع الممتدة من القرن السابق، انتشرت المكتبات العامة والخاصة ولا سيما بعد أن تعددت عواصم الأندلس وأخذ ملوك الأندلس يتنافسون في اقتناء الكتب النفيسة وبناء مكتبات تليق بمظاهر الأبهة التي اتسمت بها قصورهم، واحتلت اشبيلية المرتبة الثانية بعد قرطبة في تقدم العلوم والثقافة وكثرة المكتبات، وكانت تحتوي فضلاً عن مكتبة بني عباد الملوكية العظيمة على عدد كبير من المكتبات الخاصة[3]. وكانت قرطبة مركزاً للكتب، وجاء في النفح[4] ((إنه إذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها...... وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً)).

وكانت للمساجد مكتبات خاصة بها صغيرة أو كبيرة وكان بعض الموسرين يشترون الكتب ويضعونها في المساجد للوقف[5].

وعبر الشعراء عن حبهم للكتب ومنادمتهم لها كقول أبي محمد المصري (496هـ)[6]

فنادم الكتب ما عمرت إن لها عندي وعيشك أسرارا وأخبارا

وقول أبي عبد الله بن الحداد في مصاحبته[1]:

---

(1) الصلة 2: 692.

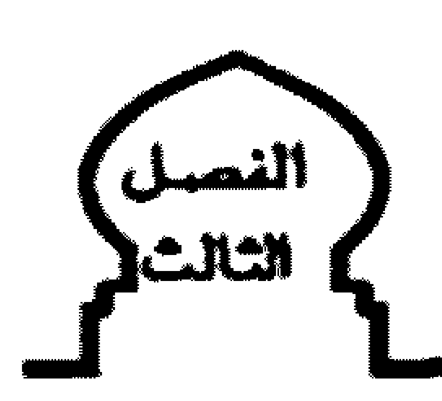
(2) المعجب/ 372، الحضارة الإسلامية / 27.

(3) دول الطوائف/ 416.

(4) النفح 1: 155.

(5) الحياة العلمية في بلنسية/ 276.

(6) الذخيرة 4/ 1: 347.



ذهب الناس فانفرادي أنيسي وكتابي محدثي وجليسي
صاحب قد أمنت منه ملالا واختلالا وكل خلق بئيس

ومن الأمثلة على شغفهم بجمع الكتب أن الكاتب أبا جعفر أحمد بن عباس وزير زهير الصقلبي كان جماعا للكتب حتى بلغت أربع مئة الف مجلد وأما الدفاتر فلم يوقف على عددها لكثرتها[2]. كما اشتهر بنو ذي النون بجمع الكتب لا سيما المأمون منهم ((كان جماعا للكتب ذا خزانة عظيمة)) [3] كما وان مجاهد العامري صاحب المرية والجزائر الشرقية عرض على أبي غالب اللغوي ألف دينار ذهب ليضيف الى كتاب ألفه عبارة ((مما ألف أبو غالب لأبي الجيش مجاهد)) فرفض أبو غالب وقال ((كتاب الفته لينتفع به الناس، واخلد فيه همتي، أجعل في صدره اسم غيري، واصرف الفخر له، لا أفعل ذلك....)) فلما بلغ مجاهدا ذلك استحسنه واضعف له العطاء [4].

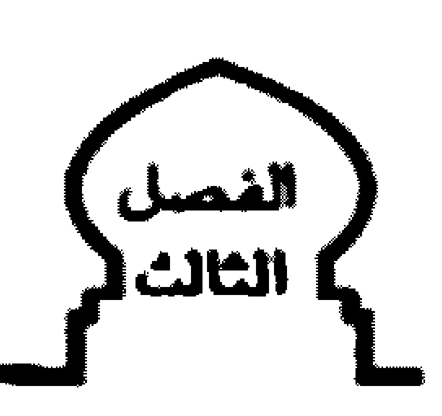
ولانتشار مظاهر الترف كان الأغنياء يقتنون الكتب للزينة وقد حكي المقري عن الحضرمي إنه قال: ((أقمت مرة بقرطبة ولا زمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء الى أن وقع وهو خط جيد وتسفير مليح، ففرحت به أشد الفرح فجعلت أزيد ثمنه، فيرجع الى المنادي بالزيادة علي، الى أن بلغ فوق حده، فقلت له: يا هذا، أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه الى مالا يساوي، قال: فأراني شخصاً عليه لباس رياسة، فدنوت منه، وقلت له: اعز الله سيدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك.... فقال لي: فلست بفقيه ولا أدري ما فيه، ولكني أقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لأتجمل بها

(1) النفح 4/ 115.

(2) النفح 3: 353-536.

(3) التكملة 1: 363.

(4) النفح: 3: 190.



بين أعيان البلد وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب....))[1] لذلك تصدى ابن عبد البر القرطبي للذين يجمعون الكتب للزينة قائلا[2]:

العلم ويحك،ما في الصدر تجمعه | حفظا وفهما واتقانا فداك أبي

وقوله في صحبته[3]:

يسلي الكتاب هموم قارئه | ويبين عنه إن قرا نصبه

نعم الجليس إذا خلوت به | لا مكره يخش ولا شغبه

ومن الحرف الثقافية المتعلقة بالكتب النسخ والوراقة، وكانت مهنة تحتاج الى صبر وروية وخط جميل ودقة في النقل وكان كثير من الأدباء يقومون بهذه المهمة ويتعلمونها منذ الصغر.

قال ابن اللبانة الداني في صبي ناسخ[4]:

أبصرت أحمد ناسخا فرأيت ما | أعني وأعيا أن يحد ويوصفا

وكأنما منح السماء صحيفة | والليل حبرا والكواكب أحرفا

وكانت مهنة شاقة قليلة الفائدة لا تدر عليهم ما يكفيهم من الرزق كقول ابن صارة[5]:

أما الوراقة فهي أنكد حرفة | أوراقها وثمارها الحرمان

---

(1) نفسه 1: 463.

(2) جامع بيان العلم 1: 110، الاتجاه الاسلامي / 237.

(3) نفسها 2: 249، 237.

(4) شعر ابن اللبانة / 67.

(5) بغية الوعاة / 2 : 57-58.

شبهت صاحبها بصاحب إبرة تكسو العراة وجسمها عريان

واشتهرت الأندلس بصناعة الورق ولاسيما غرناطة وبلنسية وطليطلة، وفي مدينة الشاطبة كان ((يعمل بها الكاغد ما لا يوجد له نظير في أنحاء المعمورة)) [1].

أما خطهم، فقال ابن غالب في ((فرحة الأنفس)): ((وكان خطهم أولا مشرقيا ومن فضائلهم اختراعهم للخطوط المخصوصة بهم)) [2]. وكانوا يكثرون من وصف وسائلها ولا سيما القلم والمداد كقول ابن حمديس الصقلي الذي وصف القلم بجدول ماء محمول باليد وفي أعماقه الفكر يكسو السطور ضياءً، ويشبهه بينبوع نور منه ينفجر [3]:

وجدول جامد في الكف تحمله يغوص فيه على در النهى النظر

يكسو السطور ضياء عند ظلمتها كأن ينبوع نور منه ينفجر

وقد أجاد أبو حفص أحمد الأصغر بن برد في وصفها نثراً [4]:

((المداد كالبحر والقلم كالغواص، واللفظ كالجوهر والطرس كالسلك ما أعجب شأن القلم ! يشرب ظلمة ويلفظ نورا......))

ولم يكن سوق الأدب والكتابة رائجا دائما ولا سيما في عهود الاضطرابات والمحن وفي ذلك قال ابن برد الأصغر [5]:

((وسوق الأدب قد كسدت.... وأقلمنا يومئذ في عطلة ومحابرنا في عقلة وكتبنا تحت موجدة وحينئذ قلت:

قرعنا بالكتابة باب حظ لندخله فزاد لنا انغلاقا

---

(1) البيان المغرب 2: 296.

(2) النفح 3: 151.

(3) ديوان ابن حمديس / 203.

(4) المغرب / 1: 87-88.

(5) الذخيرة 1/ 1: 488-489.

فــــلم تبلـــغ بلاغتنــــا مناهـــــا ولا مــــد المـــداد لنـــا ارتفاقـــا

ولا راحـــــت تقـــرطس بالأمـــــاني قــــراطيس أجـــدناها مـــساقا

فـــلا هطلـــت عـــلى الآداب مـــزن ولا برحـــــت أهلتهـــا محاقـــا

وعوضــــنا بــــما ندريـــه جهـــلا لعــــل الــــسوق مدركـــة نفاقـــا

المدارس والتعليم

اهتم الأندلسيون بتعليم أبنائهم وبناتهم منذ الصغر، وكان مظهرا من مظاهر التمدن ولا سيما في المدن الكبيرة وعند الأغنياء الذين كانوا يحرصون على تعليم أبنائهم قراءة القرآن وفهمه والحديث والنحو وبعض العلوم الأخرى، فضلا عن الفنون المتعلقة بترف هذه الطبقة من الغناء والموسيقى، فالمعتمد بن عباد وابنه الراضي على سبيل المثال كانا يجيدان الغناء والموسيقى[1].

ولم تكن في الأندلس مدارس بالمفهوم الحديث للتعليم[2] أو بما تشبه المدرسة النظامية في بغداد التي تأسست عام 457 هـ[3]،وإنما كان التعليم موزعا على:

أ. المساجد: وكانت مراكز للعلم والمعرفة ومكان نشاط الحركة العلمية والأدبية بدرجاتها المختلفة، ومفتوحة أمام من يسمح لهم الوقت بالتردد عليها، مهما كانت طبقتهم ومنزلتهم الاجتماعية[4] وكانت في الجوامع الكبيرة أماكن مخصصة للدراسة فيها، وكان الأمراء وكبار الأعيان يكلفون العلماء بالتدريس في مناطقهم ويتنافسون

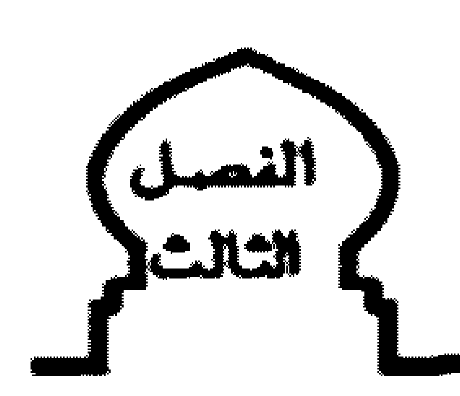
---

(1) تاريخ العرب 3: 710.

(2) النفح 1: 220.

(3) في الأدب الأندلسي/ 89.

(4) النفح 1: 220.



في ذلك، روى[1] إن المستعين بالله سليمان بن حكم أجلس ابن الفخار المقري للإقراء في المسجد الجامع بقرطبة فأصاب ثراء ورفعة، وكانت حلقات الدرس الأسلوب المتبع في التدريس وقد تتضمن بعضها أكثر من حلقة ومؤدب[2] وتعليم الصبيان كان يتم بأجر وجاء في النفح[3] ((يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة، فهم يقرؤون لان يعلموا لا لأن يأخذوا جاريا، فالعالم منهم بارع لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه، وينفق من عنده حتى يعلّم)) وان الدولة لم تكن تخصص للمؤدبين ما بسد نفقتهم إلا في عهد الحكم المستنصر عندما خصص أماكن خاصة لتعليم أولاد الفقراء[4]، وفي الوقت نفسه كان من الفقهاء وأصحاب المعرفة من يقوم بالتعليم والتدريس ابتغاء لوجه الله دون أجر، وكانت المساجد تحتوي على مكتبات ترفد المتعلمين بالكتب والمصادر[5].

ب. **المكاتب:** نظراً لتفرغ قسم من المؤدبين لتعليم الصبيان فإنهم اتخذوا أماكن خاصة لتعليم الأولاد، وغالبا ما كانوا يتخذون من بيوتهم مقرا لهم يجتمع عندهم الصبيان لتعلم القراءة والكتابة وكان متعلقا بظهور طبقة المؤدبين المحترفين الذين يعلمون مقابل أجر، ولهم عادات وتقاليد خاصة بهم وقد وصف ابن خفاجة صبيا مليحا عند أحدهم قائلاً[6]:

---

(1) الصلة 1: 195.

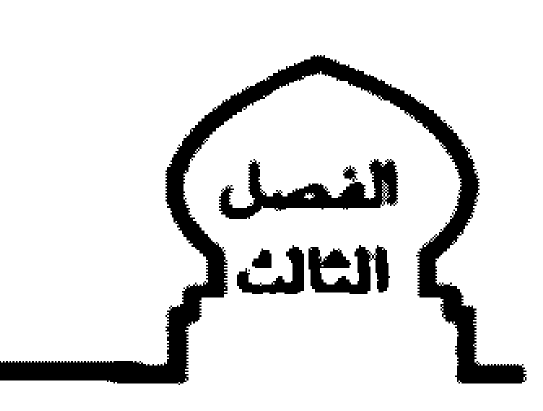
(2) الحياة العلمية في بلنسية/ 217.

(3) النفح 1: 220-221.

(4) الحلة السيراء 2: 240-249.

(5) مقدمة ابن خلدون/ 473، وقد سبق وان فصلنا عن المساجد كمظهر ديني في الفصل الثاني/ ينظر: 139.

(6) ديوان ابن خفاجة/ 377.



للـــــــه أي قمـير حـسن شـاقني　　ومــدارس التعلــيم مـــن هالاتـــه

عثــرت بخــدي عـــبرني في عتبـــه　　فتـــــعثرت أقلامــــه بدواتــــه

ولم تكن علاقاتهم ودية مع قسم من الشعراء لمنافستهم عند الأمراء الذين تعلموا على أيديهم فقد روي[(1)] أن المعتمد بن عباد نزل من دابته عندما لقي الفقيه ابـن الطـلاع احتراما له ولعلمه فوعظه ابن الطلاع ووبخه. وكان ابن شهيد أكثر نقدا لهـم فقـال: ((..... وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن أتى على أجزاء من النحو وحفظ كلـمات مـن اللغة يحنون على أكباد غليظة..... وأذهـان صـدئة لا منفـذ لهـا في شـعاع الرقـة، ولا مدب له في أنوار البيان، سقطت إليهم كتب في البديع والنقد فهموا منهـا مـا يفهمـه القرد اليماني من الرقص على الإيقاع والزمر على الألحان.....))[(2)]

ج- **القصور والبيوت:** كان الموسرون يعلمون أولادهم ولا سيما الـصبايا والبنـات في بيوتهم عن طريق استدعاء المؤدبين[(3)] وكان الملوك يبذلون جهودهم في تعليم ابنائهم ليكونوا حكاما ذوي بصيرة في المستقبل، أما البنات فكانت هنالك مؤدبات نلن حظا وافرا من العلوم يقمن بتعليمهن وبرزت منهم كثيرات مثل ((إشراق)) مـولاة عبـد الرحمن بن غليون (443هـ) تعلمت من سيدها النحو واللغـة وبرعـت في العـروض وحفظت الكامل للمبرد والنوادر للقالي[(4)] وقد نال ابن حزم تعليمه على أيدهن[(5)].

---

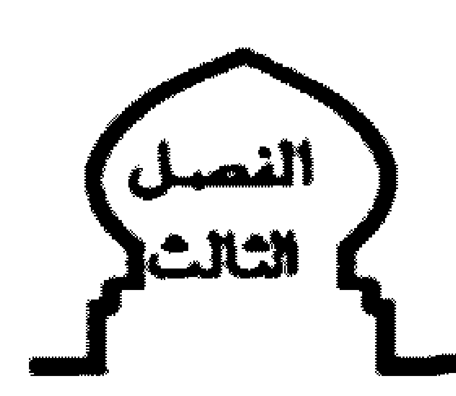
(1) المغرب 1: 165.

(2) الذخيرة 1/ 1: 239-240.

(3) مقدمة ابن خلدون / فصل تعليم الولدان/ 538.

(4) البيئة الأندلسية/ 58-60.

(5) طوق الحمامة/ 121.



وإلى جانب هذه المراكز كانت هنالك مراكز لتعليم الجواري والقيان باسم - دور المدنيات – لتعليمهن فنون الرقص والغناء والموسيقى وأصول الحديث والملاطفة فضلا عن الشعر ونتف من العلوم الأخرى[1].

أما موضوعات التعليم فكان القرآن المصدر الأول ومن خلاله يتعلم الطلاب القراءة والكتابة ومن ثم الحديث النبوي الشريف مع رواية الشعر والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب[2] وفي ذلك يقول ابن حزم[3]:

مناي من الدنيا علوم أبثها	وانشرها في كل باد وحاضر
دعاء الى القرآن والسنن التي	تناس رجال ذكرها في المحاضر

وبعد ذلك يتخصص الراغبون منهم في الدراسات العقلية كالطب والهندسة والفلك والرياضة..... تحت رعاية شيوخ متخصصين في العلوم المذكورة، ولم تكن هنالك مدارس أو مراكز لتدريس هذه العلوم، وكان منهم من يقطع البراري والمسافات الطويلة للاستزادة من العلم والمعرفة، ولأبي الوليد ابن الفرضي شعر أنشده وهو في طريقه الى المشرق، كتبه الى أهله منه[4]:

مضت لي شهور منذ غبتم ثلاثة	وما خلتني أبقى إذا غبتم شهرا
ومالي حياة بعدكم أستلذها	ولو كان هذا لم أكن بعده حرا
سأستعتب الدهر المفرق بيننا	وهل نافعي أن صرت استعتب الدهرا
أعلل نفسي بالمنى في لقائكم	وأستسهل البَرّ الذي جبت والبحرا

---

(1) الذخيرة 3/ 1: 320، البيان المغرب 3: 81.

(2) مقدمة ابن خلدون / 538.

(3) الصلة 2: 417.

(4) الذخيرة 2/ 1: 615.

ويؤنـــسنـــي طـــي المراحــــل بعـــدكم　　أروح عـــلى أرض وأغـــدو عـــلى أخـــرى
وتـــالله مـــا فـــارقتكم عـــن قـــلى لكـــم　　ولكنـــها الأقـــدار تجـــري كـــما تجـــرى
رعـــتكم مـــن الـــرحمن عـــين بـــصيرة　　ولا كـــشفت أيـــدي الـــردى عـــنكم ســـترا

الشعر والشعراء

أ. عصر الفتنة ((399-422هـ)):

كانت الأحداث السياسية منذ مقتل عبد الرحمن شنجول سريعة جدا ولم يتمكن الشعر أن يلحق بها، وبقي متخلفا عنها بأشواط بعيدة، فالمقابلة بين الأحداث والشعر لم تكن متوازنة من حيث الكمية والنوعية وعدد الشعراء أو من حيث التعبير عن الأحداث والمآسي التي عمت البلاد ولا سيما قرطبة العاصمة،فالشعراء الأعلام الثلاثة الذين برزوا في تلك الفترة: ابن دراج القسطلي (421هـ) وابن شهيد أبو عامر (426 هـ) وابن حزم الأندلسي (456هـ) كانوا من نتاجات قوة عهد سابق وبذور علم نمت وترعرعت في ظل الحكم العامري في القرن الرابع للهجرة، ولكن مع ذلك فإن الأحداث أثرت عليهم ووجهت قصائدهم تبعا لمساراتها، فابن دراج الذي بلغ من العمر في بداية الفتنة خمسين عاما عانى من الفقر والذل والهوان والإهمال الى حد جعل قصائده كلها تدور في فلك المديح، وابن شهيد وابن حزم دخلا السياسة ليجدا شيئا من حياتهما المرفهة المفقودة فتعرضا للرحيل والسجن ومن ثم الاعتكاف والعزلة.

فالحياة الثقافية في قرطبة توقفت تقريبا لفداحة الأحداث وفقدان الأمان وكثرة السلب والنهب والقتل وتفرق الأدباء الى أمصار أخرى التي احتفظت بعضها بنوع من الهدوء المحدود، فألف ابن حزم كتابه ((طوق الحمامة)) في شاطبة شرقي الأندلس بين سنتي 417-418 هـ[1] على سبيل المثال، وابن دراج رغم محاولته الثبات في قرطبة فأنه لم يلق الرعاية من

(1) ابن حزم، صورة أندلسية/ 153-154.

الحكام، نعرض بضاعته على المهدي وسليمان المستعين وعبد الرحمن المرتضى والقاسم بن حمود من غير فائدة فأرسل رسالة الى سليمان المستعين بالله يستأذنه الرحيل لضيق حاله عسى أن يمنحه شيئا يحفظ به ماء وجهه ويمنعه من السفر[1]:

" ماذا تقول لأفراخ بذي مرخٍ | حمر الحواصل لا ماء ولا شجر[2]
ما أوضح العذر لي لو أنهم عذروا | واجمل الصبر بي لو أنهم صبروا
لكنهم صغروا عن أزمة كبرت | فما اعتذاري عمن عذره الصغر

وقطع الجزيرة شرقا وغربا ومدح أمراءها دون جدوى وعاد الى قرطبة ومدح ابن حمود بقصيدة رائعة وصفها ابن بسام بأنها من الهاشميات الغر[3] واستجد وذكر حاله واشتكى وبكى وذل نفسه مما يدل على كساد سوق الشعر وتدني شخصية الشعراء في تلك المرحلة المضطربة، ولم يكن حال ابن حزم وابن شهيد أحسن منه وإن الأخير عندما اعترته الفاقة توجه الى صديق صباه مجاهد العامري صاحب المرية الجزائر الشرقية ولم يلق منه غير النكران، فانصرف عنه[4].

أما دَورهم في الأحداث فكان لبعضهم موقف سيء في تأجيج الفتنة وإشعال نيران الحرب وسفك الدماء مثل ابن شهيد الذي ألقى على الخليفة هشام المعتد (أخر الخلفاء) إثر مقتل الوزير ابن الخيّاط قصيدة يحسن له سطوته ويغريه على المتبقي من أصحابه وهي قصيدة كما قال ابن بسام[5] ((ذميمة استهدف بها الى سفك المسلمين وجسر هشاما على الفتك بالعالمين)) منها:

---

(1) الذخيرة 1/ 1: 63.

(2) ديوان الحطيئة / 208.

(3) الذخيرة 1/ 1: 88 ، ديوان ابن دراج / 75.

(4) تاريخ الأدب الأندلسي/ 1: 275.

(5) الذخيرة 3/ 1: 521، ديوان ابن شهيد / 16.

احللتنــــــي بمحلـــــة الجـــــوزاء ورويـــت عنــدك مـــن دم الأعـــداء

وطمعــت لحـم المــارقين فأخــصبت حــالي وبلغنـــي الزمـــان شـــفائي

وقوله:

لا يــرحم الــرحمن مــصرع مــارق عبثـــت بطاعتـــه يـــد الأهـــواء

ألحـــق بـــه إخوانـــه فحيـــاتهم نكـــد وقـــد أودى أخـــو الـــسفهاء

لذلك تعرض بعضهم للسجن والتشريد بعد انقلاب الزمان عليهم وتغيير الحكام وقد لخصه ابن شهيد بقوله[1]:

فــراق وســجن واشــتياق وذلــة وجبـــار حفـــاظ عـــليّ عتيـــد

فمـــن مبلـــغ الفتيـــان أني بعدهـــم مقـــيم بـــدار الظـــالمين طريـــد

مقـيم بـدار سـاكنوها مــن الأذى قيـــام عـــلى جمـــر الحِـــمام قعـــود

أما أهم الأغراض الشعرية التي برزت في تلك الفـترة واتـسعت بالـصدق والنـضج في التجربة الفنية هما:

1 - **الحنين الى الماضي والخوف من المستقبل:** نتيجة للقلق وسوء الأحوال السياسية والاجتماعية كما جاء في قول ابن دراج[2]:

بعيـد عــن الأوطــان مستـشعر غريـــب عـــلى الأمـــواه مـــتهم

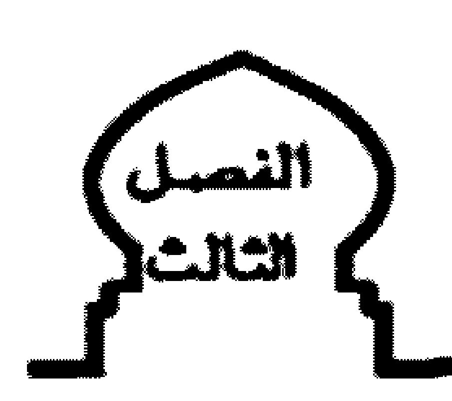
أقـل مـن الرئبـال في الأرض آلفـاً وان كــان لحمــي للحــسود وللخـــبِّ

وأعظم تأنيسا لـدهري مـن المنـى وأوحش فيهم مـن فتـى الجـب في الجـب

---

(1) ديوان ابن شهيد / 100.

(2) الذخيرة 3/ 1: 12 ، ديوان ابن دراج / 82.



2-رثاء المدن التي خربت بيد الأندلسيين أنفسهم وفساد النظام فيها بفعل المحن والفتن مثل قرطبة التي رثاها ابن حزم[1]، كما رثاها ابن شهيد في قصائد عدة منها ما قاله [2]:

يا جنة عصفت بها وبأهلها ريح النوى فتدمرت وتدمروا

آس عليك بمن المهات وحق لي إذ لم نزل بك في حياتك نفخر

وقصائد أخرى لابن عصفور الحضرمي[3] وغيرهم[4].

وبرز عند ابن دراج وصف المعارك ووصف الأسفار برا وبحرا والشعر الأسري فضلا عن المعارضات الشعرية التي نفصل الحديث عنها لاحقا في الأنشطة الشعرية وقد لخص أحمد هيكل ظهور واختفاء الأغراض الشعرية كانتشار أدب التلهي والنفاق والتفاهة وأدب الهروب في مظاهر الشر، وظهور أدب التأمل والتذكر والنقد (المراجعة) في مظاهر الخير، فضلا عن انتشار الغزل الشاذ والمجون والغزل العذري وشعر الفروسية بسبب كثرة الفرسان والمحاربين وشعر التملق والمديح الفارغ[5] وشعر وصف أشياء كالبرغوث[6] والبعوض[7] والثعلب[8]......

(1) أعمال الأعلام/ 107-108، تاريخ الأدب الأندلسي/ 1: 400.

(2) ديوانه/ 110.

(3) الصلة1: 35.

(4) البيان المغرب 3: 110، دول الإسلام في الأندلس: 400.

(5) الأدب الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلاف / 373.

(6) اليتيمة/ 2: 46.

(7) نفسه 2: 47.

(8) نفسه والصفحة، الذخيرة 1/ 1: 219 ديوان ابن شهيد/ 150.

ب- عصر ملوك الطوائف:

ازدهر الشعر في هذا العصر ازدهارا عظيما من حيث الكمية وعدد الشعراء، كأن ما لقيه الأدب والفنون خلال القرون السابقة من الرعاية والتشجيع والسقي قد أثمرت كلها في هذا القرن ولا سيما الشعر، فأنه بالرغم من فساد السياسة وانعدام الأمن والاستقرار وانقسام الأندلس الى دويلات متنافسة متناحرة، انتشرت العلوم والفنون وبرز التقدم العلمي، وأصبح ملوك الطوائف يتنافسون في جذب العلماء والأدباء وتزيين قصورهم بالكتب والمكتبات الفخمة، فإذا كانوا يختلفون في كل شيء فإن معظمهم كانوا يشتركون في اهتمامهم بالشعر وتذوقه، وكانت العامة تشاركهم في ذلك، وقد روي ياقوت الحموي في حديثه عن مدينة شلب[1]: ((سمعت ممن لا أحصي أنه قال: قَلَّ أن ترى من أهلها من لا يقول شعرا ولا يعاني الأدب ولو مررت بالفلاح خلف فدانه وسألته عن الشعر،قرض من ساعته ما اعترض عليه وأي معنى طلبت منه فيما شئت من المعاني)).

أما في العواصم فكان الأمر أكثر شغفا ورعاية، قال ابن بسام في حديثه عن اشبيلية عاصمة بني عباد[2]: ((وصارت مجمعا لصوب العقول وذوب العلوم وميدانا لفرسان المنثور والمنظوم لاسيما في أول المائة الخامسة من الهجرة حين فرح كل حزب بما لديه)). وعن قرطبة قال[3] : ((فلا يكاد بلد منها يخلو من كاتب ماهر وشاعر قاهر، إن مدح ما كثير عنده بكثير وإن هجا أجر لسان جرير.....)) وعن الأندلس عامة قال[4]: ((فصبوا على قوالب النجوم، غرائب المنثور والمنظوم وباهوا غرر الضحى والأصائل، بعجائب الأشعار والرسائل، نثرا لو

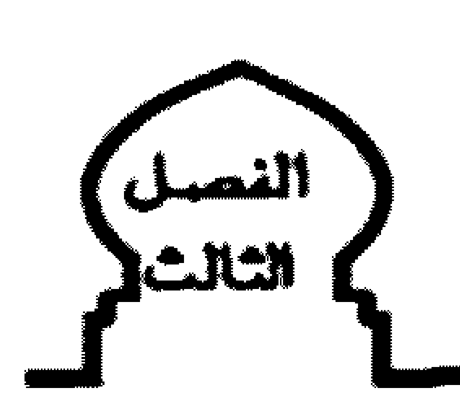
---

(1) معجم البلدان/ 3: 257.

(2) الذخيرة2/ 1:11.

(3) نفسه 1/ 1: 33-34.

(4) نفسه 1/ 1: 11.



رآه البديع لنسي اسمه)) وقال المقري[1]: ((والشعر عندهم له حظ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة، ولهم عليهم وظائف.....) ولنا في ذلك قول ابن رشيق القيرواني في الشعر[2]:

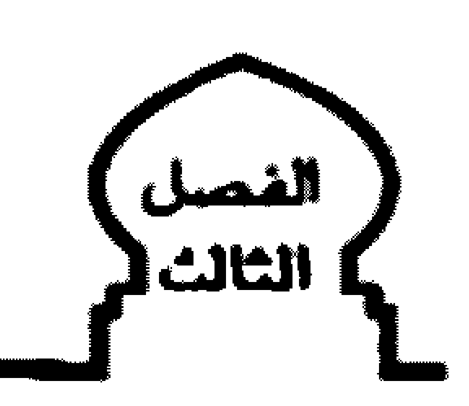
الشعر شيء حسن	ليس به من حرج
اقلّ ما فيه ذهاب	الهم عن نفسي الشجي
يحكم في لطافة	حل عقود الحجج
كم نظرة حسنها	في وجه عذر سمج
وحرقة برّدها	عن قلب صب منضج
ورحمة أوقعها	في قلب قاس حرج
وحاجة يسرها	عند غزال غنج
وشاعر مُطرّح	مغلق بباب الفرج
قربه لسانه	من مللك مُتوّج
فعلموا أولادكم	عقار طب المُهج

وكان لمجالس الأنس التي تعقد في بلاطات الملوك وقصور الأغنياء والمتنزهات والمتفرجات التي تتخللها مناظرات أدبية أثر في دفع الحركة الشعرية والنقدية وكان الشعراء يجتمعون وينشدون أبياتا عذبة، مرحة يختلط فيها شعر الغزل والخمر بالوصف فتصبح المجالس ميدانا للمطارحات الأدبية وإنشاد الشعر على البديهة والارتجال في ملاحظات عابرة وأفكار محددة، وذهب غارسيا غومس الى القول : ((إن مجالس الخمر في الغالب كانت

---

(1) النفح 1/ 22.

(2) ديوان ابن رشيق/ 50 – 51.



حلقات شعرية أدبية كانت توضع أمام الندماء مناضد صغيرة عليها ما طاب ولذ من شهي الطعام ومن اللحم الطري مع طبق من الفاكهة مختلفة الأنواع وكأس وإبريق وفي الوسط قناديل تلقي أشعتها على أصص الورود والنرجس وأكوام الفاكهة وكان الساقي الرشيق القوام يمر على الندماء ويصب لهم نبيذا من أباريق بلورية وكان المجلس ينقضي بين تقاريض الشعر وارتجاله ويتخللها شدو مغنية مع لحن جميل تحت أنغام العود والطنبور))[1]

وكانت العامة يشاركونهم الاهتمام بالشعر حتى الذين لا يعرفون القراءة والكتابة تعلموا عن موهبة أو من أثر الاختلاط بالشعراء والتردد على الحلقات العلمية والمناظرات الأدبية وبرز بينهم من المكفوفين أعلام كبار كالأعمى التطيلي والحصري القيرواني.......

وكان الشعر وسيلة للسجن أو العفو، فمن الشعراء من سجن نتيجة سطوة لسانه ثم أعفي عنه بعد أبيات شعرية، كابي مروان عبد الملك بن غصن الحجاري الذي هجا المأمون بن ذي النون بأبيات أولها:

تلقيت بالمأمون ظلما وانني ... لآمن كلبا حيث لست مؤمنه

فلما وقع في يده سجن، فكتب الى ابن هود أبياتا منها:

وها أنا في بطن الثرى وهو حامل ... فيسر على رقبتي الشفاعة مولدي

فرق له وتحيل حتى خلعته بشفاعته فلما قدم عليه أنشده أبياتا أولها:

حياتي موهوبة من علاكا ... وكيف أرى عادلاً عن ذراكا

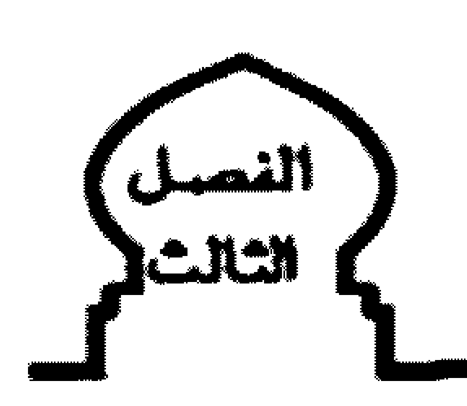
فطرب ابن هود وخلع عليه الوزارة[2].

كما كان وسيلة للارتزاق والجاه والمال، وقد أكد ابن بسام على ذلك في حديثه عن ابن عمار[1]: ((وكان قد نشا والشعر بأفقنا انفق ما عهدت سوقه وأعمر ما كانت الى الجاه والمال طريقة.......)) وقد أقر أبو بحر يوسف بن عبد الصمد بالتكسب بالشعر[2].

---

(1) الشعر الأندلسي / 91.

(2) النفح 3: 363 – 364.



فوصـــــلتُ أقطـــارا لغـــير أحبّـــة ومـــدحت أقوامـــا بغـــير صـــلات

أمـــوال أشـــعاري نمـــت فتكـــاثرت فجعلـــت مـــدحي للبخيـــل زكـــاتي

وإن أبا علي ادريس العبدري لم يكن يمدح بأقـل مـن مئـة دينـار[3]. وكانـت بلاطـات الملـوك طريقـا الى المجـد الأدبي والمكانـة الاجتماعيـة وعـلى الـشاعر أن يجتـاز قـصور الملـوك والوجهاء ويحظى لديهم بالرضا والإعجاب فيحصل منهم على الجاه والمال[4]. لـذلك ارتـبط الشعر عند معظم الشعراء المشهورين بما يعطى لهم من الهبات والعطايـا وبحالـة البـذخ التـي انتشرت في الأندلس وكان الإبداع مرتبطا بالعطاء فحين أعجب المعتمد بن عباد ببيت المتنبـي في مدح سيف الدولة الحمداني[5]:

إذا ظفـــرت منـــك العيـــون بنظـــرة أثـــاب بهـــا معيـــي المطـــي ورازمـــه

قال ابن وهبون مرتجلا:

لـــئن جـــاد شـــعر ابـــن الحـــسين فـــإنما تجيـــد العطايـــا واللّهـــا تفـــتح اللهـــا[6]

وحين ينشد بيتان من الشعر لابن وهبون في مجلس المعتمد:-[7]

قـــل الوفـــاء فـــما تلقـــاه مـــن أحـــد ولا يمـــر لمخلـــوق عـــلى بـــــــال

---

(1) الذخيرة 2/ 1: 369.

(2) النفح 3: 534.

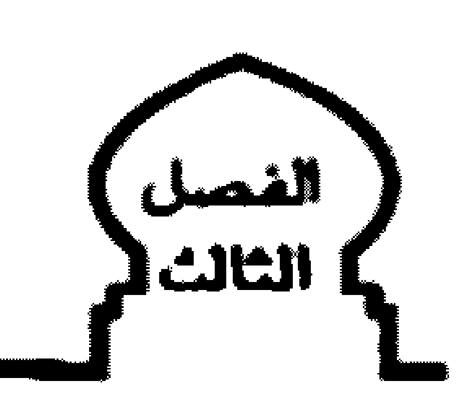
(3) المغرب1: 400.

(4) اشبيلية في القرن الخامس/ 168.

(5) ديوان المتنبي / 263.

(6) النفح 3: 194.

(7) المعجب/ 159.



وصـــار عنـــدهم عنقـــاء مغربـــة   أو مثـل مـا حـدثوا عـن ألـف مثقـال

يرسل له ألف مثقال ذهب وحين يحضر شاكرا قال له:- [1] ((قد أمرنا لك بألف دينار وبألف أخرى تنفقها)). وأصبحت قصورهم منتديات أدبية زاهرة يلقى فيها الشعراء ممن أسعفهم الحظ التشجيع والترحيب، فكان مجلس المعتمد بن عباد حافلا بالشعراء يتبارون أمامه بإنشاد قصائد رفيعة والمعتمد نفسه حاذق مميز يعرف الكلم الطيب من القبيح في حين أن بلاط طليطلة في عهد إسماعيل بن ذي النون لم يجتمع فيه الشعراء لأنه كما يقال كان شديد البخل[2] . وتغير الوضع في عهد ابنه المأمون وتشابه في ذلك مع بني الأفطس في بطليوس حيث كانوا لا يميلون الى الأدب وتغير الحال في عهد المتوكل حين اقبل عليه الشعراء وأصبح له جلسات شعرية ومناظرات[3] أدبية، ومن الإمارات الأخرى التي ضعف الشعر فيها نسبيا إمارة سرقسطة وأصحابها ((بنو هود)) لانشغالهم بالحروب ومجاورتهم لثلاث ممالك نصرانية، ومملكة غرناطة ((فلم يتح للأدب أن يصل الى مستوى رفيع لان أصحاب الأمر فيها كانوا من طوائف البربر))[4] .

ومن الإمارات التي ازدهر الشعر فيها فضلاً عن اشبيلية، إمارة المرية حوْل ابن صمادح الذي اجتمع عنده الشعراء: ابن الحداد وابن رشيق وأبو عبد الله بن عبادة المعروف بابن القزاز وابن فرج الألبيري وأبو عبيدة البكري..... فضلا عن أنهم كانوا أسرة شاعرة، وإمارة بلنسية ومرسية حيث استقر فيها كل من عبد الجليل بن وهبون صاحب القصيدة المشهورة عن معركة الزلاقة والوقشي الذي وصف ما حل بالمدينة أثناء الاحتلال الاسباني (488 – 495 هـ) وأبو عيسى بن لبون صاحب مربيطر وابن خفاجة شاعر الطبيعة الأول من الرسائل التي

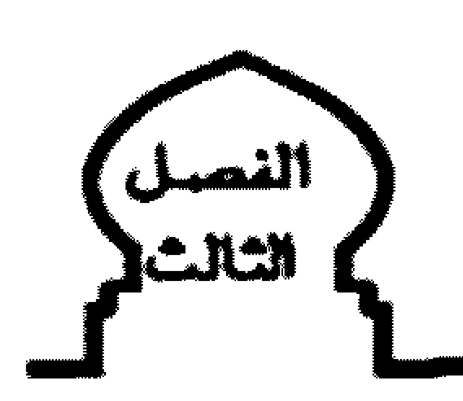
---

(1) النفح 3: 235.

(2) المغرب 2: 12.

(3) النفح 3 : 447-450.

(4) تاريخ الفكر الاندلسي/ 15.



وضحت فيها أحوال الشعر في الأندلس رسالة لأبي الوليد الشقندي (629 هـ)في باب تفضيل أهل الأندلس على بر العدوة[1]: ((فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول: العالم الفلاني عند الملك الفلاني أو الشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني...... وقد سمعت من كان من الفتيان العامرية مجاهد ومنذر وخيران، وسمعت عن الملوك العربية بنو عباد وبنو صمادح وبنو الأفطس وبنو ذي النون وبنو هود، كل منهم قد خلد فيه من الامداح ما لو مدح به الليل لصار أضوأ من الصباح ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادي النواسم بين الرياض وتفتك في اعوالهم فتكة البراض)) وكان المعتمد يرسل دعوات الى الشعراء للإقامة في مملكته بعد تمحيصهم ويمنحهم العطيات ويلزمهم خدمته ضمن – ديوان الشعراء – فأرسل لأبي العرب الصقلي مبلغا قدره خمس مئة دينار للتجهيز ليتوجه اليه وأرسل مثله لأبي الحسن القيرواني الكفيف[2].

وروى ابن حمديس قصة قدومه الى الأندلس وامتحان المعتمد له قائلا:

((أقمت باشبيلية لما قدمتها على المعتمد بن عباد، مدة لا يلتفت الى ولا يعبأ بي حتى قنطت لخيبتي مع فرط تعبي، هممت بالنكوص على عقبي فأني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي، إذا بغلام معه شمعة ومركوب، فقال لي أجب السلطان، فركبت من فوري، ودخلت عليه فأجلسني على مرتبة فنك، وقال لي افتح الطاق التي تليك، ففتحتها فإذا بكور زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه، وواقدة نفتحها تارة وتسدها أخرى ثم دام سد احدها وفتح الآخر فحين تأملتها قال اجز:

أنظرهما في الظلام قد نجما

فقلت: كما رنا في الدجنة الاسد

فقال: يفتح عينيه ثم يطبقها

---

(1) النفح 3/ 190.

(2) أبو الحسن القيرواني/ 30.

فقلت: فعـــل إمـــرئٍ في جفونـــه رمـــد

فقـــال: فـــأبتره الـــدهر نـــور واحـــدةٍ

فقلت: وهـــل نجـــا مـــن صروفـــه أحـــد

فاستحسن ذلك وأمر لي بجائزة والزمني خدمته))[1].

ووقع له بمائة دينار وجعل له رسماً شهرياً[2] ولم تكن بلاطات الملوك مجلب خير لجميع الشعراء ولاسيما الوزراء من ذوي النفوذ، فأن كثيرا منهم كانوا يشعرون بالقلق وعدم الأمان كابن عمار الذي كان يعاني من صراع شديد في نفسه بعد فشل مشروعه في ملك مرسية[3]:

أأركب قصدي أم اعوج مع الركب فقد صرت من أمري على مركب صعب

وأصبحت لا أدري أفي البعد راحتي فأجعله حظي أم الخير في القرب

وابن حزم الذي لم يكن مطمئنا على نفسه[4]:

ذو الفضل كالتبر طورا تحت ميقعة وتارة في ذرى تاج على ملك

ونعرض عدد منهم إلى أسوأ عاقبة لسوء تقديراتهم، فإبن عمار نفسه كانت نهايته سيئة جداً[5] على الرغم ما اتصف به من دهاء سياسي في ضرب الملوك بعضهم ببعض،وشبه الشاعر ابن الطلاء المهدوي الأندلس برقعة الشطرنج في يد ابن عمار يحرك ملوكها كما يشاء[6]:

---

(1) النفح 3: 616 ، ديوان المعتمد بن عباد/ 75.

(2) ديوان ابن حميدس / 711.

(3) ديوان ابن عمار / 281.

(4) الذخيرة 1/ 1 : 174.

(5) المغرب 1/ 389-391.

(6) الذخيرة 4/ 1: 361.

الأرض كالـشطرنج فـادع ملوكهـا   مـا الـرخ في حركاتـه كالبيـدق

وهو القائل في نفسه[1] :

أنـى ابـن عـمار لا أخفـي عـلى أحـد   إلا عـلى جاهـل بالـشمس والقمـر

والشاعر أحمد بن عباس وزير زهير الصقلبي قتله باديس بن حبوس بيده سنة (427هـ) بعد فشل مشروعه في الاستيلاء على غرناطة وهو القائل[2] :

عيـون الحـوادث عنـي نيـام   وهـضمي عـلى الـدهر شيء حـرام

وذاع هذا البيت بين الناس واستنكروه لغروره حتى قلب بعض الأدباء مصراعه، فقال: سيوقظنا قدر لاينام[3] . وفي ذلك قال ابن الحناط[4] :

لم يخـل مـن نـوب الزمـان أديـب   كـلا فـشأن النائبـات ينـوب

ومن الشعراء من تعرض للأسر مثل محمد بن سوار الاشبوني، فجرت عليه المحن وفداه احدهم فقال فيه مدائح كثيرة منها قوله[5] :

رايتـك أنـدى النـاس كفّـا وكـل مـا   تجـود بـه فـالله ينميـه للأخـرى

ولـولاك مافـكَّ الـسلاسل ضـاغط   ومـا فارقـت عينـاي سلـسلة الأسرى

وكانت المنافسة وتدبير المؤامرات بين الشعراء على أشدها ولاسيما الوزراء وذوي النفوذ، فكان بين ابن زيدون وابن عمار شعور غير ودي خاصة في نفس ابن عمار الذي حاول لمرات عدة التخلص منه، وانه افلح حين اقنع المعتمد بن عباد إرساله في حملة عسكرية لإخماد

---

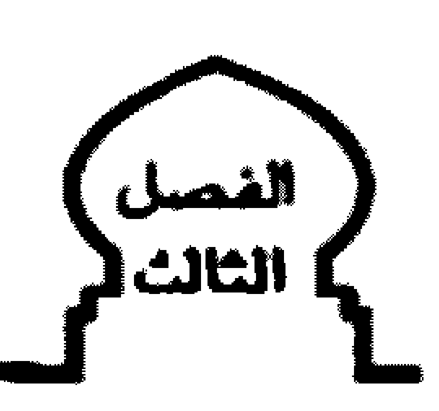
(1) ديوان ابن عمار / 245.

(2) المغرب 2: 205-206، تاريخ الفكر الاندلسي / 109.

(3) الذخيرة 1/ 2: 668.

(4) نفسه 1/ 1: 448.

(5) المغرب 1/ 411-412.



ثورة قامت ضد يهود في قرطبة ولم تكن صحته تتحمل السفر ومتاعبه، فتوفي في الطريق عام 463 هـ[1] وصدق أبو تمام غالب بن رباح الملقب بالحجام في قوله[2]:

تصبّر وان ابدى العدو مذمة ... فمهما رمى ترجع اليه سهامُه

كما يفعل النحل الملم بلسعه ... يريد به ضرا وفيه حِمامه

وقوله:

نظر الحسود فإذ رأى لي صالحا ... والفضل مني لا يزال مبينا

قبحت صفاتي من تغير وده ... صدأ المرآة يقبح التحسينا

لذلك فضل بعضهم الابتعاد عن البلاطات والاستيطان في القرى البعيدة بعيدا عن مكائد الملوك ورجالهم مثل أبو زيد عبد الرحمن بن مقانا قال عنه ابن بسام نقلاً عن احد الوزراء[3].

((قد انصرف شيخا الى وطنه عندنا، بعد أن جال أقطار الأندلس على رؤساء الجزيرة، قال: فمررت به يوما بقريته....... بيده مزبرة (منجل) فلما رأيته ملت إليه فمال اليّ وأخذ بيدي.. وجلسنا ننظر في حراث يحرث بين يديه فاستنشده ارتجالا لوقته:

أيا عامر القبذاق لاتخل من زرع ... ومن بصل نزر وشيء من القرع

الى قوله:

تركت الملوك الخالعين برودهم ... عليّ وسيري في المواكب والنقع

وأصبحت في قبذاق احصد شوكها ... بمزبرة رعشاء نابية القطع

---

(1) ابن عمار/ 71.

(2) الذخيرة 3/ 2: 837 – 838.

(3) الذخيرة 2/ 2: 787.

ولنا في ذلك قول أبي عبد الله بن الحداد [1]:

لزمت قناعتي وقعدت عنهم فلست أرى الوزير ولا الأميرا

وكنت سمير اشعاري سفاها فعدت بها لفلسفتي سميرا

لذلك يمكن القول أن شعراء البلاط كابن زيدون وابن عمار وغيرها كانوا يمثلون عصر الطوائف بكل تفاصيله من حبهم للترف واللهو والسياسة والتشرد ودس المؤامرات وحب الشعر والسلطة والجاه..... وهم الطبقة السائدة والمشهورة من الشعراء، وقد أفردت كتب التراجم صفحات كثيرة عنهم، وساهم بعض الباحثين بالمختصين[2]. أو المتمين[3] الذين يأخذون رسما سنويا أو جوائز موقوتة وكان الشعراء من الطبقة العامة يعرضون نتاجهم الشعري على أبواب الملوك والأمراء طلبا للجائزة،وموظف الإنزال المخصص لإسكان الشعراء والضيوف يخصص لهم مكانا في ملحقات القصر، وإذا سنحت لهم الفرصة والحظ نالوا الحظوة عنده[4]. وإن شعروا بملل الممدوح منهم تركوه الى أخر ودخلوا ضمن الشعراء الجوالين أو الجوابين[5] يطوفون على البلاطات ودور الأغنياء وان لم يفلحوا أو لم يمتهنوا حرفة أصابهم الفقر والعوز، كقول الأديب أبي محمد بن مالك القرطبي[6]:

مضى الفطر والأضحى ولا نيل به يقضى فلم أخفقت وحدي إليك مطالبي

سأرحل عنكم دون زاد لبلغة وتلك لعمري سبة في العواقب

---

(1) النفح 3: 502.

(2) البيئة الأندلسية/ 412.

(3) تاريخ الأدب الأندلس 2: 82.

(4) في الأدب الأندلسي / 107.

(5) تاريخ الأدب الاندلسي 2: 84، البيئة الأندلسية / 415-417.

(6) الذخيرة 1/ 2: 740.

وفي الوقت نفسه ترفع قسم من الشعراء عن دق الأبواب بما عندهم من تجارة او مزرعة.... فعبروا عن أحاسيسهم وما تتصف به عواطفهم بعيدين عن رضا الأمير أو سخطه ويمثل ابن خفاجة (533هـ) أنموذجا من هؤلاء، ومنهم من ابتعد لمذهب أخلاقي وديني وفلسفي كأبي إسحاق الألبيري وابن العسال لذلك قال ابن بسام[1] ((إن الشعر لم أرضه مركبا ولا اتخذته مكسبا ولا ألفته مثوى ولا متقلبا...... رغبة بعز نفسي عن ذله....)).

ولم يقتصر الشعر على الرجال، فقد ظهرت شواعر كانت لهن حظوظ في الشعر، وقد فصلنا فيما سبق القول عن ولادة بنت المستكفي[2] و بثينة بنت المعتمد[3] وأم الكرام بنت المعتصم[4] فضلا عن أسماء برزت في كتب التراجم أو ضمن حوادث وأخبار أندلسية منهن: عائشة بنت أحمد القرطبية، وصفية بنت عبد الله وحفصة بنت حمدون الجارية وغاية المنى، و حمدونة بن زياد ومريم بنت أبي يعقوب الأنصاري ومهجة القرطبية وغيرهن[5]

الحقبة الأولى من عصر المرابطين:

إن الحقبة التي انحصرت بين سقوط دويلات الطوائف بيد المرابطين الى نهاية القرن كانت انتقالية قلقة بالنسبة للشعراء لسقوط معظم العواصم التي كان الشعر فيها يلقى الرعاية والتشجيع وانحسار مجالس الأدب واللهو من بلاطات التي لم يتمكن الشعر من مواكبتها فضلا أن البربر الذين جاءوا مع يوسف بن تاشفين من قبيلة اللمتونيين كانوا من المقاتلين الذين اتسموا بالخشونة والبداوة والتعصب في سلوكهم، لذلك ضعف الشعر في تلك الحقبة إلا قصائد بالغة الصدق قيلت في رثاء الممالك التي سقطت بيد المرابطين أو قصائد في

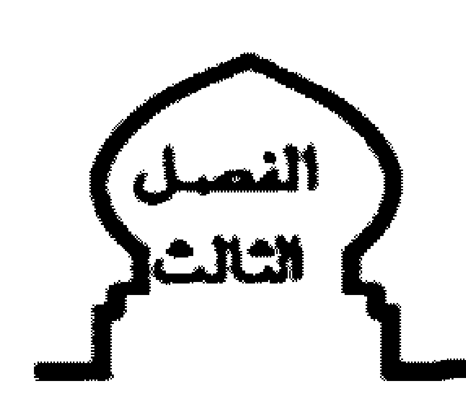
(1) الذخيرة 1/ 1:18.

(2) نفسه 1/ 1: 430.

(3) النفح 4/ 284-285.

(4) المغرب 2: 202 -203.

(5) الذيل والتكملة / السفر الثامن / الجزء الأخير.



المعتمد بن عباد في أثناء اعتقاله ومن ثم وفاته سنة 488 هـ والتي كان ظهورها امتدادا للنهضة الشعرية التي ازدهرت في عهد ملوك الطوائف والى هذا أشار ابن بسام المعاصر للحقبة في حديثه عن الحصري القيرواني:[1] ((.... ولما خلعوا وأخوت تلك النجوم وطمست للشعر تلك الرسوم....)) لذلك هاجر الشعراء وكان الضياع التشرد مصير كثير منهم كابن بقي (540 هـ) الذي قال فيه ابن خاقان[2]

((ضفا عليه حرمانه وما صفا له زمانه، فصار قعيد صهوات وقاطع خلوات)) وقال هو عن حاله[3]:

أكُلّ بني الآداب مثلي ضايع فاجعل ظلمي أسوة في المظالم

وقوله:

ستبكي قوافي الشعر ملء جفونها على عربي ضاع بين أعاجم

ولا ذنب لي عند الزمان علمته سوى أنني للشعر آخر ناظم

وقول ابن اللبانة الداني (507هـ) في انهيار صرح المعتمد[4]:

نبكيه من جبل خرت قواعده فكل من كان في بطحائه هلكا

ما سُد موضعه الرزق سد به طوبى لمن كان يدري أية سلكا

وإن قسما منهم قد هاجر الى المغرب أو الى المشرق كأبي الصلت أمية الداني وأبي الوليد الطرطوشي وابن بقي وغيرهم[5]. وفي هبوط الشعر في تلك الحقبة أدلة كثيرة منها: إن ابن

---

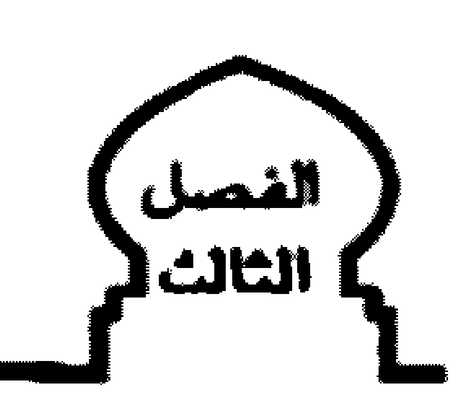
(1) الذخيرة 2/ 1:66.

(2) القلائد / 292.

(3) الذخيرة 2/ 2: 262، القلائد / 323.

(4) الذخيرة 3/ 2: 686.

(5) تاريخ الفكر الأندلسي / 125.



بسام الذي شغف بالشعر ومتابعة أعلامه في عصر ملوك الطوائف تغير في الظاهر مدارة لسياسة المرابطين في إزدراء الشعر بقوله [1]: ((جده تمويه وتخييل، وهزله تدليه وتضليل، وحقائق العلوم أولى بنا من أباطيل المنثور والمنظوم)) وقوله[2]: ((والأدب بها أقل من الوفاء، حامله أضيع من قمر الشتاء....)) وإن بعض الشعراء قد توقفوا عن النظم في تلك الفترة كابن خفاجة على سبيل المثال[3] وإن يوسف بن تاشفين كما جاء في النفح[4] كان لا يعرف باللسان العربي وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والبربرية، وفي رسالة لأبي الوليد الشقندي في تفضيل الاندلس على بر العدوة ما يدل ذلك على الرغم من المبالغة الموجودة فيها كما في قوله[5] ((..... ام يوسف بن تاشفين الذي لولا توسط – ابن عباد – لشعراء الأندلس في مدحه ما أجروا له ذكراً ولا رفعوا لملكه قدراً وبعدما ذكره في مدحه بواسطة المعتمد فإن – المعتمد – قال: له وانشدوه، أيعلم أمير المسلمين ما قالوه ؟ قال: لا أعلم ولكنهم يطلبون الخبز، ولما انصرف المعتمد الى حضرة ملكه كتب ليوسف بن تاشفين رسالة يقول فيها:

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا	شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت	سوادا وكانت بكم بيضا ليالينا[6]

---

(1) الذخيرة 1/ 1: 18.

(2) نفسه 1/ 1 :20.

(3) ديوان ابن خفاجة/ المقدمة/ 7-8.

(4) النفح 4/ 355.

(5) نفسه 3/ 194.

(6) ديوان ابن زيدون/ 141.

فلما قُرِيء عليه هذان البيتان، قال للقاري: يطلب منا جواري سودا وبيضا، قال: لا يا مولانا، ما أراد إلا إن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارا لأن ليالي السرور بيض، فعاد النهار بعدكم عنهم ليلا وإن الحزن ليال سود، فقال: والله جيد اكتب في جوابه: إن دموعنا تجري عليه ورؤوسنا توجعـــنا من بعده)) فالأرجح أن الخبر مختلق، لأن الكاتب ذكره في باب تفضيل الأندلس على المغرب في وقت كانت المنافسة بينهما شديدة، وإن يوسف بن تاشفين هو الذي حمل راية المرابطين كان يعرف من العربية بقدر تمسكه بالإسلام وفهم القرآن الكريم، وإن روح الدعابة والضحك والتسلية ظاهرة على الخبر، فضلا أن المعتمد الشاعر الفحل لا يرسل مقطع قصيدة غزلية لشاعر آخر الى أمير المسلمين، وفي الوقت نفسه تحمل بين طياتها ما يدل على أن الشعر قد هبط مستواه في عهد المرابطين.

نظرا للشخصية الأندلسية المتألقة بفضل جذورها العميقة وطبيعتها الجميلة فإن المرابطين تأقلموا واخذوا بمظاهرها الحضارية شأن الرومان قديما فأخذوا يهتمون بالشعر وظهر قادة مرابطون يستمعون الى الشعر ويشجعون أعلامه كأبي إسحاق إبراهيم بن يوسف، ممدوح ابن خفاجة[1] والذي أهدى له الفتح بن خاقان كتابه – القلائد – الذي قال فيه: إنه الف كتابه بتشجيع منه بعد ان تقلص برد الأداب وكسر سوقها وتكدر موردها))[2] وابن خفاجة الذي قال[3]: ((أنه انصرف منذ زمن عن نظم الشعر لولا الأمير إبراهيم وحثه على قوله ومعاناته)).

وإن ما ذهب اليه دوزي[4] في أن الشعر قد هبط الى أدنى مستوى، فيه نوع من المبالغة وإن حديثه كان عن فترة علي بن يوسف بن تاشفين (500-537 هـ) وتحتاج الى دراسة وتمحيص وتقع خارج حقبة دراستنا.

---

(1) ديوان ابن خفاجة/ 56/ 87،102.

(2) القلائد/ 302.

(3) ديوان ابن خفاجة/ المقدمة/ 7-8.

(4) الشعر الأندلسي/ 56.

العلوم والعلماء:

امتاز القرن الخامس بتقدم فكري وحضاري في مختلف العلوم وأصبحت الأندلس تنافس عواصم المشرق الإسلامي عن قدرة وجدارة وان الكتب التي الفت في تلك الحقبة كثيرة قياسا بفترات سابقة ولاحقة بها يوازي التقدم الحضاري الذي يرجع بالأساس إلى جهود علماء الأندلس وحكامها في العصور السابقة فضلا عن طبيعة الأندلسيين المحبين للعلم وأصحابها كما قال ابن عبد البر القرطبي[1]:

إذا فاخرت فأفخر بالعلوم ودع ما كان من عظم رميم

وقوله في هيبة العلماء

وكم أقبلتُ متئداً مهاباً فقام إليَّ من ملكٍ عظيم

(فالعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار إليه ويحال عليه، ويتبعه قدره وذكره عند الناس ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة وما أشبه ذلك)[2] وتجدر الإشارة إلى أن صلاتهم العلمية بباقي أجزاء العالم الاسلامي لم تنقطع عن طريق الحج أو رحلات العلماء والأدباء وفي الذخيرة قائمة طويلة بالوافدين عليها[3] والخارجين منها في طلب العلم كأبي الوليد الباجي الذي خرج في طلب العلم في رحلة أمدها ثلاثة عشر عاماً سنة 426هـ سمع من علما بالحجاز وبغداد والشام ومصر والموصل[4] والفقيه أبي مروان عبد الملك الطبني 457هـ ولما رجع الى قرطبة وجلس ليرى ما احتقبه من العلوم اجتمع إليه في المجلس خلق عظيم فلما رأى تلك الكثرة وماله عندهم من الأثرة قال[5]:

---

(1) المغرب 2/ 408.

(2) النفح 1: 220.

(3) الذخيرة 4/ 1 : 7 – 383.

(4) الصلة : 1: 201.

(5) المطمح / 269، الصلة 2: 360.

إني إذا حضرتني ألف محبرة ... يكتبن حدثني طورا وأخبرني

نادت بعقوتي الأقلام معلنة ... هذي المفاخر لا قعبان من لبن

فقال ابن حزم في نفسه وفي أمثالهم[1]:

لم تستقر به دار ولا وطن ... ولا تدفأ منه قط مضجعه

و إن مغادرة علماء قرطبة في أثناء الفتنة وانتشارهم في شتى أرجاء الجزيرة كان له الأثر في توزيع العلوم على الأمصار بعد أن تفرقت مجموعات الكتب التي كانت مختزنة في مكتبات قرطبة[2].

1- العلوم الدينية:

من أرفع العلوم عند المسلمين لارتباطها بسنة حياتهم وآخرتهم قال ابن فرج الألبيري السميسر[3]:

كل علم ما خلا الشرع ... وعلم الطب باطل

وقوله:

العلم علمان علم ال ... أديان والأبدان

وكان علم القراءات والتفسير يحظيان باهتمام الأندلسيين لذلك وضع المقري – قراءة القرآن بالسبع في المقدمة في أثناء ترتيبه للعلوم[4] واشتهر مجاهد العامري بالاعتناء بهذا العلم، اجتمع عنده كل من أبي عمرو الداني صاحب الكتاب المشهور بالقراءات والإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي (463هـ) الذي ترك مؤلفات في القراءات منها : الاكتفاء

---

(1) طوق الحمامة/ 166.

(2) تاريخ الفكر الأندلسي/ 13.

(3) الذخير 1/ 2: 892.

(4) النفح 1: 221.

في قراءة نافع وأبي عمر وكتاب البيان في تلاوة القرآن الكريم[1] وكان أهل دانية كما جاء في معجم البلدان[2] (أقرأ أهل الأندلس لأن مجاهد كان يستجلب القراء ويفضل عليهم وينفق عليهم الأموال فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده فكثروا في بلاده) وجاء في المعجب[3] وكان بالربض الشرقي في قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي ونبغ أبو إسحاق الحصري القيرواني بالقراءات وكان أحد أئمتها وله رائية تتضمن آيات من القرآن الكريم ومصطلحات علم التجويد[4] فضلا عن ذلك فان العلماء جميعا كانت لهم معرفة بالقرآن الكريم وتفسير آياته لاعتماد بقية العلوم الدينية عليه كما قال ابن حزم[5]:

من ظل يبغي فروع علم ... بدءاً ولم يدر منه أصلا

فكلما ازداد فيه سعياً ... زاد لعمري بذاك جهلا

أما الحديث والسنة النبوية الشريفة فكان اهتمام الفقهاء به كبيراً لكونه المصدر الثاني في التشريع يقول ابن حزم[6]:

أنائم أنت عن كتب الحديث وما ... أتى عن المصطفى فيها من الدين

لمسلم والبخاري اللذان هما ... شدا عرى الدين في نقل وتبيين

وكان يطلق لقب الحافظ على كبار علماء الحديث ومن الذين اشتهروا بهذا العلم ابن الفرضي(403هـ) الذي قتل في مطلع الفتنة وكان فقيها عارفا بعلم الحديث ورجاله[1] وابن

---

(1) الاتجاه الإسلامي / 100، الصقالبة في اسبانيا/ 21-26.

(2) معجم البلدان / 2: 540.

(3) المعجب/ 372.

(4) ديوان الحصري / المقدمة/ 67-68.

(5) الذخيرة 1/ 1: 171.

(6) تاريخ الأدب الاندلسي – عصر سيادة قرطبة – الملحق/ 383.

حزم الأندلسي (456هـ) وابن عبد البر القرطبي (463هـ) الذي ألف كتابا بعنوان التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد[2] وقال فيه:

بسطت لهم فيه كلام نبيهم	لما في معانيه من الفقه والعلم
وفيه من الآداب ما يهتدي به	الى البر والتقوى ونهى عن الظلم

وأبو عبد الله الحميدي (488هـ) صاحب الجذوة له أشعار عن أهمية الحديث في الاحتجاج الفقهي[3].

ويعد الفقه وأصوله من أكثر العلوم الدينية تأليفاً وجدالاً لعلاقته الوثيقة بحياة الفرد الأندلسي فالقرآن الكريم و الحديث النبوي - كما معروف - مصدران ثابتان للتشريع و غير قابلين للاجتهاد بوجود النص و انما الاختلاف في التطبيقات وأسانيد الأحاديث والمذاهب التي تنتج عن ذلك، و من اعلام الذين كثر الجدل حوله و آثر على الحياة الدينية ابن حزم الأندلسي " كان صاحب حديث وفقه و جدل....و كان شافعي المذهب يناضل الفقهاء عن مذهبه ثم صار ظاهريا فوضع الكتب في هذا المذهب و ثبت عليه إلى أن مات و كان له تعلق بالأدب و شنع عليه الفقهاء وطعنوا فيه وأقصاه الملوك وأبعدوه عن وطنه[4] " ومذهبه يستند الى التفسير الظاهري لنصوص القرآن و السنة مهاجما في ذلك المذاهب الأخرى لاعتمادهم على القياس و الرأي و الاجتهاد:

قالوا تحفظ فان الناس قد كثرت	أقوالهم و أقاويل العدا محن
فقلت هل عيبهم لي غير أني لا	أقول بالرأي إذ في رأيهم فتن

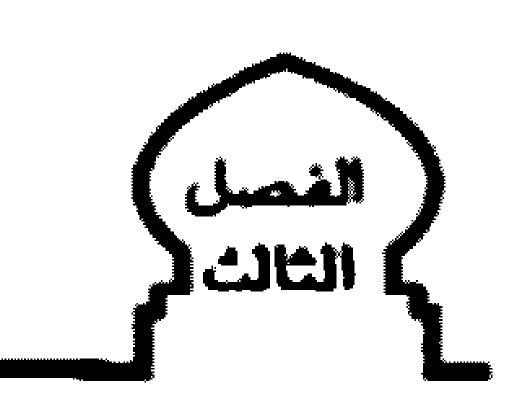
---

(1) النفح 2/ 129-130.

(2) بهجة المجالس / 1: 24.

(3) النفح 4/ 337.

(4) نفسه 2/ 77-78.



وأنني مولع بالنص لست إلى ... سواه أنحو ولا في نصره أهن

لا أنثني نحو آراء يقال بها ... في الدين بل حسبي القرآن والسنن[1]

لذلك ضاق به الفقهاء وأثاروا عليه حفيظة المعتضد بن عباد فأمر بحرق كتبه فقال[2]:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبي ... و ينزل إن انزل و يدفن في قبري

وآراؤه تدور حول:

أ- الأخذ بالمعنى الظاهري دون تأويل أو تخريج أو تحريف.

ب-رفض القياس و التقليد و الراي و الاستحسان وهذه من أركان أصول الفقه.

ج- التوحيد في كل شيء و إن لفظة لا إله إلا الله لا تتحقق الابالاعتقاد بوحدانية الله جل جلاله المشبه عن الحوادث كما أنه آمن بوحدانية الحب في التفريق بين الحب و الشهوة في رفض من يعتقد بحب اثنين في آن واحد، و في مجال السياسة دعا إلى وحدانية الامام أو الخليفة بإجماع الآراء و عدم جواز التعدد في زمان واحد[3].

ومن كتبه في الفقه:

الابطال – الذي بسط فيه المذهب الظاهري

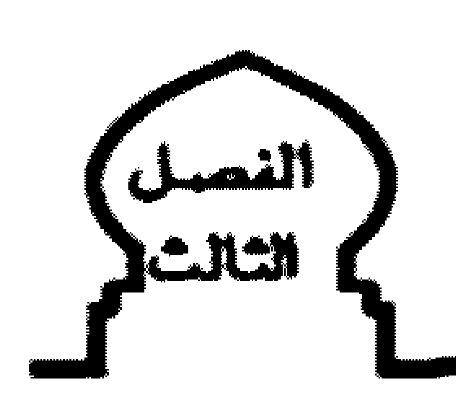
المحلى: حول المذهب الشافعي

---

(1) ملامح الشعر الأندلسي / 117.

(2) الذخيرة 1/ 1: 171.

(3) التوحيد عند ابن حزم/ 86، د. صلاح رسلان، المؤتمر الرابع للحضارة الأندلسية، جامعة القاهرة 1998.



((الإمامة و الخلافة)) و ((فهرست)) و ((الخصال)) فضلا عن كتاب ((الفصل في الملل و الأهواء و النحل)) في تارخ الأديان قال انخل جنثالت بالنثيا[1].: (فقد سبق أوربا النصرانية ببضعة قرون لأن تاريخ الأديان في الغرب لم يعرف إلا في منتصف القرن التاسع عشر)) وجاء على لسان ابنه إنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربع مئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة[2].

وأبو الوليد الباجي (474 هـ)الذي اشتهر بمناظرة ابن حزم وإقامته في بغداد و الموصل و الشام جاء في النفح[3]: ((و ترك مؤلفات كثيرة)) و هو القائل[4]:

إذا كنت أعلم علم اليقين	بأن جميع حياتي كساعة
فلم لا أكون ضنينا بها	وأجعلها في صلاح وطاعة

و في كتب التراجم أسماء كثيرة للفقهاء الذين عاشوا في القرن الخامس للهجرة منهم:

الفقيه المحدث محمد بن ثابت بن عياش الأموي (435 هـ)[5] واصبغ بن أصبغ اللخمي (440 هـ)[6] وابن توابة اللخمي (442 هـ)[7] وعمر بن الحسن الهوزني (460هـ) وعشرات غيرهم بينهم نساء اشتهرن في ميادين العلوم الفقهية مثل ابنة الفائز القرطبية (446

---

(1) تاريخ الفكر الأندلسي / 14.

(2) الصلة 2/ 416 للمزيد ينظر ابن حزم صورة أندلسية/ د. طه الحاجري، دار الفكر العربي، القاهرة، ابن حزم الاندلس حياته وأدبه/ عبد الكريم خليفة – دار العروبة – بيروت.

(3) النفح 2/ 76.

(4) نفسه 2/ 74.

(5) الصلة2: 526.

(6) نفسه 1: 109.

(7) نفسه 1: 273.

القرطبية (446 هـ)[1] وكان أبوها عالما بالتفسير والعربية و اللغة أديبا شاعرا فأخذت عنه ابنته علمه وأدبه ودرست على يد زوجها أبي عبد الله بن عتاب وبعض الشيوخ الكبار كأبي عمر الداني وأبي داود القراءات السبعة وجودتها في آخر سنة 444هـ وجاء في النفخ[2] (أن بعض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلماء معرفة الأحكام والنوازل وكان في مجلس قضائه تنزل به النوازل فيقوم إليها فتشير عليه بها يحكم به فكتب اليه بعض أصحابه مداعباً:

بلوشة قاض له زوجة	وأحكامها في الورى ماضية
فيا ليته لم يكن قاضيا	ويا ليتها كانت القاضية

فأطلع زوجته عليها فقالت:

هو شيخ سوء مزدرى	له شيوب عاصية
(كلا لئن ينته	لنسفعاً بالناصية)[3]

2 -العلوم اللسانية:

وهي العلوم اللغوية والنحوية وما يتصل بها من الأدب والتاريخ التي تقوّم اللسان وتثقف الإنسان[4] ومنها النثر الفني الذي تميز به العصر بضخامة الإنتاج ولا سيما إن كثيراً من الأدباء كانوا يحملون ملكتي الشعر والنثر كما اشتهروا بكثرة الرسائل التي صنفها الدكتور إحسان عباس الى[5]:

---

(1) الذيل والتكملة / السفر الثامن/ 2: 394.

(2) النفح 4: 294.

(3) العلق/ الآية 15.

(4) البيئة الأندلسية / 46.

(5) تاريخ الأدب الأندلسي / 2 : 287 - 303.

أ- **الرسائل الفكرية**: في التأمل في الأشياء ومعالجة المشكلات وإيثار المضمون كرسائل ابن باجة ورسالة الحدائق لابن السيد البطليوسي ورسائل ابن حزم

ب- **رسائل المناظرات**: بين الأشياء المختلفة الذي فصل فيه أبو الوليد الحميري (440هـ) في كتابه ((البديع في وصف الربيع))

ج- **الزرزوريات**: المبتدع من قبل ابن سراج الذي خاطب به أهل عصره برسالة يشفع فيها لرجل يعرف بالزريزير ولإبراز البراعة والسخرية اعتمد فيها على الكناية والاستعارة في أن المتحدث عنه هو زرزور حقيقي له ريش يطير ولإعجاب الأدباء بها عارضها كثيرون

د- **رسائل في وصف الرحلات**:

ومن الباحثين من صنفها الى:

الرسائل الديوانية والاجتماعية والدينية و الاخوانيه والوصفية فضلا عن المقامات والنثر القصصي والخطابة والتوقيعات[1].

أما مجالات النقد الأدبي فكانت تنحصر في: الدفاع عن الأندلس واللجوء الى حمى الأخلاق والتشبث بالصورة وقوانين الأخذ والسرقة وبعض القضايا النقدية المثارة للجدل في تلك الفترة[2].

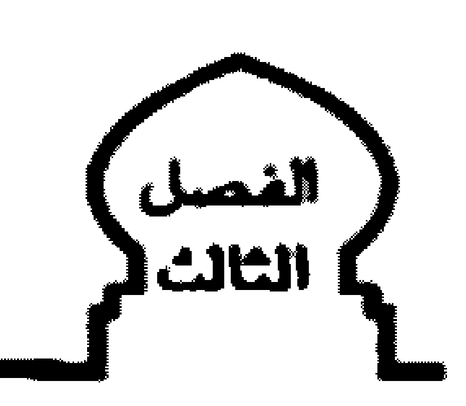
أما العلوم اللغوية من النحو والصرف واللغة والعروض. فقد اهتم بها الأندلسيون لعلاقتها بفهم نصوص القران وأحكامه التشريعية وان عنايتهم بالنحو كانت تطغي على العلوم الأخرى جاء في النفح[3] ((كل عالم في أي علم لا يكون متمكنا من علم النحو فليس

---

(1) ينظر النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين/ د. حازم عبد الله خضر، وملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري/ د. مصطفى السيوفي.

(2) ينظر/ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس/ محمد رضوان الداية تاريخ النقد الأدبي عند العرب/ إحسان عباس/ 470 وما بعدها.

(3) النفح 1/ 221.



عندهم يستحق التميز ولا سالم من الازدراء)) لذلك كان علماء النحو في المرتبة المتقدمة وكانوا يطلقون على

الكاتب والنحوي واللغوي لقب فقيه لأنه عندهم أعلى السمات[1] وكان الملوك يبجلون أصحابه كالمعتمد بن عباد كان يراسل الأعلم الشنتمري النحوي (456هـ) ويناقشه مناقشه لغويه[2] وهو من قال فيه ابن الشنتريني[3]:

أكـــرم بجعفـــر اللبيـــب فانـــه   مـــازال يوضـــح مـــشكل "الإيـــضاح"

والشاعر ابن دراج نظم قصيده في منذر بن يحيى حاكم سرقسطة ابتهاجا بورود صاعده اللغوي اليه[4]:

وأهـــدت لـــه بغـــداد ديـــوان علمهـــا   هديـــة مَـــن والى ونخبـــة مَـــن حيـــا

فكانـــت كمـــن حيـــا الريـــاض بزهرهـــا   وأهـــدى الى صـــنعاء مـــن نـــسجها وشـــياً

وحـــسب رواة العلـــم أن يتدارســـوا   مـــآثره حفظـــاً وإثـــارة وعيـــا

وعرفت الأندلس علماء لغويين كأن لهم نشاط واسع منهم:

ابن سيدة اللغوي الأندلسي (458هـ) ومعجمه ((المحكم والمحيط الأعظم في اللغة))وكتابه المشهور (المخصص)[5] وأبو عبيدة البكري وكان متبحرا في علوم اللغة واشتهر بمعجمه اللغوي (معجم ما استعجم من البلاد والمواضع)[1]

---

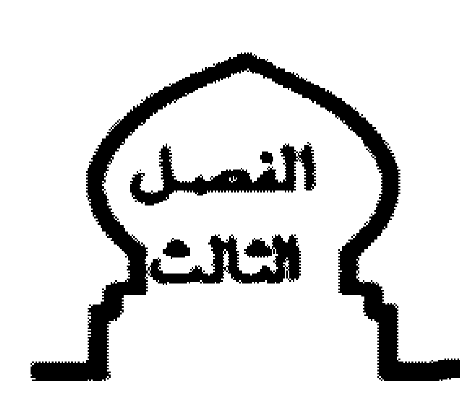
(1) نفسه.

(2) نفسه 5/ 216 – 218.

(3) نفسه 2/ 86.

(4) ديوان ابن دراج / 143.

(5) الصلة 2: 417.



ومجاهد العامري صاحب المرية والجزائر ويعد مع ابنه إقبال الدولة من علماء عصره في اللغة وعلوم القرآن[2] وابن السيد البطليوسي (521هـ)[3] وعبد الله بن أحمد بن العربي المعافري (493هـ)[4] وغيرهم الذبن وردت أسماؤهم في كتب التراجم.

أما التاريخ فقد ازدهر في القرن الخامس للهجرة وكانوا يعدونه من أنبل العلوم الإنسانية وأقربها الى ميولهم وطباعهم[5]، ويعد ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان (469هـ) من أبرز المؤرخين في العصر بكتابه(المتين) الذي نقل منه ابن بسام فقرات كثيرة و (المقتبس في أخبار أهل الأندلس)[6] تناول بالتسجيل والرواية أحداث عصر الطوائف بروح اتسمت بالصدق والصراحة[7] ويأتي بعده من حيث الأهمية ابن حزم الأندلسي بكتبه جمهرة انساب العرب، والإمامة والخلافة، وطوق الحمامة وفيها معلومات تاريخية والفتح بن خاقان (529هـ) بكتابيه ((لقلائد العقيان)) الذي يحوي على تاريخ طائفة كبيرة من أمراء الطوائف ووزرائهم من الكتاب والشعراء والقضاة و(مطمح الأنفس مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس) وفيه يتحدث على طائفة من الأعيان الذين تناولهم في القلائد وابن بسام الشنترين صاحب الذخيرة الذي يحتوي على معلومات تاريخية وأدبية واجتماعية فضلاً عن مجموعة من الكتب الأخرى مثل: تاريخ علما ءالأندلس لابن الفرضي (403هـ) وطبقات الأمم لأبي القاسم سعيد بن أحمد الطليطلي (462هـ)[8] وتاريخ الأندلس لأبي بكر

---

(1) الذخيرة 2/ 1: 229.

(2) نفسه 3/ 1: 23.

(3) الصلة 1: 392.

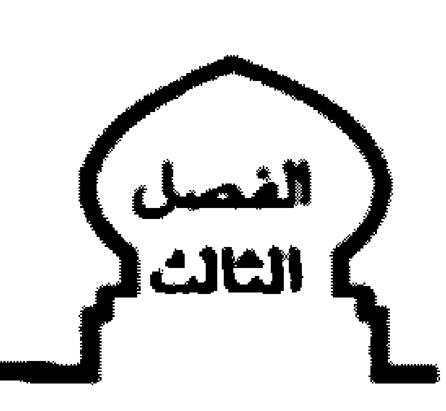
(4) نفسه 1/ 288.

(5) النفح 1: 205.

(6) وفيات الأعيان 1: 457.

(7) ظهر الاسلام / 3: 275.

(8) طبقات الأمم / لأبي القاسم سعيد بن أحمد الطليطلي / تحقيق علي محمد البخاوي / ج 1-4 القاهرة.



محمد بن مرين (470هـ) وكتاب (العبر) لأحمد بن سعيد بن أبي الفياض (458هـ) وكتاب تاريخ الدولة العامرية لأبي الوليد بن معمر وكتاب (المآثر العربية) لحسين بن عاصم (449هـ) وغيرها من الكتب[1] كما ظهرت رسائل عدة فيها معلومات تاريخية عن تلك الحقبة منها رسالة عبد المجيد بن عبدون (520هـ) وزير بني الأفطس في القضاء والحسبة الذي يعطي صورة صادقة عن الحسبة والقضاء وما يتعلق بأحوال الأندلسيين في عهد الطوائف كما ظهرت أراجيز تبين تاريخ الأندلس بصورة مختصرة كأرجوزة أبي طالب عبد الجبار[2] الذي أرخ للكون منذ الخليقة الى دولة المرابطين في الأندلس.

1ـ العلوم التطبيقية:

عرف الأندلسيون هذه العلوم بمختلف فروعها وازدهرت عندهم الدراسات العلمية التي تدل على الرقي والتقدم الحضاري وما وصل إليه العقل الأندلسي من النبوغ والتطور نذكر منها:

الطب: إن عنايتهم بالصحة والنظافة دفعتهم الى الاهتمام بالطب والمعارف المتصلة به ولا سيما أن الإسلام قد دعا الى النظافة في الجسد والملبس والمأكل كما في قول ابن فرج الألبيري السميسر –[3]:

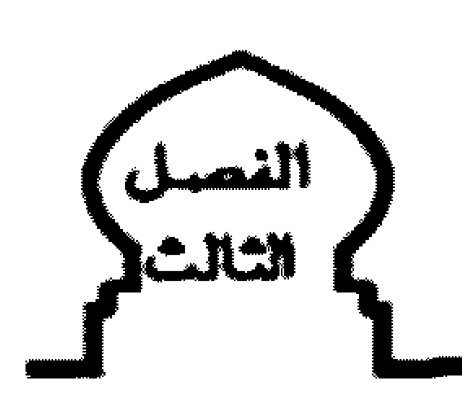
ما الطب للدين إلا ... كالروح للجثمان

هل الشريعة إلا ... بصحة الأبدان ؟

(1) تاريخ الفكر الأندلسي/ 185.

(2) الذخيرة 1/ 2: 918-944.

(3) الذخيرة 1/ 2: 892.



فكانت الحمامات التي فصلنا القول عنها في الحياة الاجتماعية[1] من أبرز مظاهرها فضلا عن أن الطبيعة الأندلسية الجميلة والأناقة التي اتسم الأندلسيون بها قد ساهمتا في هذه العناية الوقائية ومن ثم البحث عن علاج للأمراض التي تصيب الإنسان واشتهرت خزانة الكتب في عهد حكم المستنصر بالكتب الطبية وكان المرضى يحصلون على العلاج المجاني وكان للأطباء ديوان[2] وكانت تجري في الأندلس عمليات جراحية في مستشفيات خاصة للرجال والنساء وأقاموا المعازل للمصابين بالأمراض المعدية[3] وظهر بينهم أطباء كبار منهم:

أبو القاسم ابن عباس الزهراوي صاحب الموسوعة الطبية (التعريف لمن عجز عن التأليف) الذي أشرنا إليه في الحياة الاجتماعية[4] ومن الظواهر اللافتة للنظر في القرن الخامس للهجرة كثرة الشعراء الأطباء مثل: أبي حاتم الحجازي (كان متقلباً بين شاعر وخطيب وطبيب وجندي ومن شعره يستدعي خمراً ويبين منافعها[5]:

والخمر نعم العتاد جامعة لشاربيها مسكية العبق

وأبو محمد عبد الله بن خليفة القرطبي (496هـ) الذي انتقل بين ملوك الطوائف حتى ظفر به المأمون بن ذي النون ثم المعتمد بن عباد ومن شعره الذي يدل على مهنته[6]:

الحب داءٌ دواؤه القبل والرسل بين الأحبة المقل

---

(1) ينظر : 124.

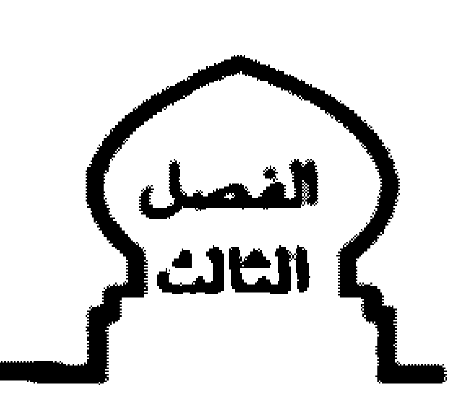
(2) طبقات الامم / 103 صاعد احمد بن صاعد التغلبي (462) مطبعة النجف 1967 وطبقات الاطباء / 110 – 113.

(3) الحياة العلمية في بلنسية / 477.

(4) ينظر: 87.

(5) المغرب 2: 36-37.

(6) نفسه 1/ 129 – 130.



والشاعر الحكيم أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني (529هـ) قد بلغ في صناعة الطب مبلغاً لم يصل اليه غيره من الأطباء وحمل من معرفة الأدب ما لم يدركه كثير من سائر الأدباء(1).

ولبعض الأطباء معلومات طبية تبرز من خلال الرسائل الشعرية التي كانت تجري بينهم ومن ذلك رسالة كتبها ذو الوزارتين أبو عامر بن فرج الى أبي الفضل بن حسداي منها(2):

إن كـــان عـــندك	شيء مـــن الـــديا خيلـــون
فابعـــث بـــه تتعـــوض	منـــه بـــشكر ثمـــين
فـــأن عنـــدي خراجـــاً	مـــن بابـــه التليـــين

فأجابه ابن حسداي:

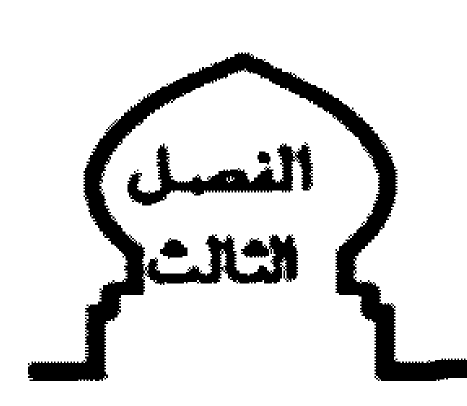
يـــا آخـــذا بـــاليمين	في المجـــد شـــتى الفنـــون
ســـلم لعلمـــي في الـــط	بّ والقـــرا بـــاذين
لا ينبغـــي أن يـــداوي	الخـــراج بـــالتليين
حتـــى يقـــوم ردع ال	أخـــلاط بالتـــسكين
وقـــد بعثـــت شـــراباً	يعـــزى الى الزرجـــون
يغنـــى إذا ذقـــته	عـــن شراب الافـــسنتين

فا الألفاظ الدياخيلون والقرابادين والزرجون والأفستين أسماء لأدوية طبية.

---

(1) ديوان ابي الصلت أمية بن عبد العزيز/ 7.

(2) الذخيرة 3/ 1: 486.



الفلك والحساب والهندسة: إن العرب منذ الجاهلية كانت لهم الدراية في متابعة النجوم للاستدلال بها في أثناء سيرهم في الصحراء والقرآن الكريم قد دعا الى التفكر في الأرض والسماء وذكر أسماء نجوم غير معروفة في تلك الفترة كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾[1]، وفي القرن الثالث للهجرة وجدت أبيات لابن عبد ربه (328هـ) يناقش فيها أبا عبيدة الفلكي المعروف بصاحب القبلة (295هـ) عن كروية الأرض ودورانها حول نفسها وعن اختلاف المناخ بين الشمال والجنوب من الكرة الأرضية[2] أما في القرن الخامس للهجرة فقد كان بلاط كل من بني ذي النون في طليطلة وبني هود في سرقسطة مراكز لرعاية علماء الفلك وتمجيد آرائهم فقد كان المقتدر والمؤتمن من أنصار علمي الرياضيات والفلك وقد ألف المؤتمن (477هـ) كتاب ((الاستكمال)) علق عليه موسى بن ميمون ووضع له شرحاً وقال انه جدير بابن يدرس بنفس العناية التي تدرس بها كتابات أقليدس وكتاب المجسطي لبطليموس[3] كما اشتهر الزرقاني القرطبي صاحب الجداول الفلكية الشهيرة[4] وكانوا يستعلمون التقويم الشمسي بدلاً من التقويم القمري على الرغم من تمسكهم بالموروث القديم علماً بأن ابن بسام قد ختم كتابه بتاريخ ميلادي[5] ووردت أسماء الأشهر الإفرنجية في قصائد الشعراء منها ابن زيدون[6].

كيف اصطباري وفي كانون فارقني ... قلبي وها نحن في أعقاب تشرين

---

(1) الطارق/ 1.

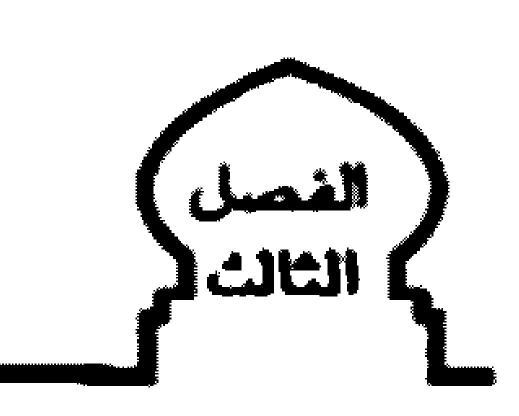
(2) طبقات الأمم/ 84-85، تاريخ الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة/ 60.

(3) تاريخ الفكر الأندلسي / 454-455.

(4) نفسه/ 17.

(5) الذخيرة4/ 2: 662.

(6) ديوان ابن زيدون / 26.



وكانت لهم المراصد العلمية في طليطلة وقرطبة مع آلات متعددة للرصد [1] وقد طبقوا نظرياتهم وعلومهم على الواقع وقد روى المقري [2] من غرائب الأندلس في مجال استغلال جاذبية القمر أنهم قرب طليطلة بنوا بيلتين في بيت مجوف في جوف النهر تمتلآن وتنحسران مع زيادة القمر ونقصانه وقد فصل في عمليهما إلا أن المستشرق ريبيرا قال إن الفلك شأنه شأن الفلسفة كان يخضع لقوانين المنع والإباحة في فترات محددة لغرض الاقتصار فقط على معرفة اتجاه قبلات المساجد وتعيين مواقيت الليل والنهار لمعرفة أوقات الصلاة[3] وكان الفلكيون يؤمنون بأن علل أكثر الحوادث ترجع الى تأثير النجوم[4] لذلك آمنوا بالتنجيم وتطيروا من بعض الحوادث ويروى أن المعتمد كان أشد الملوك إيمانا بالتنجيم وأنه قبل معركة الزلاقة (479هـ) أمر منجمه أبا بكر بن يحي الخولاني أن يأخذ طالع الوقت والنظر فيه فوجده أوفق طالع فكتب الى يوسف بن تاشفين[5]:

غزو عليك مبارك	في طيّه لفتح القريب
لله سيفك انه	سخط على دين الصليب
لابد من يوم يكو	ن له أخ يوم القليب

(1) الحضارة الاسلامية في الأندلس/ 51.

(2) النفح 1: 207.

(3) تاريخ الفكر الأندلسي / 447.

(4) التبيان (مذكرات الأمير عبد الله)/ 19.

(5) ديوان المعتمد / 53.

وسار الى الحرب وهو متفائل بالنصر وفي المطمح[1] أنه عندما أشرف الأمير يحي بن أبي بكر الى طليطلة سقط أحد ألويته من يد حامله وانكسر فطائفة تفاءلت وأخرى تطيرت فقال أحدهم:

لم ينكسر عود اللواء لطيرة   يخشى عليك بها وأن تتأولا

لكن تحقق انه يندق في   نحر العدا ولدى الوغى فتعجلا

أما الحساب والهندسة والجبر فكان المقتدر بن هود (473هـ) وابنه المؤتمن (477هـ) من المتحمسين لرعاية هذه العلوم (وكان المؤتمن قائماً على العلوم الرياضة وله فيها تأليف منها كتاب (الاستكمال والمناظر)[2] كما اشتهر المظفر بين الأفطس باهتمامه بهذه العلوم حيث احتوت موسوعته المشهورة ((المظفرية)) على كل العلوم المعروفة وفنون وأخبار وسير[3] لذلك قال فيه ابن شرف القيرواني[4]:

أقمتَ للعلم مناراً وما   أظن في الدنيا لعلم منار

واشتهر من العلماء في هذا المجال: خالد ابن زين الأشبيلي (436هـ)[5] وأبو عبد الله بن أحمد السرقسطي (448هـ) الذي كان نافذا في علم العدد والهندسة والفلك[6]. ومروان بن الحكم القرشي(462هـ) وغيرهم.

أما الزراعة: فنظرا لطبيعة الأندلس الجميلة وخصوبة أراضيها وكثرة أنهارها ونهيراتها اهتم الأندلسيين بالزراعةو شغفوا بها وحولوا سهولها ووديانها الى رياض خضرة وبساتين

---

(1) المطمح / 45 الملحق.

(2) النفح 1/ 441.

(3) الذخيرة 2/ 2: 640.

(4) نفسه 2/ 2: 643.

(5) الصلة 1: 179.

(6) طبقات الأمم/ 94 صاعد التغلبي.

جميلة لتصبح الزراعة المصدر الأول في الاقتصاد الأندلسي الى جانب شغفهم بالحدائق والمتنزهات وحرص أغنياؤهم على تجميل بيوتهم وأحاطتها بالبساتين والورود الجميلة فأصبحت الزراعة علما وفناً توضع فيها الكتب والدراسات فظهر علماء في النبات والزراعة ولا سيما في عواصم الملوك المهتمين بالقصور والحدائق كطليطلة واشبيلية ومن دلائل تقدمهم في مجال الري أنهم كانوا ينقلون المياه العذبة في أنابيب مجوفة داخل البحر الى الجزر وقد فصل المقري في ذلك بقوله[1]: (جلبوه في جوف البحر في الصخر المجوف وشقوا به الجبال فإذا وصلوا الى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا فإذا جاوزها واتصل بالأرض المعتد له رجعوا الى البنيان المذكور فإذا صادف سبخة بني له رصيف واجري عليه ثم دخل البحر والبنيان الذي عليه الماء في البحر ظاهر بين)) كما تفننوا في استعمال وصنع الدواليب لرفع المياه من الجداول لسقي الحدائق والبساتين والمزروعات فكان لوقعه وحركته أثر خاص في نفوس الشعراء ومن علمائهم: أبو عبد الله بن بصال الذي اشتهر بكتابه ((الفلاحة))[2] وبتجاربه العلمية في توليد الغراس ومكافحة الآفات الزراعية وابن العوام الأشبيلي وكتابه ((الفلاحة)) الذي تضمن تجاربه العلمية واختبارات المزارعين المسلمين وشرح التطعيم والأسمدة والأمراض التي تصيب النباتات وطرق معالجتها ووسائل مكافحتها[3] وأبو عمر بن محبن حجاج الذي ألف كتابا بعنوان ((المقنع)) وابن مالك الطغنري وكتابه ((زهرة البستان ونزهة

---

(1) النفح 1/ 202-203.

(2) الفلاحة/ ابن بصال تحقيق بيكروسكا ومحمد غريمان- تطوان- المغرب / 1955.

(3) تاريخ العرب/ 3: 683.



الأذهان))[1] وغيرهم وقد سبق وأعطينا صورة عن الفلاحين والصعوبات التي يلاقونها[2] وقد عبر ابن مقانا عنها بقوله[3]:

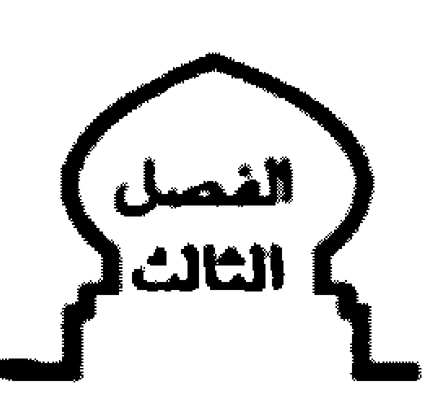
وأصبحت في قبذاق أحصد شوكها   بمزبرة رعشاء نابية القطع"

---

(1) دول الطوائف/ 420.

(2) ينظر الفصل الثاني/ 88.

(3) الذخيرة 2/ 2: 787.



المبحث الثاني
الأنشطة الشعرية

المراسلات الشعرية:

تحتل الرسائل الشعرية حيزا كبيراً في أدب تلك الحقبة لأن الأدباء من الملوك والوزراء وكبار القوم غالباً ما كانوا يتراسلون شعراً يكتبونها على رقع صغيرة في أبيات قليلة تحمل عبارات مختصرة لطيفة بأسلوب عذب سلس تختلط صوره بصور مقتبسة من الطبيعة فيها الخفة والمرح وبما تنسجم مع موضوع الرسالة وقد يرفق بها هدايا ومن سننهم إجابة الشعر بالشعر والرد عليه حتى أن أحد الأمراء غضب لأنه بعث بجائزة مع أبيات شعرية لم يجبه عليه فقال[1]:

قل لمن قد جمع العلم	وما أحصى صوابه
كان في الصرة شعر	فانتظرنا جوابه
قد أثبناك فهلا	جلب الشعر جوابه

وللرسائل الشعرية أركان محددة لا يمكن التغافل عنها وهي:

المرسل، المرسل اليه، الموضوع ، والجواب ، واشتراك الرسالة، والجواب في الوزن القافية.

وكانت للحياة الحضرية التي انتشرت في الأندلس وازدهار العلاقات الاجتماعية وميل الناس الى الاتصال والتقارب فيما بينهم لأغراض وأهداف متنوعة ولا سيما عند الطبقة العليا أثر في شيوع هذه الرسائل خاصة في المناسبات الاجتماعية مثل التهنئة والتعزية والاعتذار

---

(1) اشبيلية في القرن الخامس/ 143.

والعيادة والزواج فضلاً عن ذلك إن تعقيد الحياة السياسية وكثرة الملوك الشعراء أدت الى ظهور الرسائل السياسية والديوانية بين أفراد الأسر الحاكمة أو من يحيطون بهم.

أما أنواع الرسائل فيمكن تصنيفها الى المجاميع الآتية:

1ـ المجاويات (المطارحات) الشعرية:

وهي التي تسلك منحى المعارضات من الناحية الفنية في التزام الشاعر بالموضوع والبحر والقافية للمقطعة الأولى التي يستوجب الجواب عليها وبعدد أبيات متقاربة وتختلف عن المعارضات في أنها لا تتضمن الإعجاب والاحتذاء والتفوق كما تختلف عن الإجازة في عدم اشتراط البديهة والارتجال كما معروف عند الأندلسيين ويغلب على هذا النوع من المراسلات التكلف والصنعة وإظهار المواهب الأدبية والمقدرة الفنية ومعظمها تدور في محاور اجتماعية ومن موضوعاتها:

- **إرسال الهدايا:**

وكانت من الوسائل المهمة في تطوير العلاقات الاجتماعية والتأكيد على المودة والاحترام أو وسيلة من وسائل الزلفى أو رد الجميل والوفاء أو الطاعة للأعلى لغايات متعددة أو لكونها عادة متأصلة في المجتمع، وشاع عندهم إرسال الهدايا مشفوعة بأبيات شعرية لطيفة تنسجم معها وقد تكون في وصف الهدية أو في أغراض أخرى ومن أمثلة على ذلك ما قاله أبو عامر بن مسلمة[1]:

بعث اليه أبو الأصبغ بن عبد العزيز باكورة بها النرجس وكتب أبيات معها:

وبهـــــار ألمّ قبـــــل الأوان	في بهـــاء يـــروق رأي العيـــان
أمكـــن القطـــف في مـــدى شـــهر تـــشريـ	ـن عـــلى غـــير عـــادة الإمكـــان
ســـبق الزهـــر في فـــضائل طـــرا	وكـــسا بـــالجمال فـــضل الزمـــان

(1) الذخيرة2/ 1: 107 – 108.

قال: فأجبته:

يـــا إمامـــا في الـــسبق يـــوم الرهـــان   كـــل حـــين يـــؤمني بالأمـــان

وصـــل النـــرجس المبكـــر يحكـــي   ســـبق عبـــاد المليـــك الـــيماني

يـــا بهـــار الريـــاض أنـــت بهـــار   بـــاهر الأنـــوار والريحـــان

وان أبا بكر بن بقي حين استهدى من بعض أخوانه أقلاما من القصب كتب معها[1].

خـذها إليـك أبـا بكـر العـلا قـصبا   كأنمـا صـاغها الـصّواغ مـن ورقـه

يزهى بها الطـرس حـسنا مـا نثـرت بهـا   مـسك المـداد عـلى الكـافور مـن ورقـه

فأجابه أبو بكر:

أرسلتَ نحـوي ثلاثـا مـن قنـاً سـلب   ميـادة تطعـن القرطـاس في درقـه

فـالخط ينكرهـا والحـظ يعرفهـا   والـرِّق يخـدمها بـالرِّق في عـنقه

- **الدعوة الى مجالس الحديث والطرب:**

الشعراء كانت لهم مكانتهم في المجالس بلطف أحاديثهم وطرائفهم المملحة بأساليب جميلة من ذلك رسالة بعث بها أبو عامر بن مسلمة الى صديقيه أبي علي إدريس وأبي جعفر بن الأبّار مستدعيا لهما[2]:

أيـــا شقيـــقي إخـــاء   ويـــا قـــسيمي صـــفاء

ومـــن همـــا في ذوي الفهـــ   ـم جـــوهر الأدبـــاء

تفـــضلا وأجيبـــا   إلى نـــدي نـــداء

---

(1) النفح 3/ 1: 439- 440.

(2) الذخيرة 2/ 1: 106.

لتأنســـــا بحـــــــديث وقهــــــــوة وغنــــــاء

قال: فأجابني إدريس بأبيات منها :

وقـــــد أجبنـــــا الى مـــــا دعـــــــوتَ مـــــن آلاء

لا زال نجمـــــك أســـــمى مـــــن نجـــم كـــل سـماء

- **العتاب واللوم والهجاء:**

احتلت الرسائل المتضمنة العتاب أو اللوم أو التوبيخ عدداً كثيراً من الرسائل الشعرية بين أفراد الأسرة الواحدة أو بين الأصدقاء،قال ابن رشيق[1] ((إذا قل كان داعية الألفة وقيد الصحبة وإذا كثر خشن جانبه وصقل صاحبه وللعتاب طرائق كثيرة وللناس فيه ضروب مختلفة فمنه ما يمازجه الاستعطاف والاستئلاف ومنه ما يدخله الاحتجاج والانتصاف وقد يعرض فيه المن والإجحاف ما يشاركه الاعتذار والاعتراف)) ومن رسائل الهجاء والتوبيخ ما كتبه ابن شهيد عندما زار الوزير عبد الملك بن جهور الملقب بالحمار فتأخر خروج الإذن اليه فكتب اليه[2]:

أتينـــاك لا عـــن حاجـــة عرضـــت لنـــا إليـــك ولا قلـــب إليـــك مـــشوق

ولكننـــا زرنـــا بفـــضل حلومـــنا حمـــاراً تـــولى برنـــا بعقـــوق

فراجعه ابن جهور يغض منه بأن جده أبا هشام كان بيطاراً بالشام:

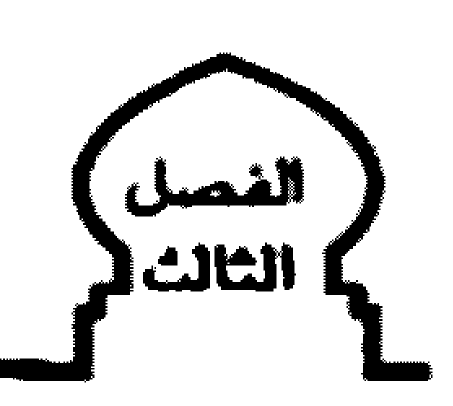
حجبنـــاك لمـــا زرتنـــا غـــير تائـــق بقلـــب عـــدو في ثيـــاب صـــديق

ومـــا كـــان بيطـــار الـــشام بموضـــع يبـــاشر فيـــه برنـــا بخـــليق

---

(1) العمدة2: 160.

(2) الجذوة / 263.



ورسائل أخرى كثيرة منها رسالة بين ابن حزم وابن عمه أبي المغيرة تدل على البغض والحسد بينهما[1].

- **الوصف والغزل والشوق:**

في مقطعات مستقلة أو ضمن أبيات في موضوعات أخرى منها ما كتبه أبو الاصبغ بن عبد العزيز الى ابن الأبار[2] أولها:

أمـــا وخــــد لــــه معــــذر   ومبــــسم الخــــاتم المجـــوهر

فيجيبه ابن الأبار بأبيات أولها:

لــــست بــــصاب الى معــــذر   بــــل أنـــا في حبــــه معــــذر

ومن رسائل الشوق مكاتبة من ولادة بنت المستكفي الى ابن زيدون وأولها[3]:

ألا هــل لنــا مــن بعــد هــذا التفــرق   ســبيل فيــشكو كــل حــب بــما لقــي

فأجابها منها:

لحــا الله يومــا لــست فيــه بملتــق   محيــاك مــن أجــل النــوى والتفــرق

- **الأسئلة والأجوبة:**

وتدخل ضمن الطرائف واللطائف في ديمومة الصلة والمودة كالتي جرت بين ابن شهيد والوزير أبي مروان الجزيري سأله الأخير[4]:

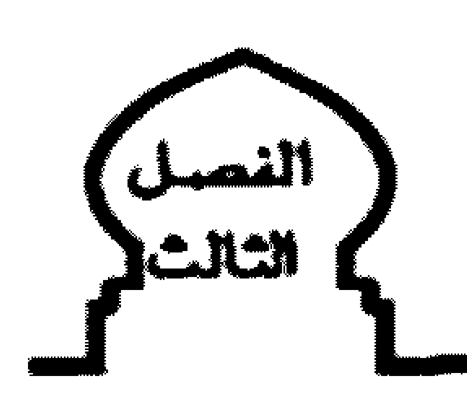
---

(1) النفح2: 80.

(2) الذخيرة 2/ 1 : 208 – 209.

(3) ديوان ابن زيدون / 174.

(4) الذخيرة 1/ 1: 218 – 219



أواخر الورد إذا تجنيه ملتقطاً   أزكى وأعطف نشرا أم أوائله

فاجابه ابو عامر:

وسائلاليَ عما ليس يجهله   ولا الذي كلف التفصيل جاهله

الورد عهداً ونشراً صنو عهدك لا   تنس أواخره طيباً أوائله

▪ طلب أشياء أو حاجات:

مثل الخمر والدواء والقلم كما في رسالة أبي الحسن بن اليسع الكاتب الى أبي بكر بن القبطورنة يطلب خمراً أولها[1]:

عطشت أبا بكر وكفك ديمة   وذبت اشتياقاً والمزار قريب

فوجه اليه مطلوبه وكتب اليه:

أبا حسن مثلي بمثلك عالمٌ   ومثلك بعد الغزو ليس يتوب

فخذها على محض الصفاء كأنها   سنا ما لها بعد الحساب تؤوب

وفي طلب دواء رسالة بين ابن زيدون وابن القصيرة حول فائدة الدواء والإحسان الذي صنعه[2].

▪ المواساة وتخفيف الآلام والدعاء بالشفاء:

عندما اشتد المرض بابن شهيد وهو مشرف على الموت افتقد في وحشته ابن حزم الأندلسي فكتب اليه بنبرة شجية يذكره بعهود الإخاء والمودة وما كان بينهما منها قوله[3]:

فمن مبلغ عني ابن حزم وكان لي   يدا في ملماتي وعند مضايقتي

---

(1) الحلة السيراء 2: 174.

(2) ديوان ابن زيدون 251.

(3) الذخيرة1/ 1: 324 – 330، ديوان ابن شهيد/ 133.

عليــــك ســــلام الله إني مفــــارق   وحـــسبك زاداً مـــن حبيـــب مفـــارق

فـــلا تـــنس تـــأبيني إذا مـــا فقـــدتني   وتـــذكار أيـــامي وفـــضل خلائقـــي

ومن جواب ابن حزم له:

أبـــا عـــامر ناديـــت خـــــلا مـــصافيا   يفـــديك مـــن دهـــم الخطـــوب الطـــوارق

وألفيـــت قلبـــاً مخلـــصاً لـــك ممحـــضاً   بـــودك موصـــول العـــرى والعلائـــق

شـــدائد يجلوهـــا الإلـــه بلطـــــــفه   فـــلا تـــأس إن الـــدهر جـــم المـــضائق

2ـ المراسلات الديوانية:

وهي المراسلات التي تتعلق بأصحاب السلطة وتختلف أساليبها تبعاً لموضوعاتها وجهات إصدارها وتنقسم الى قسمين:

أ- مراسلات الملوك والأمراء:

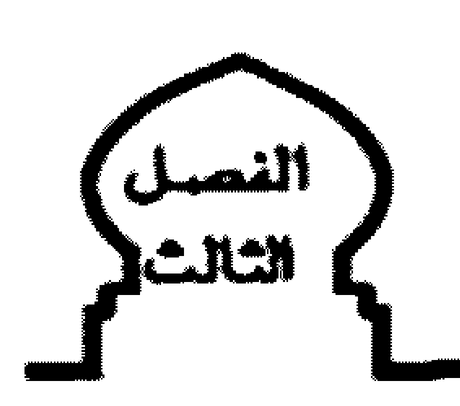
وهي الرسائل التي تتبادل بين أفراد الأسرة الواحدة المالكة وتختلف عن الرسائل الأخرى من حيث ابتعاده عن التزلف والرياء والنفاق وغلبة الصراحة والوضوح في التعبير عن النفس أو بتصوير وقائع معينة تتعلق معظمها بأمور مرتبطة بالدولة وتنفيذ سياستها أو نقض أوامرها وهي رسائل تفصح عن حوادث تاريخية وتنبئ عن أمور مستقبلية، واشتهر بنو عباد بهذه الرسائل فالتهديد والوعيد أو العتاب واللوم وطلب الرضى والسماح...من الموضوعات التي تتكرر في هذه الرسائل، فالمعتضد المعروف بشدته وبطشه توعد ابنه محمداً (المعتمد فيما بعد) فيرسل له المعتمد رسالة شعرية يسكن غضب والده[1]:

ســـكن فـــؤادك لا تـــذهب بـــك الفكـــر   مـــاذا يعيـــد عليـــك البـــث والحـــذر

وازجـــر جفونـــك لا تـــرضى البكـــاء لهـــا   واصبر فقد كنت عند الخطيب تـصطبر

---

(1) الحلة السيراء 2: 56.



ونتكرر الحالة مع الراضي[1] بعد التمارض الذي ادعاه حين وجهه والده الى لورقة على رأس جيش فلما علم والده وجه المعتمد أخاه الذي لم تنشر بنوده ولم تمصر جنوده فعندما لقوا العدو لاذوا بالفرار فغضب المعتمد فكتب اليه الراضي:

ماذا على ضيغم أمضى عزيمته	إن خانه حد أنياب وأظفار
لئن أتوك فمن جبن ومن خور	قد ينهض العير نحو الضيغم الضاري

ومن هنا سخط المعتمد عليه وكتب اليه بهزل:

الملك في طي الدفاتر	فتخل عن قود العساكر
طف بالسرير مسلماً	وارجع لتوديع المنابر

فكتب اليه الراضي قصيدة طويلة منها:

مولاي قد أصبحت كافرا	بجميع ما تحوي الدفاتر
وفللت سكين الدوا	ة وظللت للأقلام كاسر

ثم يذكر له ما قام به من أعمال في خدمة المملكة وضبط الجزيرة والخطر المحيط به،واعتاد المعتمد إرسال هدايا رمزية تعبيرية مثل التفاح والعنب ... والخمرة والمطيبات وتحف... الى والده مشفوعة برسائل شعرية[2].

وكانت بعض الرسائل تعتمد على الأسلوب القصصي في التعبير عن تجربة معينة أو رواية أحداث محددة كالرسالة التي بعثتها بثينة بنت المعتمد الى والدها في السجن عندما استأذنته في الزواج وكانت تحتاج الى صفحات نثرا لو فصلت[3].

---

(1) القلائد/ 31-36، النفح 5/ 385، ديوان المعتمد/ 46-47.

(2) ديوان المعتمد / 31-46.

(3) مختارات من الشعر الندلسي/ 104-105.

ومن الرسائل الأخرى رسالة أبي مروان عز الدولة بين صمادح الذي اعتقله يوسف بن تاشفين عندما كان سفيرا لوالده فكتب لأبيه بعد أن طال اعتقاله قائلاً:[1]

ومن بعد ما كنت حرا عزيزا	أنا اليوم أسير ذليل
حللت رسولاً بغرناطة	فحل بها في خطب جليل
وثقفت إذا جئتها مرسلاً	وقبلي كان يعز الرسول
فقدت المرية أكرم بها	فما للوصول إليها سبيل

فراجعه أبوه بقطعة منها:

عزيز عليّ ونوحي دليل	على ما أقاسي ودمعي يسيل
لئن كنت يعقوب في حزنه	ويوسف أنت فصبر جميل

وكانت بعض الرسائل تكتب بأسلوب شديد وتتسم بالسخط والهجاء مثل قول المعتمد لابن صمادح حين سعى الى يوسف بن تاشفين ليوقع به[2]:

يا من تمرس بيّ يريد مساءتي	لا تعرضن فقد نصحت لمندم
من غره مني خلائق سهلة	فالسم تحت ليان فمن الأرقم

ورسائل أخرى كثيرة منها رسالة المتوكل الى أخيه المنصور يحيي عندما سمع أنه ذكره بسوء في مجلسه[3].

(1) المطمح / 404.

(2) ديوان المعتمد/ 61.

(3) القلائد/ 41.

ب- مراسلات البلاط الشعرية:

وهي المراسلات التي تجري بين الملوك وحاشيتهم من الوزراء والكتاب وكبار الأعيان أو بين رجال الدولة أنفسهم وهي على صنفين:

1- **المراسلات الرسمية:** وهي التي تتعلق بأمور الدولة والحكم مثل البيعة والحرب والسلم والتحالفات والعزل... وغيرها وقد تكون بين أحد الأمراء ووزير له أو بين الوزراء أنفسهم،ومن الرسائل المشهورة في هذا النوع رسالة بين المعتمد ووزيره ابن عمار بعد تمرده عليه واحتلاله مدينة مرسية[1].

تغير لي فيمن تغير حارث ... وكل خليل غيرته الحوادث

أحارث إن شوركت فيك فطالما ... نعمنا وما بيني وبينك ثالث

فأجابه ابن عمار بقصيدة تنصل من مسؤولية التمرد ورجع اضطراب علاقته معه الى النمامين والخبثاء مذكراً خدماته السابقة وأعماله في أركان دولته:

لك المثل الأعلى وما أنا حارث ... ولا أنا ممن غيرته الحوادث

وهي قصيدة طويلة تعد نموذجا جيدا من أدب الرسائل،وله رسالة أخرى الى صديقه الفضل بن حسداي في عرض حاله وطلب غوث واستعطاف عندما القي في سجن شقورة[2].

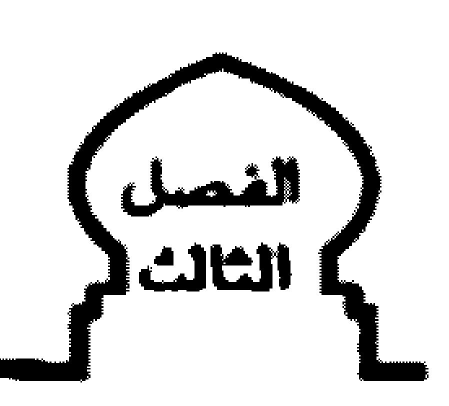
2- **المراسلات الشخصية:** وهي التي تتعلق بقضايا اجتماعية وشخصية تتسم بشيء من السمات الرسمية الدالة على الهيبة والجاه. ومن موضوعاتها:

الدعوة الى المجالس: للشعراء منزلة خاصة في المجالس من خلال أقوالهم اللطيفة وطرائفهم الخفيفة لذلك كان الأمراء يفكرون في الشعراء الذين يضفون على مجالسهم البهجة والمرح والأدب والقول المليح فيرسلون إليهم بطاقات رقيقة متكونة

---

(1) ديوان ابن عمار/ 284.

(2) نفسه / 302.



من أبيات من الشعر يدعونهم للمشاركة وعلى الشاعر أن يجيب منها شعراً قبل حضوره من ذلك ما كتبه ابن رزين صاحب السهلة الى ابن عمار قائلاً [1]:

ضمان على الأيام أن أبلغ المنى ‏ ‏ إذا كنت في ودي مسراً ومعلنا

فلو تسأل الأيام: من هو مفرد ‏ ‏ بود ابن عمار ؟ لقلت لها: أنا

فان حالت الأيام بيني وبينه ‏ ‏ فكيف يطيب العيش أو يحسن الغنا

فلما وصلت الرقعة اليه تأخر عن الوصول واعتذر بعذر مختل المعاني والفصول فقال أحد الحاضرين: إني لأعجب من ابن عمار وكيف قعد عن هذه المضمار مع ميله الى السماع وكلفة بمثل هذا الاجتماع ؟ فقال ابن رزين: إن الجواب قد تعذر فلذلك اعتذر لأنه يعاني قوله ويعلنه ويرويه ولا يرتجله... إن الوصول بلا جواب إخجال لأدبه وإخلال بمنازله في الشعر ورتبه فلما كان من الغد ورد ابن عمار ومعه الجواب:

هصرت لي الآمال طيبة الجني ‏ ‏ وسوغتني الأحوال مقبلة الدنا

وألبستني النعمى أغضى من الندى ‏ ‏ وأجمل من وشي الربيع وأحسنا

تروق بجيد الملك عقداً مرصعاً ‏ ‏ وتزهى على عطفيه وشياً معينا

فدم هكذا يا فارس الدست والوغى ‏ ‏ لتطعن بالأقلام فيها وبالقنا

مما يدل أن الصنعة والتنقيح والمراجعة من سمات هذا النوع من الرسائل الى جانب رسائل تعتمد على السرعة والارتجال والأوزان الخفيفة كما حدثنا أبو طالب بن غانم قائلاً [2]:

لا أنسى والله خط المتوكل بهذين البيتين في ورقة بقلة الكرنب:

انهض أبا طالب إلينا ‏ ‏ واسقط سقوط الندى علينا

---

(1) القلائد / 52-54.

(2) الحلة السيراء/ 2: 107.

فـــنحن عقـــد بغـــير وســـطى   مـــالم تكـــن حـــاضراً لـــدينا

ومن الموضوعات الأخرى التي وردت في هذا النوع من الرسائل الشكر والاعتراف بالجميل مثل رسالة ابن عمار الى المعتصم بن صمادح يشكره على إقامته عنده فترة من الزمن أولها[1]:

يـــا واضـــحاً فـــضح الـــسحا   ب يجـــود في معنـــى الـــسماح

فراجعه المعتصم:

يـــا فاضـــلاً في شـــكره   أصـــل المـــساء مـــع الـــصباح

هـــلا رفقـــت بمهجتـــي   عنـــد الـــتكلم بالـــسراح

إن الـــسماح بيعـــدكم   والله لـــيس مـــن الـــسماح

ولم تكن الرسائل جميعا تدل على الفرح والطرب فقد وجد في بعضها ما يدل على الحزن والألم والحسرة وصدق التجربة الفنية من غير رياء ونفاق مثل ما جرت بين المعتمد بن عباد وكل من الشاعرين الوفيين ابن حمديس الصقلي وابن اللبانة الداني ومما يروى أن الأخير زار المعتمد في بداية اعتقاله ولما استأذن في الانصراف من أغمات بعث اليه بعشرين مثقالاً ومعها أبيات منها:

إليـك النـزر مـن كـف الأسـير   فـان تقبـل تكـن عـين الـشكور

تقبـل مـا يـذوب لـه حيـاء   وان عذرتـه حـالات الفقـير

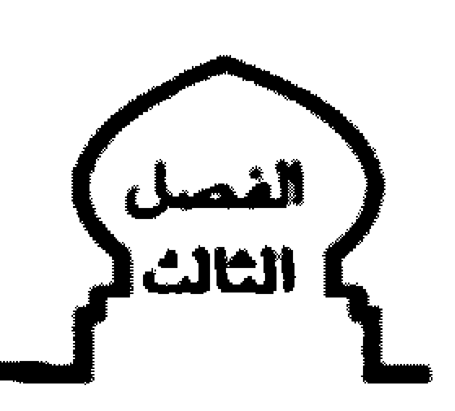
فرد له صلته ومعها أبيات منها:

أسـير ولا أسـير الى اغتنـام   معـاذ الله مـن سـوء المـصير

غنـى الـنفس أنـت وان ألحـت   عـلى كفيـك حـالات الفقـير

---

(1) القلائد/ 52.



وكان رد عطائه عليه كبيراً ولا سيما أنه اعتاد على البذل والعطاء فراجع ابن اللبانة بأبيات فرد عليه بأبيات منها:

حاشى لله أن أجيح كريماً ... يتشكى فقراً وكم سدا فقرا[1]

وجاء في الذخيرة أنه لما افضت الحال بالمعتمد الى الاعتقال اعتقلت بعض كرائمه وبادر الوزير أبو العلاء بن الايادي الى مرغوب رغم ما كان بينهما من جفاء، فكتب اليه المعتمد أثر ذلك أبياتاً[2]:

دعا لي بالبقاء وكيف يهوي ... أسير أن يطول به البقاء

أليس الموت أروح من حياة ... يطول على الشقي بها الشقاء

أأرغب أن أعيش أرى بناتي ... عواري قد أضر بها الحفاء

خوادم بنت من قد كان أعلى ... مراتبه إذا أبدو النداء

فأجابه الوزير بأبيات أولها:

تنافست المراتب فيك حتى ... حللت العسر إذ نحب الشقاء

الى قوله:

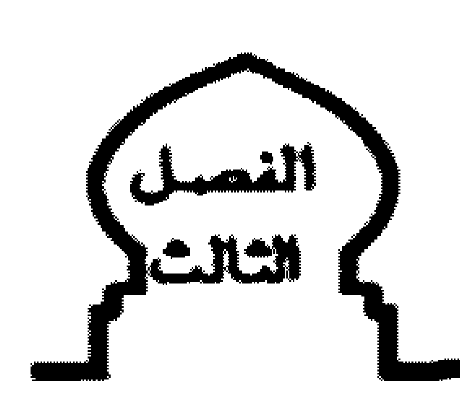
وغاية كل شيء لا نتهاء ... وأنت لغاية المجد انتهاء

الشعر الفلسفي

ظهرت الملامح الأولى للفلسفة في الأندلس على يد ابن مسرة (270- 319 هـ) الذي نشر مبادئ تشبه الى حد ما مبادئ (أنباذ قليس)) الأفلاطوني في الاعتماد على وجود مادة

(1) ينظر رسائلهما كاملة في ديوان المعتمد / 102 -104.

(2) الذخيرة 2/ 1: 227 -228، ديوان المعتمد / 90.



روحية[1] وفي عهد الحكم المستنصر (350- 366 هـ) جلب عدد من الكتب الفلسفية مع غيرها من الكتب فظهر نوع من التسامح في تعاطي الكتب الفلسفية، وفي عهد خلفه وقف المنصور بن أبي عامر وقفة تشدد وكره لها فاضطهد رجالها [2] وكان الأندلسيون لا يميلون الى الفلسفة بطبعهم، جاء في النفح[3] ((لكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم فان لهما حظاً عظيماً عند خواصهم ولا يتظاهر بها خوف العامة فأنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العانة اسم زنديق فان زل في شبهة رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة)).

وكانت البيئة الأندلسية في عصر ملوك الطوائف غير ملائمة للأفكار الفلسفية لطبيعة الأندلسيين الذين يميلون الى السهولة والبساطة دون التعمق في الأشياء كقول ابن عبد البر القرطبي[4]:

لا تكثرن تأملاً	واحبس عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته	فرماك في ميدان حتفك

وبما يلائم حالة الترف واللهو التي كانت سائدة في ذلك العصر إضافة الى ذلك أن الكتب الفلسفية التي نقلت الى الأندلس كلها وكما في الشرق كانت مبتورة ومترجمة بصورة رديئة دون فهم معظم مصطلحاتها وان أعلامها الأوائل من اليونانيين لم يكونوا أصحاب التوحيد مما دعا بالفقهاء الى الاعتقاد بأن تعاطيها أو التوغل فيها يؤدي الى الإلحاد وزرع بذور الشك والريبة في المعتقد لذلك كانوا يفتون بحرق كتبهم[5].

---

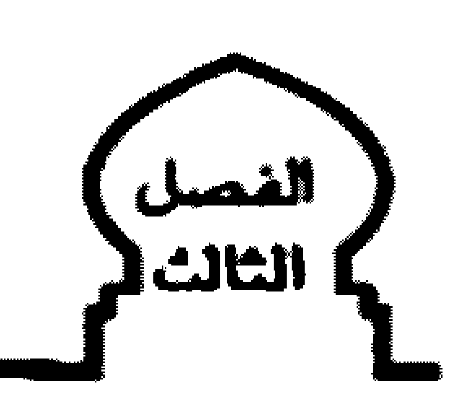
(1) تاريخ الفكر الأندلس/ 8.

(2) تاريخ التمدن الإسلامي/ 3: 200 - 201.

(3) النفح 1/ 220-221.

(4) الذخيرة 3/ 1: 128، القلائد / 181، المغرب / 2: 402.

(5) في الأدب الاندلسي / 116.



ونظراً لرخاوة الحياة السياسية وتعدد الدويلات في القرن الخامس للهجرة فان الفلسفة كان لها مريدوها من باب كل ممنوع مرغوب وحب التطلع وان لم يلقوا التشجيع والرعاية فظهر أعلام يتعاطون الفلسفة وان أصحاب سرقسطة من بني هود المقتدر وابنه المؤتمن لم يكونا من أعدائها وأولها تعاطاها مع العلوم الأخرى[1].

كما أن رسائل أخوان الصفا التي لقيت إقبالا من الأندلسيين بعد دخولها إليهم على يد أبي الحكم الكرماني (458 هـ) قد ساهمت في رفع الضغط عن الفلسفة[2].

ولم تظهر كتب متخصصة مهمة في الفلسفة في هذا القرن أو تعرف نظريات ومذاهب خاصة بها وإنما اقتصرت على التمهيد لازدهار الفلسفة في القرون اللاحقة وصورتها تتأتى من جملة إعلام وردت أسماؤهم في كتب التراجم والتاريخ والأدب عملوا في مجال الفلسفة أو كان لهم إلمام بشيء منها ومعظمهم كانوا يجمعون معها علوما أخرى مثل: أبي الفتوح الجرجاني الذي خرج من الأندلس عام 422هـ وأبي القاسم أصبغ بن محمد (426هـ) ومحمد بن الحناط (437هـ) وكان حاذقاً بالطب والفلسفة[3] والمتكلم مختار بن عبد الرحمن (435 هـ) وابن خلدون الحضرمي (449 هـ) وعبد الرحمن اللخمي (470هـ)[4] وغيرهم.

أما تأثيرها فيظهر من دخول مصطلحاتها وأفكارها ونظرياتها الى العلوم الأخرى ومنها الشعر من خلال الإشارة أو إخضاع الشعر للفكرة الفلسفية كابن حزم الأندلسي الذي أخذ منها نبرة التحدي وحدة الخصام في توسيع رحب لعالم الفكر[5].

أمن عالم الأملاك أنت أم انسي ابن لي فقد أزرى بتمييزي العي

---

(1) النفح 1/ 441.

(2) تاريخ الفكر الأندلسي / 17.

(3) الذيل والتكملة/ السفر السادس/ 222.

(4) البيئة الاندلسية واثرها في الشعر/ 46.

(5) طوق الحمامة/ 55.

أرى هيئـــة إنـــسية غـــير انــــه إذا أعمـــل التفكـــير فـــالجرم علـــوي

أو دخول مصطلحاتها كقول أبي طالب عبد الجبار الملقب بالمتنبي في أرجوزته[1]:

وكــــل شيء جـــوهر أو عـــرض إلا الـــذي الطـــوع لـــه مفـــترض

ومن تأثيراتها كثرة الجدال في أمور لا تختلف كثيراً عن المقولة المشهورة ((أيهما أقدم البيضة أم الدجاجة)) من ذلك ما قاله المؤدب وليد بن عبد الوارث المعروف بالبقري في قدم الحروف فألف ابن الحسن المرادي القروي رسالة عنيفة في الرد علية مما قاله[2]:

لا دّر درّ ســـــــخافة شـــنعاء جـــاء بهـــا الوليـــد

كفـــر تكـــاد لـــه الجبـــا ل عـــلى ثقالتهـــا تميـــد

قـــل للـــرئيس الأحوصـــ ي ورأيـــه أبـــداً ســـديد

حمـــق المـــؤدب فـــادعى مـــن بيـــنهم مـــالا يجيـــد

وكان العاملون في الفلسفة كثيراً ما يتهمون في دينهم كأبي عبد الله محمد بن الحناط الرعيني الذي بلغ من علم المنطق درجة عالية حتى اتهم بدينه ونفي من قرطبة واستقر بالجزيرة الخضراء تحت كتف أميرها محمد بن القاسم بن حمود فقال قصيدة مطلعها[3]:

تفرغـــت مـــن شـــغل العـــداوة والظعـــن وصرت الى دار الإقامـــة والأمـــن

ويعد ابن بسام من أكثر المتشددين في رفض اقتحام الفلسفة في الشعر عندما علق على قصائد لعبد الجليل بن وهبون في رثاء أستاذه الأعلم الشنتمري منها[4]:

مـــا الـــنفس إلا شـــعلة ســـقطت الى حيـــث اســـتقل بهـــا الـــثرى والمـــاء

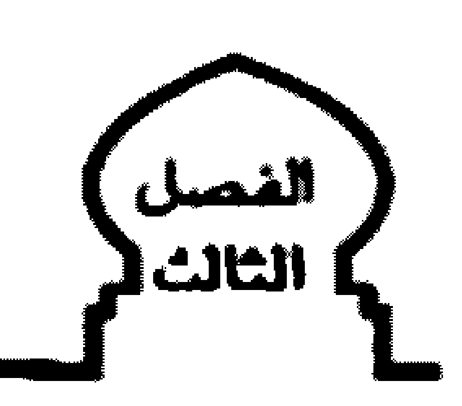
---

(1) الذخيرة 2/ 1: 923.

(2) نفسه 4/ 1: 366.

(3) المغرب 1/ 121-122.

(4) الذخيرة 2/ 1: 479.



حتى إذا خلصت تعود كما بدت ومن الخلاص مشقة وعناء

فهو يتحدث عن الروح والجسد وعلاقتهما مع بعضهما وان الجسد يفنى والروح لا تفنى وإنما هي شعلة تترك الجسم وفي ذلك مشقة وعناء وقد يكون متأثرا بالشاعرين أبي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري في الموضوع نفسه[1] أو بالجماعات الدينية التي تؤمن بتناسخ الأرواح قال ابن بسام ((ذهب هنا من صفة النفس الى مذهب كلامي كقول بعض أهل بلدنا وهو أبو عامر ابن سوار الشنتريني من جملة أبيات منها[2]:

يا لقومي دفنوني ومضوا وبنوا في الطين فوقي ما بنوا

ليت شعري إذا رأوني ميتاً وبكوني أي جزأي بكوا

أنعوا جسمي فقد صار الى مركز التعفين أم نفسي نعوا

كيف ينعون نفوساً لم تزل قائمات بحضيض ويجو

ما أراهم ندبوا في سوى فرقة التأليف إن كانوا دروا

قال ابن بسام: ((هذا معنى فلسفي قلما عرج عليه عربي وإنما فزع اليه المحدثون من الشعراء حين ضاق عنهم منهج الصواب وعدموا رونق كلام الأعراب فاستراحوا الى هذا الهذيان وقد قال بعض أهل النقد انه عيب في الشعر والنثر أن يأتي الشاعر أو الكاتب بكلمة من كلام الأطباء أو بألفاظ الفلاسفة القدماء)) [3] و موقف ابن بسام يعود الى:

1- موقف المرابطين من الفلسفة واشتهاره بمجاراة نهجهم حفظاً لمكانته الاجتماعية.

2- العامل الديني.

---

(1) ديوان المتنبي / 425، اللزوميات/ 1: 448.

(2) الذخيرة 2/ 1: 479.

(3) نفسه.

3- سيطرة الفقهاء على أمور الدولة.

في حين ذهب بعض الباحثين على نقيض ابن بسام في اتهام الشعر الأندلسي بالسطحية لعدم إقبال الشعراء على المعاني الفلسفية بقوله[1]: ((وقد ظلت معاني الشعر الأندلسي سطحية ليس فيها إكثار من الحكم وطرق المعاني الفلسفية وذلك لعدم إقبال الشعراء والأدباء على الفلسفة العقلية)).

إن ربط الأدب بالفلسفة لغرض الغموض والعمق بعيد عن فلسفة الشعر فالشاعر الأندلسي قد تأمل الحياة وعرف أسرارها من خلا تجربته الحياتية فلم يكن بحاجة الى تداخل خارجي من الفلسفة والمنطق لتحديد منهجه وهدفه ولا سيما إن الشعر الفلسفي لا يمثل إلا جزءاً قليلاً من الأدب الأندلسي وعند شعراء معدودين وان الفلسفة والمنطق والحكمة ميادين لا تقع ضمن أهداف الشاعر مباشرة وإلا لفقد الشعر طراوته وحيويته وابتعد عن الشعور وخلجات النفس وتحولت معانيه الى جدال عقيم ومتاهات لا نهاية لها وعلى الشاعر إن توفرت له القدرة توظيف رموز أو معاني فلسفية معروفة عند المتلقي في الشعر لتوضيح تجربة شعرية في حدود معقولة كوسائل لا غايات لذاتها مع اليقين أن تطور عقلية الشاعر وتغلغلها في شعاب الفكر والفلسفة والمنطق يكسب الشعر العمق والغموض الفني اللذيذ لغرض الغوص في الأعماق وتفلسف الكون والحياة والأشياء برؤى جديدة بعيدة عن السطحية.

المعارضات الشعرية[2]

إن الاقتداء بالشرق وترسم خطاهم ومتابعة نشاطاتهم سمة بارزة عند الأندلسيين قال ابن بسام[3] ((إلا أن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل الشرق يرجعون الى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طن بأقصى الشام والعراق

(1) في الأدب الأندلسي/ 59.

(2) ينظر في المعنى الاصطلاح للمعارضة إلى / تاريخ النقائض في الشعر العربي القديم / 7. أحمد الشايب مط السعادة – مصر 1954.

(3) الذخيرة 1/ 1: 12.

ذباب لجثوا على ذلك صنماً وتلوا ذلك كتاباً محكماً)) وهو من أثر نظرتهم المثلى الى الشرق الذي نزح منه أجدادهم وشدة تعلقهم به لغرض حفظ تراثهم العربي والإسلامي في عهد كانت الهجمة الاسبانية قوية موجهة الى استئصال جذور الحضارة العربية الإسلامية ووجودها في الأندلس كما إن انتشار دواوين الشعراء المشرقيين كان له دور في متابعة قصائدهم والسير على نهجهم كما قال ابن بسام في تعليقه على قصيدة لعبد المجيد بن عبدون[1]: ((واقتفى أبو محمد أثر فحول القدماء من ضربهم الأمثال في التأبين والرثاء بالملوك الأعزة وبالوعول الممتنعة)) ولا سيما إن الطبقة الحاكمة كانت تعتز بمثلها الشرقية المحافظة وكان المظفر صاحب بطليوس من أشد المحافظين على الدعوة الى الرصانة في الشعر وكان يقول[2] ((من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي أو شعر المعري فليسكت)) لذلك حاول الشعراء معارضة غرر القصائد العربية والتفوق عليها لتحقيق هدفين:

1- إثبات المقدرة الفنية وإعجاب أهل الأدب بهم.
2- الروح الوطنية الأندلسية وتغيير النظرة المستخفة تجاه نتاجهم الأدبي والفني كما في شكوى ابن حزم[3]: أزهد الناس في عالم أهله

أنا الشمس في جو العلوم منيرة	ولكن عيبي أن مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع	لجد على ما ضاع من ذكري النهب[4]

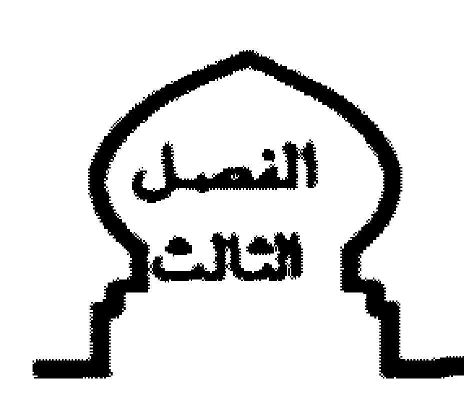
---

(1) نفسه 2/ 1: 818.

(2) الذخيرة 2/ 2: 641.

(3) الجذوة/ 310.

(4) الذخيرة 1/ 1: 173.



فالمعارضة عندهم هي: إعجاب واحتذاء وتفوق إلا أن معظمهم لم يتمكنوا من الخروج عن دائرة القصائد المعارضة وأساليبها لذلك اتهموا بالتقليد كما قال أحد الباحثين[1]:

((لم ينقطع تيار التقليد في القرن الخامس بل أن شعراءه كان بعضهم يضمن أشعاره شيئا من شعر المشارقة)) وفي الوقت نفسه ظهرت قصائد رفيعة فاقت القصائد الأصلية بأشواط عدة منها:

نونية ابن زيدون[2]: التي انتشرت ونسجت حولها أساطير قال الشقندي (629هـ) [3]: ((لم يقل مع طولها في النسيب أرق منها))، لذلك شغف الشعراء بمعارضتها وتخميسها وتسديسها قديما وحديثا[4].

وقصيدة الحصري القيرواني (488هـ) التي تتكون من تسعة وتسعين بيتاً في مدح ابن طاهر صاحب مرسية مطلعها:

يا ليل الصب متى غده ... أقيام الساعة موعده

التي انتشرت وعارضها الشعراء بقصائد بلغت على إحصاء باحثَيْن أربعين قصيدة[5]

وتتجلى المعارضات بشكلها الواسع عند ابن شهيد في رسالته التوابع والزوابع الذي يلتقي في الفصل الأول منها بتوابع الشعراء[6]. امرئ القيس، وطرفة بن العبد، وقيس بن الخطيم من الجاهلين، وأبي نواس والمتنبي من العباسيين ويجري معهم محاورات ومناظرات شعرية ينتزع إعجابهم بشعره ويحصل منهم على الاعتراف بقدراته الفنية وإجازته برواية

---

(1) قضايا أندلسية/ 62.

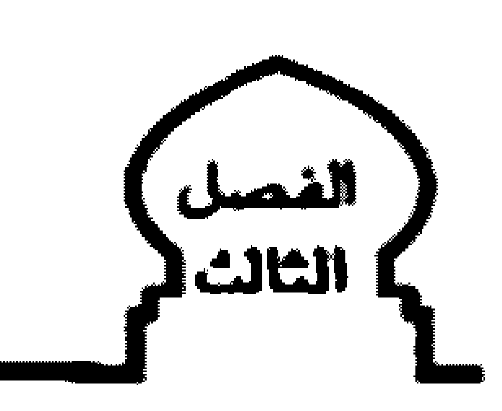
(2) ديوان ابن زيدون/ 141.

(3) وهي في الأصل معارضة لنونية البحتري كما جاء في تمام المتون / 13.

(4) النفح 3/ 194.

(5) أبو الحسن الحصري/ 150-201.

(6) الذخيرة 1/ 1: 245-267.



أشعارهم وقد حاول ابن شهيد السير على خطى هؤلاء الشعراء والاحتذاء بقصائدهم المشهورة والتفوق عليها منها قصيدة ذكر ابن بسام عشرة أبيات منها أولها[1]:

منازهم تبكي إليك عفاءها سقتها الثريا بالغري نحاءها

في معارضة لقصيدة قيس بن الخطيم مطلعها[2]:

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

ويعد ابن دراج القسطلي من الشعراء البارزين في مجال المعارضات وتقع معظم قصائده في عهدي المنصور بن أبي عامر ومنذر بن يحي وأشهرها قصيدة التي مطلعها[3]:

دعي عزمات المستضام تسير فتنجد في عرض الفلا وتغور

معارضة لقصيدة أبي نواس في مدح صاحب خراج مصر مطلعها[4]:

أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور ما يرجي لديك عسير

وقارن أحد الباحثين بين القصيدتين فقال[5]: ((إن لغة الشاعر لم تقصر عن لغة أبي نواس فتمثلت فيها جزالة الألفاظ ومتانتها وبراعة الأسلوب والصياغة وبذلك إدراك الشاعر مرماه وبلغ أمنيته)).

فالمعارضة عندهم أصبحت ظاهرة عند معظم الشعراء وحتى الخلفاء والأمراء والمقلين منهم فسليمان المستعين بالله (407هـ) ينشد قصيدة يختتمها بقوله:

وإذا تجارى في الهوى أهل الهوى عاش الهوى في غبطة وأمان

---

(1) نفسه 1/ 1: 252 ديوان ابن شهيد : 82.

(2) ديوان قيس بن الخطيم/ 21.

(3) ديوان ابن دراج / 249.

(4) ديوان أبي نواس / 411 -426 شرح الصولي.

(5) الادب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة / 289.

معارضاً لقصيدة منسوبة الى هارون الرشيد مطلعها:

ملك الثلاث الآنسات عناني   وحللن من قلبي بكل مكان[1]

كما اشتهر الأندلسيون بنظم القصائد والمقطعات في المفاضلة بين الورود المختلفة التي نتجت عنها أدباً ضخماً يمكن تسميته بـ ((أدب التفاضل)) بين الورود المختلفة أو النوريات وقد ألف فيها أبو الوليد الحميري (440هـ) كتابه ((البديع في وصف الربيع)) وكانت بدايتها رداً على تفضيل ابن الرومي (283هـ) النرجس على الورد في قصيدته التي مطلعها[2]:

وأحسن مافي الوجوه العيون   وأشبه شيء بها النرجس

فعارضها شعراء الأندلس في قصائد كثيرة [3] ومعظمها ناقصة لتناقض المعنى وكان القليل منها يحمل سمة الإعجاب لذلك خرجت عن إطار المعارضات لتدخل في باب المفاضلات (المناظرات) عدا قصائد محدودة لم يكن قصد اصطحابها الرد أو تفضيل إحدى الورود على الأخرى وإنما كان الإعجاب والمشاركة سبباً في نظمهم منهم: أبو الحسن ابن الأستجي (علي بن عبد الله) في قصيدة يمدح القاضي ابن عباد منها:

كأنما الورود لما   وشت يد المزن أرضه

كواكب في سماء   من الزبرجد غضه

كأن طل الأقاحي   مدامع من فضه

عارضها أبو الوليد ابن عامر الحميري (441هـ) بقصيدة من أبياتها:

انظر الى النهر وأعجب   بحسن مرآه وأرضه

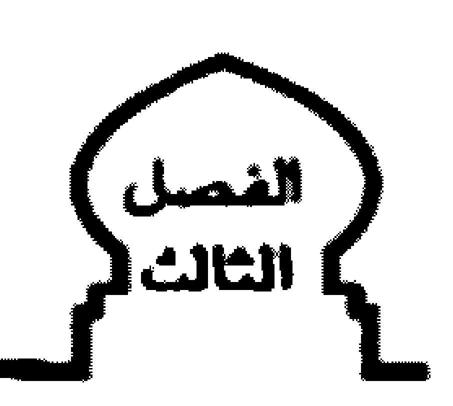
قد حل بين رياض   من النواوير غضه

---

(1) الذخيرة1/ 1: 47، الحلة السيراء / 2: 8-9.

(2) ديوان ابن الرومي / 1234.

(3) ينظر/ ظاهرة تفاضل الازهار في الأدب الأندلسي / 39 - 49.



من نرجس مثل لون الـ ... مهجور فارق غمضه
وأقحوان أنيق ... برُوده مبيضه

وعارضها ابن القوطية منها:

بشاطئ النهر نَور ... كسا الدرانك أرضه
نمارق وزراب ... من النواوير غضه
فالورد وجنة خود ... غراء بيضاء بضه
كما البنفسج خد ... أبقى به اللثم عضه

كما عارضها ابن الأبار بقصيدة أولها:

شقائق شق قلبي ... رواؤها وافتضه

وأبو الأصبغ بن عبد العزيز بمقطعه أولها:

يا من تأمل نوراً ... فيه النواوير غضه

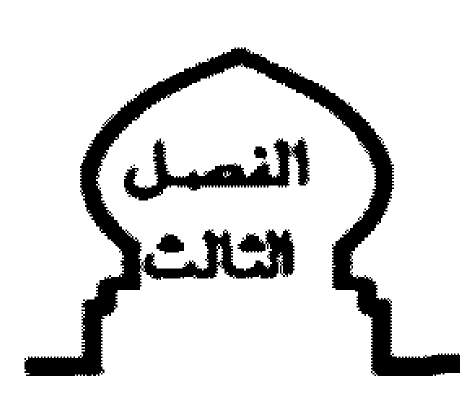
وشعراء آخرون [1]

ولم تقتصر المعارضات على الرجال فمن الشواعر من شاركن في المعارضات كالشاعرة الغسانية البجانية (450هـ) التي أورد لها صاحب المغرب[2] مقطعة معارضة لقصيدة لابن دراج، وان ابن بسام ذكر قصائد كثيرة معارضة لقصائد الشعراء في المشرق والمغرب لذلك قسم الباحثون المعارضات على وفق الأقاليم وكالآتي:

---

(1) البديع في وصف الربيع/ 10-46، الذخيرة 2/ 1: 202-204.

(2) المغرب 2/ 192.



معارضة الأندلسيين لشعراء المشرق ومعارضة الأندلسيين فيما بينهم ومعارضة المشرقيين للشعراء الأندلسيين مع نماذج مختارة للأقسام جميعاً[1].

وكانت معظم المعارضات تامة في الوزن والقافية وحركة الروي والموضوع كالقصيدة التي ذكرها صاحب البداتة[2] عن ابن صارة في نزهة نهرية:

تأمل حالنا والجو طلق ... محياه وقد طفل المساء

وقد جالت بنا عذراء حبلى ... تجاذب مرطها ريح رخاء

بنهر كالسجنجل كوثري ... تعبس وجهها فيه السماء

واتفق أن وقف ابن خفاجة على القطعة واستظرفها واستلطفها فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقتها قائلاً[3]:

ألا يا حبذا ضحك الحميا ... بحانتها وقد عبس المساء

وادهم من جياد الماء نهد ... تنازع جله ريح رخاء

اذا بدت الكواكب فيه غرقى ... رأيت الارض تحسدها السماء

وكانوا أحياناً يضعون بيتاً من القصيدة المعارضة في أول القطعة أو في آخرها كقول ابن دراج القسطلي عندما أزعم الرحيل عن قرطبة عن ضيق وحاجة [4]:

---

(1) تاريخ المعارضات في الشعر العربي/ محمد محمود قاسم – نوفل – مؤسسة الرسالة – دار الفرقان.

- المعارضات في الشعر الأندلسي في القرنين الخامس والسادس/ يونس طركي سلوم – رسالة ماجستير على آلة طابعة/ جامعة الموصل 1988.
- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة/ 280 – 285.

(2) بدائع البدائه/ 2: 142، النفح 2: 318.

(3) ديوان ابن خفاجة/ 367.

(4) الذخيرة 1/ 1: 63، ديوانه:75.

((مــاذا تقــول لأفــراخ بــذي مــرخ	حمـر الحـوا صـل لا مـاء ولا شـجر))[1]
مـا أوضـح العـذر لي لـو أنهـم عـذروا	وأجمـل الـصبر بي لـو أنهـم صـبروا
لكنهم صـغروا عـن أزمـة كـبرت فـما	اعتـذاري عمـن عـذره الـصغر

ومقطعه ابن خفاجة التي مطلعها[2]:

لله نهـــر ســـال في بطحـــاء	أشـــهى ورودا مـــن لمـــى الحـــسناء

حيث يذكر في خاتمتها بيتاً للقصيدة المعارضة ولا تخلو تلك الحقبة من المعارضات الناقصة وقد يكون النقص في الموضوع أو في الوزن والقافية أو حركة الروي ويحدث فيها شيء من التقليب والتغيير والعكس والإسهاب في الشكل أو المعنى.

الموشحات

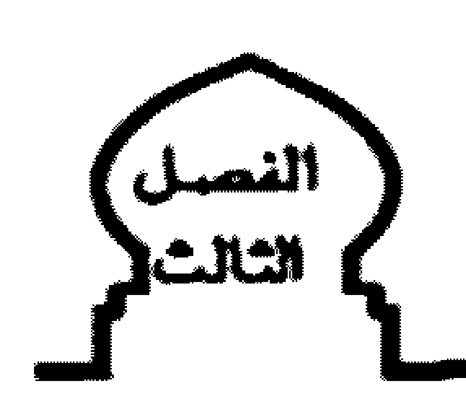
من الفنون الشعرية التي ازدهرت في القرن الخامس للهجرة وملكت أقلام عدد من الشعراء كان لهم السبق في رواج هذا النوع من الفن رغم معارضة التيار المحافظ له ومن بينهم ابن بسام الذي عرف بذوقه الأدبي وتتبعه لمختلف الفنون الشعرية بتياراتها واتجاهاتها المتعددة إلا أنه تغافل عن الموشحات ورفض أن تحتوي موسوعته عليها في حرص منه على الاحتفاظ بعمود الشعر الذي يظهر من خلال مذهبه الأخلاقي وتياره المحافظ اللذين كانا لهما الأثر الفعال في رفض هذا النوع من الفن الذي يتوضح من خلال تعليقاته على الاستعارات البعيدة من باب المحافظة على عمود الشعر بين ثنايا كتابه ((وقد قدح أهل النقد في المتنبي بخروجه في الاستعارة الى حيز البعد))[3] أو في الإشارة الى سنن الشعراء القدامى كقوله[1] ((ليس من عادة أئمة الشعراء المقتدي بهم الإكثار من مدح المعزى في تأبين حيمة المتوفى))

---

(1) ديوان الحطيئة/ 208.

(2) ديوان ابن خفاجة/ 356.

(3) الذخيرة 1/ 2: 842.



أما أهم الأسباب التي أدت الى رواج هذا الفن وانتشاره في هذا القرن هي:

1- شيوع اللهو والطرب والغناء والموسيقى وحاجتهم الى نظم يتسم بالسهولة والانسجام مع الموسيقى والغناء ولا سيما بعد انتشار النوبة الغنائية التي روج لها زرياب المغني في القرن السابق.

2-الحرية التي اتسمت بها الموشحات من خلال تعدد الأوزان والقوافي في الأدوار واختلافها مع الأقفال.

3- ظهور التيار الحديث المتمرد على القديم ولا سيما عند المولدين وأهل الذمة بعد اشتداد التعصب الدفين وأفول نجم الخلافة وتعدد العواصم وظهور دويلات غير معنية بالمحافظة على التراث العربي القديم والتصدي لأطماع الممالك النصرانية التي كانت تمهد لحروبها بغزو اجتماعي وثقافي من خلال إضعاف روح المقاومة وتفشي اللهو والطرب والجواري والتمجيد لها وللغتها الرومانية التي غرزت مخالبها في خرجات الموشحات.

4- ظهور عامية أندلسية تحتوي على مفردات رومانية كثيرة بعيدة عن اللغة العربية الفصحى وتأثيرها على الموشحات والأزجال ولا سيما عند ابن قزمان (554هـ) فيما بعد.

5- وصول الموشحة الى الممدوح أيسر لأنها غالباً ما تغنى أمام الممدوح.

6-العلاقات الاجتماعية بين المسلمين والنصارى التي أخذت أبعاداً جديدة في القرن الخامس للهجرة خاصة في المدن والمناطق التي سقطت بيد الإفرنج.

فضلاً عن ذلك إن أقدم موشحه وصلت إلينا تعود لهذا القرن للوشاح عبادة بن ماء السماء (419أو 421هـ) الذي قال عنه ابن بسام [2]: ((فأقام عبادة هذا منآدها وقوم ميلها

---

(1) نفسه 1/ 2: 821.

(2) الذخيرة1/ 1: 469.

وسنادها فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه ولا أخذت إلا عنه واشتهر بها اشتهاراً غلب على ذاته وذهب بكثير من حنانه))

أما أهم الوشاحين في هذا القرن فهم:

ابن اللبانة الداني (507هـ) الذي عالج موضوعات عدة هي:

- المديح.
- الغزل.
- الخمر.
- الوصف.
- والرثاء [1].

وفي المديح له موشحه تبدأ بحديث المجون والخمر ومجالس الشرب والتغزل بالسقاة ثم الدخول في مدح المأمون بن المعتمد مطلعها [2]:

هلا عذولي لقد خلعت العذار   لا اعتذار   عن ظبا الأنس وشرب العقار

ما العيش إلا حب ظبي أنيس

مهفهف أحوى وحث الكؤوس

من قهوة تحكي شعاع الشموس

وفي القفل الرابع يبدأ بمدح المأمون بقوله:

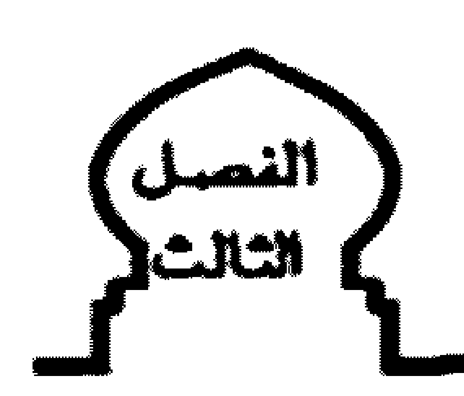
لا والذي توج تاج الفخار   بحر البحار   ببحر جدواه وحامي الديار

الملك المأمون ذو المكرمات

---

(1) ينظر إلى موشحاته في / جيش التوشيح/ 59 وما بعدها، المغرب 2: 414، وتوشيح التوشيح/ 31.

(2) جيش التوشيح/ 70.



وفي المعتمد بن عباد له موشحة يصف في أولها الرحلة الى الممدوح وتصوير الصحاري والقفار مطلعها [1]:

ما لاعتساف البيد	إلا المهاري القود	ذرها تخذ
يا ناقتي الكوما	جوبي على اسم الله	واطو اليباب
واستعملي العوما	فليس من أمواه	إلا السراب

وله موشحة مدحية أخرى في باديس بن حبوس صاحب غرناطة تكثر فيها صور الطبيعة قبل الانتقال الى ممدوحه مطلعها [2]:

في نرجس الأحداق	وسوسن الأجياد	نبت الهوى مغروس	بين القنا المياد

ثم ينتقل الى ممدوحه قائلاً:

دع قطعك الآفاق	يا أيها المرتاد	واقصد الى باديس	خير بني حماد

أما الغزل فكان يتخذه تمهيداً للدخول الى المدح أو خاتمة للموشحة وقد يمتزج بالوصف والخمر عدا الغزل بالغلمان الذي يتخذ منه موضوعاً مستقلاً كموشحته التي مطلعها [3]:

للدموع إذا تقطر	في الخد أسطر	تحفظ الهوى ظاهر	منها النواظر
	سر لوعني بيديه	من حوت عبده	
	ليس لي بما أفديه	والقلب عنده	

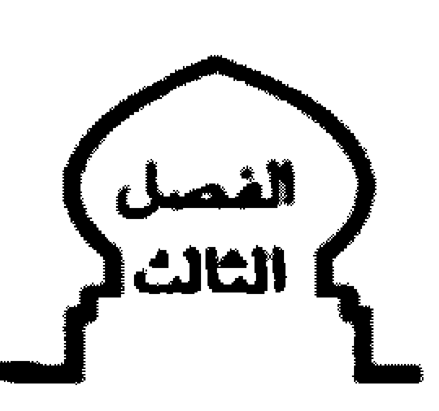
وفي الرثاء له موشحة يندب المعتمد ويبكي ملكه وسقوط دولته [1] مطلعها:

---

(1) نفسه / 64.

(2) جيش التوشيح / 62-63.

(3) نفسه/ 68.



طلع النجيع وفل الأسر غرب مهند وكان من منتضاه الدهر وماتقلد

صبراً على ما قضاه الله حط المؤيد من علياه

وعطل الملك من مرآه أقول شتوقاً الى لقياه

ومن الوشاحين الآخرين أبو عبد الله بن عبادة المعروف بابن القزاز الذي عاصر المعتصم بن صمادح صاحب المرية وهو أحد ثلاثة من شعراء الأندلس وقعت عليه اختيارات ابن سناء الملك في طرازه ونقل صاحب المغرب عدداً من موشحاته منها [(2)]:

صل يا منى المتيم من راح مقصوص الجناح

صاغ الجمال من كل لألاء
خذ أديمة من الصهباء
ووجنة أرق من الماء

كما أن لابن زيدون موشحة (مخمسة) من عشرة أدوار يتذكر قرطبة ومجالس أنسه بأسلوب شعري رصين أولها [(3)]:

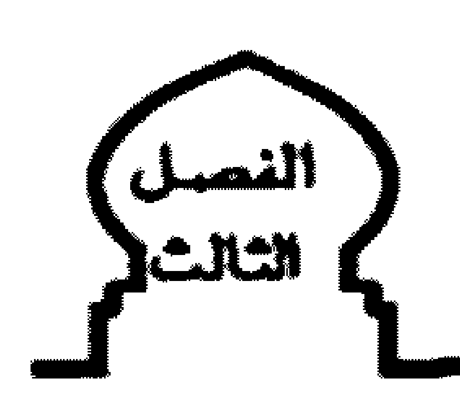
سقى الغيث اطلال الأحبة بالحمى
وحاك عليها ثوب وشي منمنما

---

(1) جيش التوشيح/ 71.

(2) المغرب 2: 137.

(3) ديوان ابن زيدون / 128.



واتسمت الموشحات في تلك الفترة بأوزانها المختلفة وكثرة الوقفات والسهولة واللين في اختيار الكلمات الى حد الاقتراب من العامية خاصة في الخرجات التي قد تحتوي بعضها على كلمات معجمية صعبة كما في موشحة لابن اللبانة [1]، واتسمت كذلك بكثرة الصور المستمدة من الطبيعة فضلاً عن المزج بين الغزل والخمر والوصف في معظمها [2].

شعر البديهة والارتجال:

البديهة والارتجال مصطلحان تكررا عند القدامى وأفرد لهما ابن رشيق القيرواني (456هـ) في عمدته باباً وفرق بينهما بقوله ((البديهة فيها الفكرة والارتجال، والارتجال ما كان انهمارا وتدفقا لا يتوقف فيه قائله)) [3] وهذا ما ذهب اليه ابن بسام في ذخيرته بقوله ((وقد فرق حذاق النظر بين البديهة والارتجال فجعلوا الارتجال ما كان على طريق الانهمار والتدفق لا يتوقف فيه قائله)) [4] ولكنه في اختياراته لم يفرق بينهما واستعملها بمعنى واحد بقوله:

---

(1) جيش التوشيح/ 64.

(2) للمزيد عن الموشحات في نشأتها وبنائها وتطورها ينظر: ديوان الموشحات الاندلسية/ د. سيد غازي، منشأة المعارف – الاسكندرية- مصر – 1965.

- الموشحات الأندلسية/ د. محمد زكريا عناني، سلسلة كتب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب – الكويت – 1980.
- الموشحات والازجال/ مصطفى الكريم – دار المعارف- مصر – 1965.
- تاريخ الدب الأندلس/ 2: 216 -257/ احسان عباس.
- ادب الندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة / 138-152/ احمد هيكل.
- الأدب الندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة/ 245-264/ د. منجد مصطفى وغيرها.

(3) العمدة/ 1: 189.

(4) الذخيرة 4/ 1: 36.

فقال: بديهة أو: ارتجل قائلاً وكرر اللفظة الأخيرة في المقطعات القصيرة والمعاني السريعة الجاهزة.

ونظراً لكثرة المجالس الأدبية والترفيهية وشيوع الشعر بين الأندلسيين وملكتهم الفطرية الجاهزة وتوفر بواعث القول والعوامل المساعدة لها من جمال الطبيعة وحرية المرآة أصبحت البديهة والارتجال ظاهرة منتشرة بينهم لما فيها من السلاسة واللطافة والصور الجميلة الواضحة المنسجمة مع طبيعتهم التواقة الى اللفظ السمح والكلام الجميل المغلف بضباب خفيف من الهزل والبعد عن الغوص في المعاني.

ومناسباتها كانت تدور في الغالب في أجواء المداعبات الظريفة واللطائف الأخوانية المتسمة بحب الحياة وتسلية النفس فضلاً عن بعض المناسبات الخاصة كالاختبارات لتحديد قابلية الشعراء أو بعض الظواهر الكونية والمناسبات الاجتماعية، وكان لملوك الطوائف أثر في شيوع هذا النوع من الشعر ولا سيما الشعراء منهم وقد نقلت المصادر الأندلسية وغيرها حكايات كثيرة عن أهل الأندلس ومقطعاتهم المنظومة عن طريق البديهة والارتجال ومعظمها ظرف وطرب وخفة بالحياة في كلمات عابرة من ذلك أن ابن عمار خرج مع ابن زيدون وابن خلدون الوزير الى روضة من الطبيعة الجميلة وبعثوا صاحباً لهم اسمه ((خليفة)) ليأتيهم بالنبيذ فلما بصروا به مقبلاً سارعوا الى لقائه فركض فرس فصدمه وهشم أعظمه وأجرى دمه وكسر زجاج نبيذه وحين وصلوا اليه تأسفوا عليه وأفاضوا في ذكر الزمان وعدوانه فقال ابن زيدون[(1)]:

أنلهو والحتوف بنا مطيفه ... ونأمن والمنون لنا مخيفه

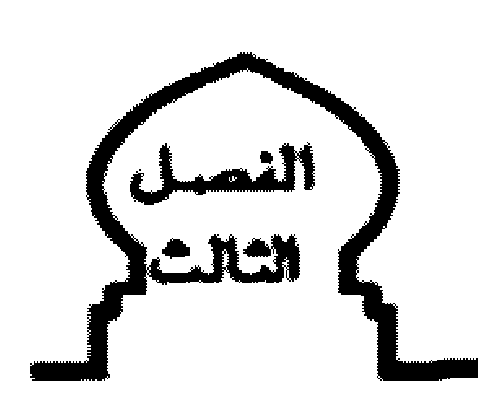
فقال ابن خلدون:

وفي يوم وما أدراك يوم ... مضى قمعاً لنا ومضى خليفه

قال ابن عمار:

---

(1) النفح 3/ 243-244.



همـــــا فخارتـــــا راح وروح　　　تكـــسرتا فأشـــفاق وجيفـــه

وكان ابن فرج الجياني [1] مع لمه من أهل الأدب في مجلس أنس فاحتـاج رب المنـزل الى دينار فوجه الى السوق فدخل بهم عليهم غلام من الصيارف في نهاية الجمال فرمى الدينار إليهم فقال ابن فرج:

أبــصرت دينــاراً بكــف مهفهــف　　　يزهــى بــه مــن كثــرة الإعجــاب

أومــأ بــه مــن فيــه ثــم رمــى بــه　　　فكأنـــه بـــدر رمـــى بـــشهاب

ومن وصف مظاهر الطبيعة ما روي أن ابن عائشة وابـن خفاجـة كانـا مـع جماعـة مـن الأدباء تحت خوخة منورة فهبت ريح صرصر أسقطت عليهم زهرها فقال ابن عائشة [2]:

ودوحـــة قـــد علـــت ســـماء　　　تطلـــع أزهارهـــا نجومـــا

هـــبّ نـــسيم الـــصبا عليهـــا　　　فخلتهـــا أرســـلت رجومـــا

كـــأنها الجـــو غـــار لمـــا　　　بـــدت فـــاغرى بهـــا النـــسيما

ومن الموضوعات التي تتصل بالبديهة والارتجـال (الإجـازة) وغالبـاً مـا تـأتي بـصورة مباشرة عن طريق اللفظ بعبارة (أجز) ويقصد بها (كمل) بعد أن يقدم له صدر بيت مـن غـير إفساح المجال له للتوقف والتفكر.

واشتهر المعتمد بهذا النوع من الشعر منها: عندما صنع قـسياً في القبـة المعروفـة بـسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهي قال [3]:

سعـــد الـــسعود يتيه فوق الزاهي

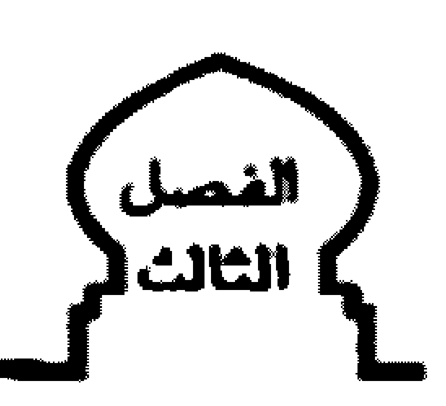
ثم استجاز الحاضرين فعجزوا فنظم ولده عبد الله الرشيد:

---

(1) النفح 3/ 266.

(2) الذخيرة 3/ 2: 887.

(3) النفح 3/ 612، ديوانه: 76.



وكـــــلاهـــــما في حسنة متناهي

وفي ديوانه أنه ركب يوما قاصدا الجامع والوزير ابن عمار الى يساره فسمع أذان المؤذن فقال المعتمد[1]:

هذا المؤذن قد بدا بأذانه

فقال ابن عمار : يرجـــو بـــذاك العفـــو مـــن رحمانـــه

فقال المعتمد: طـــوبى لـــه مـــن شـــاهد بحقيقـــة

فقال ابن عمار: إن كـــان عقـــد ضـــميره كلـــسانه

وقد أشرنا سابقاً الى الامتحان الذي أجراه لابن حمديس الصقلي ورواه الشاعر بنفسه[2] وكذلك ما روي أن ابن عبادة وابن قابلة السبتي اجتمعا بالمرية ونظرا الى وسيم يسبح في البحر وقد تعلق بسكان بعض المراكب فقال ابن عباده[3]:

انظر الى البدر الذي لاح لك

فقال ابن قابلة: في وســـط اللّـــــــــجة تحـــت الحلـــك

قـــد جعـــل المـــاء ســـماء لـــه واتخـــذ الفُلـــك مكـــان الفَلـــك

وقد يدخل أحيانا في باب التذييل بأن ينظم شاعرا بيتاً من الشعر ويطلب من الثاني تكملته في الموضوع نفسه كالذي روي عن المعتمد عندما أمر بصناعة غزال وهلال من ذهب فأهدى الغزال الى زوجه والهلال الى ابنه الرشيد فوقع له أن قال[4]:

---

(1) ديوان المعتمد/ 75-76.

(2) النفح 3/ 617، ديوانه: 75.

(3) النفح 3/ 610.

(4) نفسه 3/ 614.

بعثنــــا بــــالغزال الى الغــــزال وللـــــشمس المنـــيرة بـــالهلال

وأمر الجالسين إجازته فقال بدر ابن مرزقان قصيدة مطلعها:

فــــذا ســـكني أبوئــــه فــــؤادي وذا نجـــــلي أقلـــــده المعـــــالي

وفي الموضوع نفسه دخل ابن بقي الحمام وفيه الأعمى التطيلي فقال له [1]: أجز

حمامنـــا كزمـــان القـــيظ محتـــدم وفيــــه للـــــبرد صر غـــــير ذي ضرر

فقال الأعمى التطيلي:

ضــدان يــنعم جــسم المــرء بيــنهما كالغــصن يــنعم بــين الــشمس والمطــر

شعر النوادر والفكاهة:

اشتهر الأندلسيون بالفكاهة والتندر واللطافة قال المقري عنهم [2]: ((ولأهل الأنـدلس دعابة وحلاوة في محاوراتهم وأجوبة بديهة مسكتة والظـرف فـيهم والأدب كـالغريزة حتـى في صبيانهم ويهودهم فضلا عن علمائهم وأكبارهم)).

وكان تندرهم يأتي في الغالب من باب الظرف واللطافة وإدخال السرور والتسلية عـلى مجالسهم ومعظمها تجري بين الأمـراء والأدبـاء بأسـلوب لطيـف سـهل ممتـع لا يقـصد منـه الاستخفاف أو الهجاء واشتهر أبو الوليد المعروف بالنحلي الذي وصفه ابن بسام [3] ((نـادرة عصره ولم يصد دراهم ملوك عصرنا إلا بحر النادرة... وكان يُـضحك مـن حـضر ولا يكـاد يبتسم هو اذا نذر)) ومن حكاياته أن [4] المعتصم بن صمادح كان قد أحسن اليه ثـم سـار عنـه ومدح المعتمد بن عباد ولمز عن ابن صمادح بقوله:

أبـــاد ابـــن عبـــاد الـــبر بـــرا وأفنـــى ابـــن معـــن دجـــاج القـــرى

---

(1) نفسه 2/ 347.

(2) النفح 3/ 381.

(3) الذخيرة 2/ 2: 809.

(4) النفح 4: 9.

ونسي ما قاله حتى حل عنده وأحضره لمنادمته وفي موائده ليس فيها غير دجاج فلما احتج النحلي عن ذلك أفهمه أنه أراد تكذيبه في ما قال فطار سكره وجعل يعتذر وعفا عنه ابن صمادح، وله نوادر كثيرة مع المعتمد منها [1] ((أنه مشت بين يديه يوما بعض نسائه في غلالة لا تكاد تفرق بينها وبين جسمها ولها ذوائب تخفي اياة الشمس في مدلهمها فسكب عليها إناء ماء الورد فأمتزج الكل لينا واسترسالا وتشابه طيبا وجمالا فأدركت المعتمد أريحية الطرب ومالت بعطفيه راح الأدب فقال:

علقت جائلة الوشاح غريزة تختال بين أسنة وبواتر

ثم تعذر عليه المقال أو شغلته تلك الحال فقال لبعض الخدم القائمين على رأسه: سر الى النحلي وخذه بإجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفزع منه فأضاف النحلي اليه لأول وقوع الرقعة بين يديه هذه الأبيات:

راقت محاسنها ورق أديمها فتكاد تبصر باطنا من ظاهر

وتمايلت كالغصن في دعص النقا والتف في ورق الشباب الناضر

يندى بماء الورد مسبل شعرها كالطل يسقط من جناح الطائر

تزهى برونقها وعز جمالها زهو المؤيد بالثناء العاطر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له: أحسنت أو معنا كنت ؟ فأجابه النحلي بكلام معناه: يا قاتل المحل، أوَ ما تلوت﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [2].

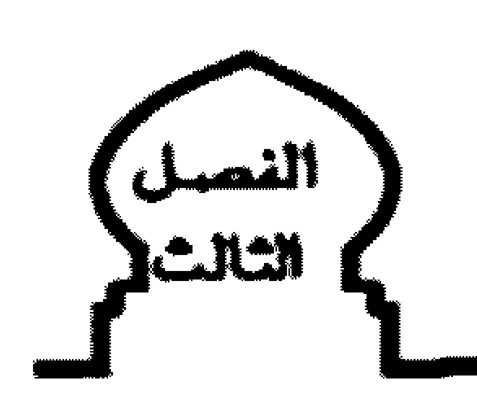
وكان من الشعراء من يأتي باستعارات قصيرة لرفع السأم والملل كقول أبي محمد بن الطلاء المهدوي [3]:

---

(1) الذخيرة 2/ 2: 811، ديوانه : 14-15.

(2) النحل / 67.

(3) الذخيرة 4/ 1/ 288.



لحى جراياتى منتوفة ومر دهر وهي لم تنتتف

وقول الحلواني (أبي الحسن بن فضال القيرواني)[1]:

قد حل في سوقك الكساد مد لاح في خدك السواد

كأنها الشعر فيه زرع والنتف منه له الحصاد

وقول أبي الحسن البغدادي المعروف بالفكيك[2] وكان قصيراً دميما وقد لبس طاقا أحمر على بياض وفي رأسه طرطور أخضر وقد عمم عليه عمة لازوردية وهو ينشد بين يدي المعتمد شعرا قال فيه:

وأنت سليمان في ملكه وبين يديك أنا الهدهد

فأضحك من حضر.

وقد تأتي النوادر من باب السخرية والهجاء ولا سيما في طبقة القضاة والفقهاء بأسلوب تصويري مضحك القصد منه إبراز المعايب بأسلوب التندر وربما تأثروا في ذلك بكتابات الجاحظ (255 هـ) في رسائله التربيع والتدوير أو ابن الرومي (283 هـ) في مقطعاته الهزلية الهجائية ومجونيات ابن سكرة وابن حجاج وهزليات أبي الشمقمق وأبي الرقعمق ونوادر الظرفاء في المقامات واشتهر ابن شهيد في رسالته التوابع والزوابع بهذا النوع من النوادر في بعض زملائه كأبي القاسم إبراهيم بن الأفليلي الذي قال عنه على لسان الجن[3]: ((فمكانه من نفسي مكين وحبه بفؤادي دخيل على انه حامل علي ومنتسب إلي فصاحا: يا أنف الناقة بن معمر من سكان خيبر فقام إليهما جني أشمط ربعة يتظالع في مشيه كاسرا لطرفه زاويا لأنفه وهو ينشد:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

(1) الذخيرة 4/ 1/ 288.

(2) نفسه 4/ 1: 368.

(3) المغرب 1: 73.

فقالا لي: هذا صاحب أبي القاسم

وقوله في هجائه لأحد الكتاب [1]:

ومنتن الريح إن ناجيته أبدا　　　كأنما مات في خيشومه فار

وكان بعضهم يقف على هذا النوع من الشعر جهده وقريحته كأبي عمر بن عبد البر القرطبي النمري (450 هـ) في رجل مات مجذوبا [2]:

مات من كنا نراه أبدا　　　سالم العقل سقيم الجسد

بحر سقم ماج في أعضائه　　　فرمى في جلده بالزبد

كان مثل السيف إلا أنه　　　حسد الدهر عليه فصدي

ويأتي عند بعضهم هجاءا مرا كقول ابن سارة الشنتريني في أحد الكتاب [3]:

وأغر ينتحل الكتابة خطة　　　متوقد كالحية النضناض

عشق السواد فأصبحت أسنانه　　　تشري السواد ببيع كل البياض

فإذا شحا فاه رأيت خنافسا　　　يأوين من فيه الى مرحاض

وقد تصبح ظاهرة أدبية ينجو فيها الشاعر منحى ابن حجاج في العراق مثل: توجه أبي عبد الله محمد بن مسعود الذي مارس الهزل نثرا وشعرا وله أراجيز مزدوجة وسبق أن ذكرنا له أرجوزة مزدوجة خاطب بها الوزير ابن بقنة على لسان جارية كان أهداها اليه واصفا حال ابن

(1) الذخيرة 1/ 1: 296.

(2) القلائد : 181، المغرب 2: 402.

(3) الذخيرة 2/ 2: 845.

مسعود وفقره [1] كما ذكرنا شعرا خفيفا له يصور نفسه طبيبا يعالج الناس كقوله في الرواج لكحله [2]:

إذا تكحلت منه يوما فلست تراني

كما له قصيدة في امرأة لا نعرف علاقته بها منها [3]:

كم قائل: صفها لنا واختصر	ولا تطول قلت: شمس القدور
قيل وزد قلت لهم: إنها	في سعة مثل الدنا والبحور
تستقذر الجيفة أنفاسها	وتجعل الفسو مكان البخور
للكحل والغمرة في وجهها	والطيب والتزيين شهادات زور
نقراء شقراء على سمرة	فهل ترى يا سيدي من فطور ؟

أفانين من النظم

الألغاز والأحاجي:

من الموضوعات التي وجدت في الأدب الأندلسي والغاية منها التسلية وقضاء الوقت وبيان المقدرة الفنية وسعة الخيال واختبار القدرات والقابليات في نظم الألغاز وفك رموزها، وكان اعتمادهم على الكناية والتورية والجناس في إيهام المخاطب ودفع تفكيره عن المغزى الحقيقي للأبيات وقد تغلف المقطعات بنوع من الغموض لا يتبين إلا بعد التأمل ومزيد من

(1) نفسه 1/ 1: 553.

(2) نفسه 1/ 1: 555.

(3) نفسه 1/ 1: 557.



النظر وهي بمجملها نوع من الرياضة الذهنية، ومن المقطعات التي تضمنت جناسا ما كتبه المعتمد بن عباد الى الأديب محمد المصري[1]:

أيها الصاحب الذي فارقت عيـ ... ني ونفسي منه السنا والسناء

نحن في المجلس الذي يهب الرا ... حة والمسمع الغنى والغناء

نتعاطى التي تنسي من اللذ ... ة والرقة الهوى والهواء

فأته تلق راحة وحيا ... قد أعدا لك الحيا والحياء

وقال ابن زيدون[2] فمن يؤلف من حرف الأول من أرض وسماء لفظة ماء _ أسماء _

إن للأرض والسماء وللما ... ء علينا أذمة لا تذم

هي بعض اسم من أحب ... وبتكرير بعضها يستتم

وقول ابن خفاجة ملغزا في القلم[3]:

وخطيب قوم قام يخطب فيهم ... أبدا مع الإصباح والإمساء

حملت عليه تنال منه لئيمة ... فأجابها عنه أخو الخنساء

واشتهر ابن شرف القيرواني بهذا النوع من الشعر فله في المرآة قوله:

ما يقول الشيخ في ... شيء تراه يراكا

ثم لا تلقاه إلا ... حيث لا يلقي سواكا

وله في الإبرة والدينار والدرهم والنجوم......[1]

---

(1) ديوان المعتمد: 49.

(2) ديوان ابن زيدون / 277.

(3) الذخيرة 3/ 2 : 582.

المطيرات:

من الموضوعات التي اختص بها عدد من شعراء الأندلس في تلك الفترة وهي ((نوع غريب من الشعر يجهدا لشاعر فيه عقله ويرهقه من اجل أن يعبر عن غرضه ببيت شعري يصاغ من الأحرف التي تشير إليها أسماء الطيور، فكل طير يرمز الى حرف معين وبجمع هذه الحروف مع بعضها يعرف البيت المقصور)) [2] واشتهر ابن زيدون بهذا الفن وشاركه المعتمد بن عباد[3] ،فله قصيده بأسماء الطيور بعثها الى المعتمد منها [4]:

فاسأل الشاهين والصقر	ين والعنقاء تخبر
ثم رأل الفقر والغير	اد والنسر المعمر
ثم بعد الديك عد للنـ	ـسر والرأل المنفر
ثم عد للنسر والرأ	ل فكل قد تكرر

ففك المعتمد ذلك بقوله:

صدق لنا فال السمه	تظفر على الكلمه

شعر التصوير:

من المعروف أن هذا الفن دخل الأدب العربي بتأثير الغرب مع راود مدرستي الديوان وأبو لو ، لكننا وجدنا الأدب الأندلسي ما يشبه هذا النوع من الشعر، فالشاعر أبو تمام غالب المعروف بالحجام وصف الصورة التي بحمام الشطارة باشبيلية قائلا [5]:

---

(1) النتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف/ 90-106.

(2) الشعر في ظل بني عباد/ 235.

(3) ديوان المعتمد بن عباد/ 77-87.

(4) ديوان ابن زيدون/ 403، ديوان المعتمد: 81-82.

(5) الذخيرة 3/ 2: 826، النفح 1/ 533.

ودميـــة مرمـــر تزهـــي بجيـــد   تنـــاهى في التــــورد والبيــــاض

لهـــا ولـــد ولم تعـــرف حليـــلا   ولا ألمـــت بأوجـــاع المخـــاض

ونعلـــم أنهـــا حجـــر ولكـــن   تتيمنـــا بألحـــاظ مـــراض

المفاضلات:

المفاضلات بين الأشياء ، ويقصد بها تفضيل شيء على آخر على شكل رسالة أو مقطعه شعرية يدور الحوار فيها بين شخص ونفسه أو بين شخصين وأكثر حول موضوع معين شعرا أو نثرا مع المباهاة والتفاخر ، وفيها يحاول الأديب أن يحشد مجموعه من الأدلة التي تثبت أن شيئا انفع أو أجدر أو أحسن أو أجمل من الآخر مع المشاركة الوجدانية ، وتأخذ هذه الرسائل غالبا شكل مناظرة، وفي النثر العربي أمثله كثيرة على ذلك منها ما ذكره الجاحظ (255) في كتابه الحيوان في المناظرة بين صاحب الديك وصاحب الكلب،وبين الربيع والخريف[1] وعند الأدباء الآخرين بين النثر والشعر وبين الشباب والشيخوخة...........

واشتهر الأندلسيون بالمفاضلة بين الزهور المختلفة ، وقد اشرنا الى جانب منها في المعارضات [2] حيث انقسم الأدباء الى فرق في تفضيل نوع أو صنف على آخر كابن شهيد الذي فضل الورد على النرجس بألفاظ بسيطة قائلا [3]:

ورد كـــما خجلـــت خـــدو   د العـــين مـــن لحظـــات هـــائم

وشـــقيق نعـــمان شـــكت   صـــفحاته مـــن لطـــم لاطـــم

وهاجم النرجس قائلا:

---

(1) تاريخ الأدب العربي/ العصر العباسي/ 539.

(2) ينظر: 214.

(3) الذخيرة 1/ 1: 199-200.

ورنــــت فبـــادر نــــرجس يـــــشكو عــــماه الى الحمائــــم
طــــــاردتهن بفتيــــــــة حــــــرد عـــــلى حـــــرب المــــسالم

وفي كتاب – البديع في وصف الربيع – أمثله كثيرة خاصة في المناظرات النثرية التي تتخللها أبيات شعرية في الموضوع نفسه. ونظرا لاضطراب الأحوال السياسية ولغلبه السيف على أعناق الناس ذكروا السيف كثيرا وقارنوه بالرجل وأيهما أكثر فعاليه في القتال، فقال احدهم [1]:

بهـا الخيـل والأبطـال والبـيض والقنـا ســواء بحكــم العــين والأذن واللــب
فــلا فــرق إلا أن يهــب بهــا الــردى فيعــرف أن الفــضل للرجــل النــدب

وفاضل ابن برد الأصغر بين السيف والقلم نثرا ثم ذكر أبيات في عدم تفضيل بعضهم على بعض منها [2]:

قــد انَ للــسيف ألا يفــضل القلــما مــذ ســخرا لفتــى حــاز العــلى بهــما

وكان القلم رمزا للكُتّاب وأهل العلم من الوزراء، والسيف رمز للجيش والقادة العسكريين، ومن حرص الأندلسيين على مدنهم فإنهم فاضلوا بينها، وروي [3] أن بعض أهل المرية مروا على واد اشبيلية واحدهم يغني فأخرجت جارية رأسها وعرفت أنهم من المرية وقالت((وما أعجبك في بلدك حتى تفضله على وادي اشبيلية؟)) ثم فاضلت بين المرية واشبيلية نثرا واستشهدت في الختام بقول ابن فرج الألبيري –السميسر– في المرية:

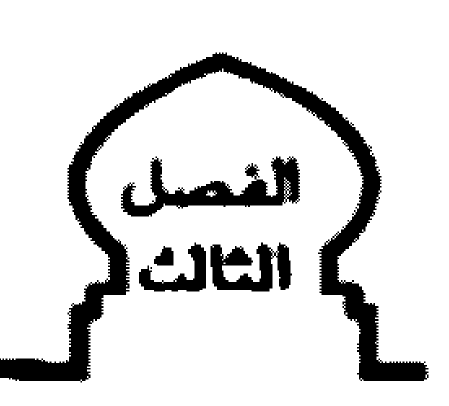
بــــئس دار المريــــة اليــــوم دارا لــــيس فيهــــا لــــساكن مــــا يحــــب
بلــــده لا تمــــار الا بــــريح ربــــما قــــد تهــــب اولا لا تهــــب

---

(1) نفسه 1/ 1: 442.

(2) نفسه 1/ 1: 528.

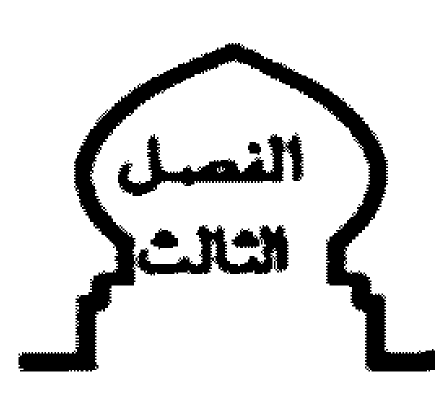
(3) النفح 3/ 390.



واشتهر الشاعران ابن حزم وأبو الوليد الباجي بكثرة المناظرات بينهما نثرا ولطرافة حديثهما حول العلم مع الفقر أو الغنى وأيهما أفضل أوردنا نصها [1] ((قال الباجي: انا أعظم منك همة في طلب العلم، لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا اسهر بقنديل بائت السوق، فقال ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك، لأنك إنما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي وأنا طلبته إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة))

---

(1) النفح 2/ 77.



المبحث الثالث
البناء العام للقصيدة

أـ البناء الشكلي:

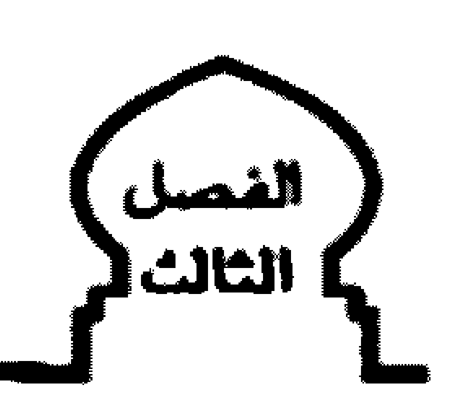
وهو الدعامة التي يستند إليها الشعر العربي ويحفظ كيانه وجماله ويعطيه الرونق والمظهر اللائق من خلال تمازج الألوان والأصوات وتنسيق الصور والنسيج اللغوي المسبك وعلاقة الألفاظ بعضها مع بعض ومع الهيكل العام بما يحفظ التناسق والائتلاف والموسيقى المنسجمة معها، وقد أدرك النقاد القدامى ذلك وكان جل دراستهم على شكل القصيدة، فقال ابن طباطبا[1]((أن الشعر كالسبيكة المفرغة والوشي المتمنم والعقد المنظم واللباس اللائق))وهذا يتوافق مع طبيعة الأندلسيين في حبهم للزخرفة والألوان والصور البديعة والبيانية المنسجمة مع جمال طبيعتهم الخلابة

القصائد والمقطعات:

تميز القرن الخامس للهجرة بوفرة النتاج الشعري وضخامته لتغلغله في مجالات الحياة كافة، واهتمام الناس به أفرادا وجماعات، فالحكام كانوا يحسون بواقع الجمال فيه ويتذوقونه عن معرفه ودراية، وهم بحاجه اليه لتمجيدهم وإضفاء الشرعية على حكمهم، والعامة تربت أذواقهم على الشعر، يرددون القصائد والمقطعات في مجالسهم، وفي احصائية لثلاثة دواوين لشعراء الأندلس تبين أن عدد المقطعات أكثر من القصائد وتزداد النسبة عند الشعراء المقلين الذين ليست لهم دواوين وكالاتي:

اسم الشاعر	عدد القصائد	عدد المقطعات	نسبة المقطعات
ابن رشيق القيرواني	13	201	٩، 93٪
ابن حمديس الصقلي	149	221	٧، 59٪
ابن خفاجة	105	143	٦، 57٪

(1) عيار الشعر/ 4.



ولحب الأندلسيين للبداهة والارتجال وخفه طباعهم، وكثرة الشعراء في كتب التراجم التي تحتوي على نماذج معدودة قصيرة لا شعارهم ولضياع كثير من دواوين الشعراء أو عدم وجودها في الأصل فان المقطعات تحتل القسم الأكبر

من الشعر الأندلسي ولا سيما عند الشعراء الملوك في حين تقل عند بعضهم كابن دراج القسطلي لاقتصار معظم قصائده على المديح، وتزداد النسبة إذا قورنت بعدد الأبيات، حيث احتفظت قصائد المديح بطول النفس وعدد الأبيات وتعدد الموضوع خاصة عند الشعراء البارزين كابن دراج وابن زيدون وابن اللبانة وابن حمديس وابن خفاجة الذي له قصيده مدحية في احد أمراء المرابطين يبلغ عدد أبياتها تسعا وتسعين بيتا اختص معظمها في وصف الطبيعة ومطلعها [1]:

سمح الخيال على النوى بمزاز   والصبح يمسح عن جبين نهار

ونشتمل هذه القصائد على وصف المعارك الحربية مثل معركة الزلاقة التي قام الشعراء بوصفها ضمن قصائد المديح في المعتمد ويوسف بن تاشفين. كما إن قصائد الآداب والصحبة والدفاع عن الإسلام والمعتقد جاءت طويلة لتتسع تجارب الشعراء وأفكارهم والظروف الآنية للقصيدة ولنا في ذلك قصيدتان منسوبتان لابن حزم احداهما في ثمانين بيتا في إثبات حدوث العالم وصحة نبوة الرسول الأعظم فيها نزعة فلسفية أولها [2]:

لك الحمد يا رب والشكر   لك الحمد ما باح بالشكر فم

والثانية في مائة وستة وثلاثين بيتا في الرد على كاتب مرتد مطلعها [3]:

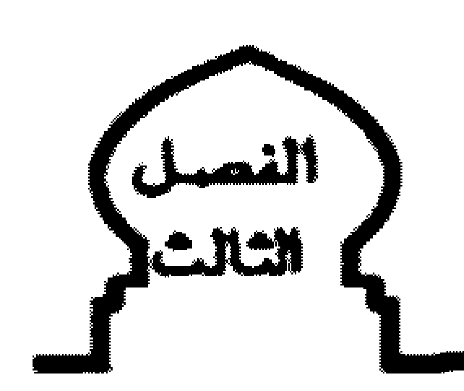
من المحتمي لله رب العوالم   ودين رسول الله من ال هاشم

---

(1) ديوان ابن خفاجة/ 33.

(2) تاريخ الأدب الأندلس / 1: 370-374 الملحق.

(3) نفسه 1: 375 الملحق.



وان قصائد الرثاء التي كانت تبتدئ بالحكمة ووصف الدهر والزمان وفلسفة الحياة والموت والبقاء والفناء من القصائد التي حافظت على أطوالها ومن بينها قصائد زوال الملك ورثاء المدن التي سلكت الاتجاه نفسه.

أما شعر الغزل فيتوزع بين الطول والقصر والمقطعات، وان القصائد المتضمنة لمعاني الهوى وتعذيب النفس وقصص الغزل المكشوف تكون طويلة نسبيا في حين القصائد الخاصة بالغزل الحسي والغزل بالغلمان يغلب عليها القصر مع وجود مقطعات في الغزل الحسي العابر.

أما المقطعات فإنها تتوزع على وصف عناصر الطبيعة ومظاهرها، وعلى إشعار في الزهد والحكمة والأخلاق السامية، والدعوة الى العلم وآدابه، وفي مظاهر الفساد الاجتماعي وهجائه.

المطالع:

وهي أوائل القصائد،وقد عرفها ابن رشيق بأوائل الوصول في القصائد المدحية وحسن الفواتح في القصائد الأخرى وقال [1]: ((فان الشعر قفل أوله مفتاحه وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره فانه أول ما يقرع سمعه وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة)) وفصل ابن الأثير (637 هـ)في حده بقوله [2]:(... فإذا كان مديحا صرفا لا يختص بحادثة من الحوادث فهو مخير بين أن يفتتحها آو لا بغزل... أما إذا كان القصيد في حادثة من الحوادث كفتح معقل آو هزيمة جيش آو غير ذلك، فانه لا ينبغي يبدأ فيها بغزل فان الإسماع تكون متطلعة الى ما يقال في تلك الحوادث)) وجرت العادة بذكر ما قطع من المفاوز وما لاقى من المصاعب وأهوال الليل والسير والرحيل وطول النهار والهجير وقلة الماء ليوجب له القصد ويستحق التكريم، ولسرعة تنقل العرب قديما بحثا عن الكلأ والماء كانوا يقفون على الأطلال ويذكرون الديار، وأصبحت هذه من سنن العرب في المديح، وقد أضاف ابن دراج الى تلك المعاني مواقف الوداع وفراق الأهل وما يتصل بها من تعلق بالأسرة وتشبث الأولاد بابيهم في إبراز غرض

---

(1) العمدة/ 1: 215-218.

(2) المثل السائر/ 3: 96.

فرعي بم يمكن تسميته بالشعر الأسري الذي تكرر في عشرين موضعا في ديوانه [1] كما انه أضاف وصف الأسفار بحرا الى مطالعه لما في البحر من الخطورة، كقوله في منذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة [2] :

وكم عجزت عنا ذوات قوائم — فعجنا بعوج ما لهن قوائم

جآجئ غربان تطير لنا بها — على مثل أطواد الفيافي نعائم

ولها من أعاصير الشمال إذا هوت — خواف ومن عصف الجنوب قوادم

وقد التزم معظم الشعراء بما هو مقنن، وتخلصوا من المقدمات الغزلية في الحوادث الجسيمة كقصيدة ابن خفاجة في مدح احد الأمراء المرابطين بعد تحرير مدينته [3] :

الآن سح غمام النصر فانهملا — وقام صَغو عمود الدين فاعتدلا

في حين وقف بعضهم على الأطلال على طريقة القدامى في القصائد المدحيه الاعتيادية كقصيده ابن شهيد التي مطلعها [4]:

منازلهم تبكي إليك عفاءها — سقتها الثريا بالغري نِحاءها

ألثت عليها المعصرات بقطرها — وجرت بها هوج الرياح ملاءها

وقصيده لابن خفاجة في ابراهيم بن تاشفين، افتتحها بالغزل وذكر أسماء أماكن وردت في الموروث العربي بقوله [5]:

---

(1) ينظر الأدب الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة/ 153.

(2) ديوان ابن دراج/ 130.

(3) ديوان ابن خفاجة/ 208.

(4) ديوان ابن شهيد / 82.

(5) ديوان ابن خفاجة/ 106.

قـــل لمـــسرى الـــريح مـــن إضـــم   وليالينــــــا بـــــــذي َســـــــلم

ولانتعاش الطبيعة في نفوسهم فإنهم كثيرا ما افتتحوا قصائدهم بوصف الطبيعة حتى في الظروف الحالكة كقصيدة ابن زيدون في السجن في مدح ابن جهور [(1)]:

الهـــوى في طلـــوع تلـــك النجـــوم   والمنـــــى في هبـــوب ذاك النـــسيم

ولشغفهم في الزهور وصفوا أنواعها وجعلوها كتيجان ترصع بها رؤوس قصائدهم، كقصيدة أبي عامر بن مسلمة في مدح القاضي ابن عباد [(2)]:

وروضــــــــة مــــــــشرقة   بكـــــــل َنـــــــور مجتنـــــــى

فيهـــــا بهـــــار بـــــاهر   ونـــــرجس يـــــشكو الـــــضنى

وياســـــمين أرضـــــه   وَنـــــــــوره تلونــــــــا

ومنهم من مزج بين الطبيعة والخمرة في توظيف مطلعي لقصائد المديح لإضفاء البهجة والانشراح كقصيده ابن عمار في المعتمد [(3)]:

ادر الزجاجـــه فالنـــسيم قـــد انـــبرى   والـــنجم قـــد صرف العنـــان عـــن الـــسرى

والـــصبح قـــد اهـــدى لنـــا كـــافوره   لمـــــا اســـــترد الليـــــل منـــــا العنـــــبرا

ومن المطالع الأخرى التي وجدت في الشعر الأندلسي، وصف الزيارات الليلة،حيث يغامر الشاعر بزيارة خليلته ليلا بعيدا عن عيون المراقبين متخطيا بذلك الأعراف والقوانين متبعا فيها أسلوب الحكاية في سرد هذه الوقعة، ولابن حزم قصيده يصف في مطلعها مغامرته ليلا منها [(4)]:

---

(1) ديوان ابن زيدون / 123.

(2) البديع في وصف الربيع/ 38.

(3) الذخيرة 2/ 1: 382.

(4) نفسه 1/ 1: 177.

ومـــا ظبيـــة أدمـــاء تعـــروا أراكهـــا وتعطـــوا وقـــد وافى بريـــر وعلـــف

باحـــسن منهـــا يـــوم ريعـــت لـــزورتي فراغـــت الى أترابهـــا تتـــشوف

وقالـــت:أمـــا تثنيـــك رقبـــة حـــارس وأنيـــاب ليـــث في العرينـــة تـــصرف

ولأبي مروان بن سراح قصيده مشابهة في مدح المظفر بن جهور[1]، ومن المطالع الطريفة [2] ما لفقه الشاعر محمد بن مسعود من قصيده مبنية عـلى الاحتيـال وتلفيـق المـبررات في انـه تعرض لمحاولة سرقة في طريقه الى الممدوح ووصف حكايته مـع اللـص، ومـع زوجتـه التـي صرخت بوجهه طالبة منه الفواكه والطعام وإلا لن تفتح له الباب إن عاد خاليا وهـي قـصيده طويلة في المستعين بالله منها:

يـــا ابـــن خـــير الملـــوك والخلفـــاء واجـــــل الـــــولاة والأمـــــراء

قـــبض الله لي مـــن ابنـــا أبي الـــر يـــش غلـــيظ الفـــؤاد ذا كبريـــاء

وقوله:

قـــال لي:قرطبـــي أنـــت تحيـــل ت وراقبـــت غفلـــة الرقبـــاء

مـــا أنـــا- يـــا فـــديتكم – قرطبـــي قـــال: دع ذا فلـــيس حـــين انـــتهاء

هـــات ذاك النطـــاق واخلـــص وإلا لم تقلـــب عينيـــك نحـــو الـــسماء

وأراد العـــدو ذبحـــي ولكـــن حـــاط ذو العـــرش صـــبيتي ونـــسائي

فعـــلاني بالهنـــدواني حتـــى أســـ ود ظهـــري وســـأل منـــي دمـــائي

(1) القلائد/ 217.

(2) الذخيرة 1/ 1: 558 -560.

إنها تتوزع بين مقامات وشعر الكدية اللتين انتشرتا في المشرق العربي، والمطلع أشبه باقصوصة شعرية مبنية على الفكاهة بأسلوب سهل بعيد عن المحسنات اللفظية.

ولحب الحياة وكثره تفكير الشاعر بالشيب في حالة ظهوره فان بعضا منهم قد ابتدأ قصيدته المدحية بالشكوى من الشيب والكبر، كالشاعر حسان بن المصيصي الذي يظهر زهده في النساء ويشكو الشيب والكبر وهو في مجال مدح المعتمد [1]

روض الشباب تناوبت أزهاره ولي بنفسجه وجاء بهاره

ود المها لو أن اسود لحظه أضحى خضابا حين شاب عذاره

قد كان يعجبهن خفة حلمه فالآن ساء الغانيات وقاره

ثم يخلص بعدها الى المدح بقوله:

هو اعرف الكرماء أن سميتهم جهلوا ودل على اسمه إضماره

أما أحسن الفواتح في الأغراض الأخرى فإنها كانت تختلف من قصيده الى أخرى تبعا للظروف المتعلقة بها، ومنها:

المطالع الفلسفية التي تأتي غالبا في قصائد الرثاء، كقصيده عبد الجليل بن وهبون في رثاء أستاذه الأعلم الشنتمري، ومطلعها حول مشكلة الحياة والموت منها [2]:

سبق الفناء فما يدوم بقاء تفنى النجوم وتسقط البيضاء

وأبو طالب عبد الجبار استهل أرجوزته التاريخية بمطلع فلسفي يتضمن أدلة عن المعرفة والاستدلال على الصانع تعالى من الصنعة مطلعها [3]:

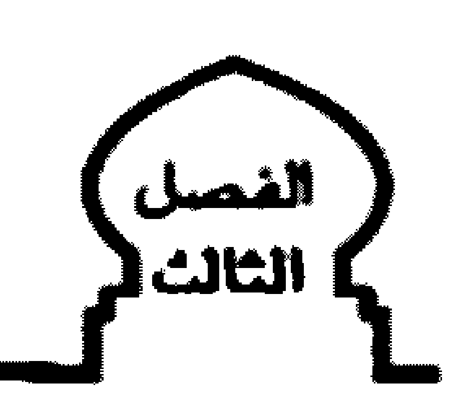
والجسم ليس فاعلا في الجسم قال بهذا القول أهل العلم

---

(1) نفسه 2/ 1: 449 – 450.

(2) الذخيرة 2/ 1: 478.

(3) نفسه 1/ 2/ 922.



والمطالع الحكمية ووصف الدهر والزمان التي تأتي غالبا في مقدمات قصائد الرثاء بأنواعها المختلفة، كرائية عبد المجيد بن عبدون في رثاء دولة بني الأفطس المتكونة من خمسة وسبعين بيتا برواية المعجب التي مطلعها [1]

الدهر يفجع بعد العين بالأثر   فما البكاء على الأشباح والصور

وتتكون من أربعه أقسام، الأول في رثاء بني الأفطس والقسم الثاني في سلسلة الأمم والحضارات الغابرة والقسم الثالث في رثاء بني الأفطس مبينا فضائلهم ومآثرهم وحزنه على زوال ملكهم ومختتما القصيدة في القسم الأخير في التعزية ومواساة النفس، كما اشتهر الأندلسيون بمطالع تذكرية بالرجوع الى ماضيهم المشرق ومقابلته بحاضرهم المؤلم تنفيسا لما يعانونه وتمجيدا بأعمالهم السالفة، وقد تكررت هذه المطالع عند المعتمد بن عباد وشعرائه في رثاء مملكته، منها قصيدته عند زيارة بناته له يوم العيد وهو مقيد بالأغلال متذكرا يوم الطين المشهور عند بني عباد [2].

حسن التخلص:

هو الانتقال من غرض الى أخر في قصيدة متعددة الموضوعات بحسن وتلطف كما قال ابن رشيق [3]:((إن تخرج من نسيب الى مدح أو غيره بلطف تحيل، ثم تتمادى فيما خرجت اليه)) وقد سماه بالخروج في حين سمى ((ما تخلص فيه الشاعر من معنى الى معنى،ثم عاد الى الأول واخذ في غيره،ثم رجع الى ما كان فيه)) [4] تخلصا بالانتقال من غرض الى أخر في وسط الغرض الرئيس في ما يكمن تسميته بالإقحام والعبرة في حسن اتصال الأغراض مع بعضها من دون فصل أو عوق أسلوبا ومعنى من غير طفر أو انقطاع، ونظرا لاتكاء الأندلسين على

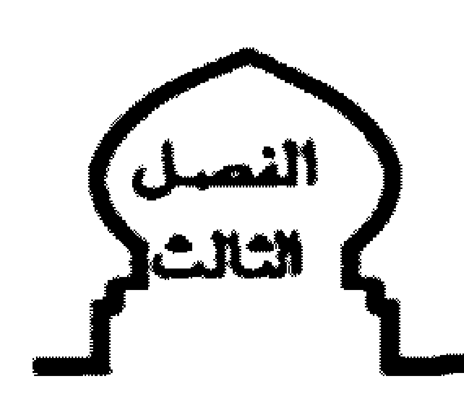
---

(1) المعجب / 128.

(2) ديوانه: 100-101.

(3) العمدة 1/ 234.

(4) نفسه 1/ 237.



الطبيعة في أغراضهم جميعا وكونها عاملا مشتركا بين أجزاء القصيدة فإنهم تميزوا بحسن التخلص والانتقال من غرض الى آخر بسهولة ولا سيما عند التيار الحديث المتميز بحرية اكبر ومناورة أوسع من خلال الألفاظ السهلة والمعاني غير الوعرة الى حد الجمع بين غرضين مختلفين في بيت واحد كما في قول أبي عبد الله محمد بن القزاز في الجمع بين النسيب والمديح في مدح ابن صمادح [1]:

نفى الحب عن مقلتي الكرى   كما قد نفى عن يدى العدم

فقد قر حبك في خاطري   كما قر في راحتيك الكرم

وبين الغزل ووصف الطبيعة كما في قول ابن زيدون [2]:

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا   والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا

وقد حاول الشعراء التمهيد الى الغرض الأخر بأسلوب سلس متدفق بدون وقفات أو تناقضات في المعاني كقول ابن زيدون في مدح ابن جهور الذي مهد لقصيدته ببيان قدرة الله في جور الدهر [3]:

لله فينا علم غيب وحسبنا   به عند جور الدهر من حكم عدل

وان رجائي في الهمام ابن جهور   لمستحكم الأسباب مستحصد الحبل

كريم عريق في الكرام وقلما   يري الفرع إلا مستمدا من الأصل

وقد سلك الشعراء في ذلك أساليب عدة منها تخلص الشاعر أبي الوليد الحميري من وصف الطبيعة الى المديح باستعمال أداة التشبيه في إبقاء وجه الشبه في صورتين متشابهتين في الغرضين كقوله [1]:

---

(1) النفح 4/ 103.

(2) ديوان ابن زيدون / 139.

(3) نفسه / 261.

كـــــأنما النهـــــر أفـــــق ال	ســـــماء عـــــائق أرضـــــه
وقـــــد كـــــسا عدوتيـــــه	بحومـــــه الزهـــــر مخـــــضه
كـــــما ابـــــن عبـــــاد النـــــد	ب قـــــد كـــــسا الـــــصون عرضـــــه

او قول ابن عمار في توظيف مقتدر لمزج الطبيعة بالخمرة والانتقال الى الممدوح[2]

روض كـــأن النهـــر فيـــه معـــصم	صـــاف اطـــل رداء اخـــضرا
وتهـــزه ريـــح الـــصبا فتظنـــه	ســـيف ابـــن عبـــاد يبـــدد عـــسكرا
عبـــاد المخـــضر نائـــل كفـــه	والجـــو قـــد لـــبس الـــرداء الاغـــبرا

ولجأ معظم الشعراء الى بيت وسط للربط بين الغرضين كميمية ابن زيدون الذي تغزل ثم تخلص الى مدح ممدوحه قائلا[3]:

ومالـــت علينـــا غـــصون الهـــوى	فأجنـــت ثـــمار المنـــى مـــن امـــم
وأيامنـــا مـــذهبات الـــبرود	رقـــاق الحـــواشي صـــوافي الأدم
كـــان أبـــا بكـــر المـــسلمي	اجـــرى عليهـــا فرنـــد الكـــرم

ومنهم من عرض الغرضين كلوحتين مستقلتين ضمن إطار قصة واحدة كابن دراج الذي وصف ما آل اليه حال أولاده من عسر وضيق في خمسة وثلاثين بيتا ثم ربطها بالممدوح بقوله[4]:

---

(1) الذخيرة 2/ 1: 203.

(2) نفسه 2/ 1: 382.

(3) ديوان ابن ويدون / 485.

(4) ديوان ابن دراج: 276-280.

رمت بهم الحوادث نحو مولى حواها الرق منه الولاء

الخواتم:

وسماها صاحب العمدة بالانتهاء ((قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الإسماع وسبيله أن يكون محكما، لاتمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه وإذا كان أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون الاخر قفلا عليه))[1]،وان تتناسب مع موضوع القصيدة والظروف المحيطة بها والحالة النفسية للمتلقي، وتكون موجزة قصيرة دالة على موضوع القصيدة أو مؤكدة له،لذلك تتضمن في الغالب حكما وامثالا أو تضمينا مركزا أو خلاصة للرأي،وتختتم القصائد المدحية بالدعاء للملوك الذين يرغبونه[2]، وقد سار معظم شعراء الأندلس على هذا المنهج عن دراية، لان الموضوع مقنن عند معظم النقاد[3] فالقصائد المدحية تختتم بنهايات فرحة دالة على السمو والارتفاع مع تأكيد أو إشارة الى المغزى الحقيقي للقصيدة، فابن خفاجة الذي مدح احد الأمراء المرابطين كان يأمل الدعم والمساندة منه في خاتمة قوله [4]:

وإذا حنوت ولا سلوت فإنما أنت القريب وان شحطت ديارا

أما القصائد الغزلية لتجربة غير موفقة فان خواتمها في الغالب تنتهي بحكم أو أمثال أو اشارات لحوادث مماثلة بأسلوب تبدو فيه المرارة كقول ابن خفاجة[5]:

ويا ليتني كنت ابن عشر وأربع فلم ادعها بنتا ولم تدعني عما

والقصائد الغزلية المتعلقة بتجربة مستمرة فإنها في الغالب تكون مقطوعة مبتورة بدون خاتمة لتعلق الشاعر بها كقول ابن حميدس في فتاة [1]:

---

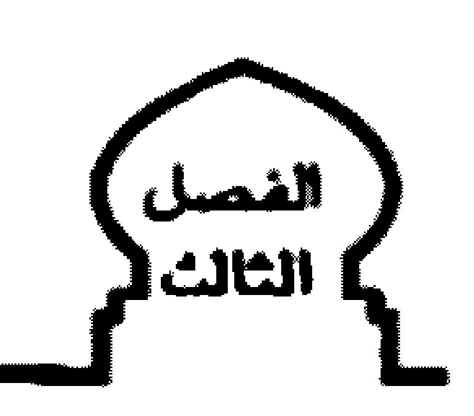
(1) العمدة 1: 239.

(2) الصناعتين/ 443.

(3) منهاج البلغاء / 306.

(4) ديوان ابن خفاجة/ 145.

(5) نفسه / 81.



بأطيـــب مـــن فمهـــا ريقـــة　　　إذا بـــرد الـــدر فـــوق النحـــور

أو تضمين الود والسلام لها كقول ابن زيدون في خاتمة له [2]:

عليـك منـي سـلام الله مـا بقيـت　　　صـبابة بـك تخفيهـا فتخفيهـا

أما الرثاء فكانت قصائده عموما تنتهي بالحكم والأمثال أو الدعاء بالرحمة والغفران أو تكرار الأسف والحزن كقول ابن رشيق القيرواني [3]:

فهـل يـزول حـداد الليـل عـن أفـق　　　وهـل يكـون لـصبح بعـده ضـحك

اللغة والأسلوب (النسيج اللغوي)

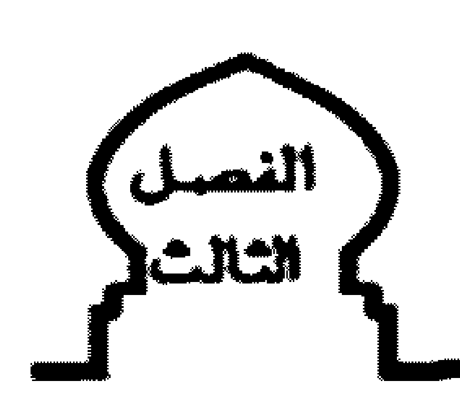
القصيدة هيكل متكامل تلعب فيها اللغة الدور المباشر في عملية الإبداع الفني للتجربة الشعرية، لأنها الاداه التعبيرية التي بها يفصح الشاعر عما يشعر به ويحسه ويعطي الجمالية والحيوية للنسيج المتكون من الألفاظ وتراكيب ذات مدلولات معنوية، مرتبطة بانفعالات الشاعر وشعوره الداخلي وطبعه والظروف المحيطة به،فضلا عن قدرته الفنية التي تظهر من خلال انتقاء اللفظة المناسبة، ووضعها في بيئتها المنسجمة والمؤتلفة مع ما يحيط بها من ألفاظ وأصوات ممتزجة مع معانيها،لذلك اختلفت اللفظة من موقع الى آخر،من حيث أبعادها النفسية وظلالها الموحية ودلالاتها المعنوية،فاللفظة هي نفسها موجودة في المعجم العربي يمنحها الشاعر القوه والحيوية من خلال امتزاجها بروحه وشعوره الباطني،وقد أدرك النقاد القدامى ذلك،منهم الجاحظ (255هـ)الذي قال:إن العبرة باللفظ وان المعاني مطروحة في الطريق، في رد فعل على الحالة الثقافية التي كانت سائدة في القرن الثالث للهجرة في موضوع الاختلاف على سبل إعجاز القران الكريم وقد تابعه في ذلك أبو هلال العسكري بقوله((وإنما

---

(1) ديوان ابن حمديس/ 179.

(2) ديوان ابن زيدون / 141.

(3) ديوان ابن رشيق/ 139.



هو في جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه ونزاهته ونقائه،وكثرة طلاوته ومائه،مع صحة السبك والتركيب)) [1] وهذا ما استند إليه عبد القاهر الجرجاني (471 هـ)في نظرية النظم.

وقد آمن الأندلسيون بذلك،فابن شهيد قال [2]:((إن للحروف أنسابا وقرابات تبدو في الكلمات،فإذا جاور النسيب النسيب،ومازج القريب القريب طابت الألفة وحسنت الصحبة،وإذا ركبت صور الكلام من تلك حسنت المناظر))

وفي وصفهم لشاعرية أهل الأندلس قالوا [3]:((تدفقوا فانسوا البحور...وذهب كلامهم بين رقة الهواء وجزالة الصخرة الصماء)) كما قال شاعرهم عبد الجليل بن وهبون [4]:

رقيق كما غنت حمامة أيكة وجزل كما شق الهواء عقاب

وهذا يشير الى وجود تيارين يسيران جنبا الى جنب، احدهما محافظ والثاني حديث فالاتجاه المحافظ((يرجع الى الاستقراطية العربية المعتزة بأصلها،مكبرة لها،تحافظ على مثلها الشرقية وتنقل الى المغرب كل شئ من عاداتها القديمة حتى عصبيتها القبلية)) [5] ومنها لغتها ومفردات ألفاظها ((فقد كان هذا العصر كبيرا ومن اكبر العصور التي ازدهر فيها الشعر الكلاسيكي)) [6] وكان لانتشار الدواوين الشعرية القديمة والصراع بين المسلمين والمسيحيين اثر في إقبال الأندلسيين على هذا الاتجاه والتمسك بالقديم والعيش في أجوائه يقول في ذلك ابن شهيد [7]:

---

(1) الصناعتين/ 58.

(2) الذخيرة1/ 1: 233-234.

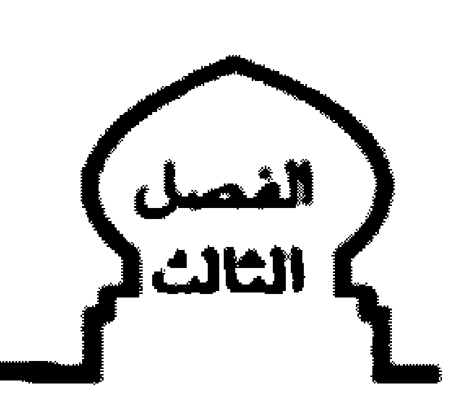
(3) نفسه 1/ 1: 14.

(4) نفسه.

(5) سلسلة محاضرات عامة في الأدب الأندلسي وتاريخها/ 5.

(6) سلسلة محاضرات عامة في الدب الأندلسي وتاريخها/ 14.

(7) ديوان ابن شهيد / 142.



وما طاب في هذي البرية آخر   إذا هو لم ينجد بطيب الأوائل

وان الطبقة الحاكمة كانت محافظه على تراثها القديم ثقافيا،وان قصائد كثيرة كانت تنظم من اجلهم وما يسد حاجتهم النفسية والفكرية والثقافية وكانوا أصحاب ذوق وخبرة ودراية بفنون الشعر، كما أن طرائق التعليم التي كانت سائدة في تلك في تلك الفترة التي تعلم الأولاد القران الكريم والحديث ونماذج عاليه من الشعر العربي القديم كان لها أثرها في غرس هذا الاتجاه،وساعدها في ذلك طبيعة الأندلسيين المحبة للتقليد التي أصبحت شخصية بحد ذاتها وقد غلب هذا الاتجاه على اغلب قصائد المديح وعلى كثير من قصائد الرثاء،واتسم هذا التيار بجزالة الألفاظ وجلجلة العبارة،والبعد عن الوضوح والتقريرية والمحافظة على نهج القصيدة العربية وهيكلها الخارجي والاستعانة بالبحور الطويلة ذات التفاعيل الكثيرة،وذكر الأجواء العربية القديمة،فضلا عن اقتباس جمل وعبارات من الموروث العربي القديم،كقول ابن حزم الأندلسي في وصف غزارة دمعه واستعانته بأقوال طرفة بن العبد في عجز أبياته [1]

تذكرت ودا للحبيب كأنه   لخولة اطلال ببرقة ثمهد

وعهدي بعهد كان لي منه ثابت   يلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

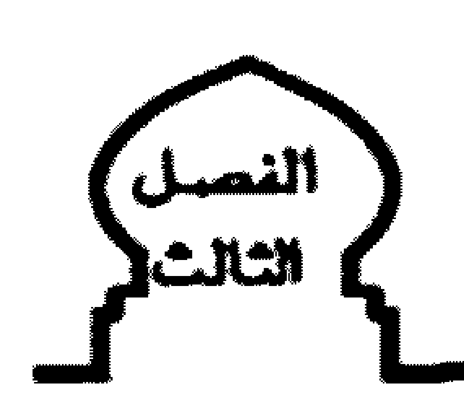
وقفت به،لا موقفاً برجوعه   ولا آيساً ابكي وابكي الى الغد

أما التيار الحديث،فإذا كان الشعراء يستلهمون من الموروث القديم فإنهم في الوقت نفسه كانوا يتخذون شعر المحدثين منارا لهم يقلدونه ويتابعون تطوراته ويلقبون اعلام شعرائهم بأسمائهم،فأبن زيدون لقب بالبحتري،وابن خفاجة بالصنوبري الأندلسي،وابن وهبون بابي نواس،والمعتمد ووزيره ابن عمار شبها بالرشيد ووزيره جعفر البرمكي،والأعمى التطيلي بالمعري... [2] وكانت قصائدهم تلقى عند الاندلسيين القبول والإعجاب لملاءمتها

---

(1) طوق الحمامة / 149 -150.

(2) الأدب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة/ 273.



لبيئتهم وحضارتهم ونمط حياتهم فضلا عن ذلك أن الحياة اللاهية والمدنية الرقيقة قد أوجبت نوعاً من الشعر ينسجم مع تلك الظروف ومع طبيعة الأندلس الجميلة،وطبعهم المتسم بالخفة والرقة وحبهم للسهولة والكلام السلس والموسيقى الهادئة وعدم الغوص في المعاني،خاصة بعدأن برزت الشخصية الأندلسية في القرن الخامس للهجرة وأصبحت لها سماتها الخاصة بها.

لذلك غلب على هذا التيار الأسلوب الرقيق، والألفاظ السهلة والبساطة وكثرة الصور المستمدة من البيئة الطبيعية المزخرفة بألوانها، والابتعاد عن الكلمات الموحشة، والميل الى الأوزان الخفيفة والشعر المطبوع،فتميزوا بكثرة المقطعات والتعبير عن واقعهم الجديد، فكثر عندهم شعرالطبيعة والغزل الرقيق والدعابة والفكاهة والمقطعات المزدحمة بالصور وبألفاظ مستوحاة من الطبيعة ذات دلالات جمالية وإيحائية خاصة، وان التيارين لم يكونا بالقوة نفسها عند الشعراء جميعا فتفاوت الالتزام بهما بين شاعر وآخر، وبين قصيدة وأخرى للشاعر نفسه تبعا لنفسيته وصدقه الفني ومراحل عمره، فابن اللبانة الداني كان شعره ((يمتاز بسهولة المآخذ وبساطة المعنى، وسلاسةالعبارة، ورقة اللفظ، والبعد عن التكلف والتعقيد)) [1] وهو القائل:

من كان ينفق من سواد كتابه   فانا الذي من نور قلبي انفق[2]

((أما بعد انتقاله الى ميروقا بعد سقوط دولتهم وزوال حكمهم فانه تغير اجتماعيا كما تغير فنيا وتحول الى شاعر يجنح من الطبع الى التصنع)) [3]

وإن التيار الحديث أصبح أكثر وضوحا واتساعا بعد أن أصبحت بلاطات الملوك منتديات أدبية تعكس مظاهر الحياة السياسية والطبيعية والاجتماعية والثقافية، وكانت اللغة بعناصرها المختلفة لها نصيب من التغيير من خلال الاقتباس والتوليد واستعمال الفاظ لم يكن

---

(1) شعر ابن اللبانة الداني : 6-7.

(2) نفسه: 41.

(3) نفسه:7.

لها عهد في الشعر، أو بدلالات جديدة أو الإكثار منها، كألفاظ الطبيعة التي أكثر الشعراء من استعمالها بحيث تحول شعرهم في وصف الطبيعة الى حدائق زاهية مزدحمة بالزهور والرياحين والأشجار، وأصبحت عناصر الطبيعة مثل الغروب والشروق والفجر والبرق والمطر والثلج والزهر والماء والجداول والظل...ألفاظا متناثرة في الأغراض الشعرية جميعا.كقول ابن اللبانة الداني في صاحب ميروقة وقد طاف به الم [1]:

شكا لشكواك حتى الشمس والقمر وبات در الدراري الزهر ينتشر

وكان للدين الاسلامي أثره الكبير في اختيار ألفاظ وتراكيب ذات دلالات دينية،أو تضمين آيات قرآنية،وأحاديث نبوية،كقول ابن دراج القسطلي في منذر بن يحيى التجيبي [2]:

وجنحت للسلم التي جنحوا لها[3] وقضاء ربك في العباد خيار

او قول ابن فرج الالبيري ـ السميسر [4]:

سكنتم يا ريح عاد وكل ريح إلى سكون

مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ ﴾ [5]. أو ألفاظ فقهية متعلقة بالدين كقول ابن شهيد [6]:-

سعت بابنها تبتغي منزلا لوصل التبتل والانقطاع

---

(1) نفسه:47

(2) ديوان ابن دراج/ 127.

(3) الانفال/ 61.

(4) النفح : 4: 184.

(5) الحاقة/ 6.

(6) الذخيرة 1/ 1: 264.

فالتبتل والانقطاع متعلقان بالعبادات، كما كثرت الألقاب السلطانية من الأمير، والوزير، والمقتدر،المرتضى ورفيع الدولة،.......

كقول أبي عبد الله بن حداد [1]:-

لزمت قناعتي وقعدت عنهم فلست أرى الوزير ولا الأميرا

وألفاظ لها علاقة بالصراعات السياسية، وكثرة المؤامرات،مثل: الطعن والغدر والخيانة والعداوة والوشاية والحسد والقتل والأسر والسلب والنهب والخضوع والسجن،والدمار والموت والرعب والفتح والجود والفرار والفساد كقول ابن شهيد [2]:-

ويصرف للكون مافي يديه وما الكون إلا نذير الفساد

ونظرا لكثرة الحروب والسجال واضطراب الأحوال السياسية،كثر استعمال ألفاظ ذات دلالات عسكرية كالسيف والرمح والقنا والجيش والطليعة....مثل ما رواه المظفر صاحب بطليموس في قوله [3]:-

أقرأت منه ما تخط يد الوغى والبيض تشكل والأسنة تنقط

واستعملوا ألفاظا ومصطلحات فلسفية على الرغم من ابتعادهم عن هذا المنحى كقول الوزير أبي العلاء زهر عبد الملك بن زهر الأيادي [4]:

امنن ولو بخيال منك يؤنسني فقد يسد مسد الجوهر العرض

فالجوهر والعرض مصطلحان فلسفيان

وألفاظ تدل على تطور الحياة الحضرية كأنواع الحلي والقصور والبرك والتماثيل والملابس والأثاث واللعب وأدوات الزينة والمصابيح..... مثل قول ابن رشيق في الثريا [1].

---

(1) نفسه 1/ 2: 692.

(2) نفسه 1/ 1: 245.

(3)النفح 4: 466.

(4) الذخيرة 2/ 1: 231.

يا حبذا من بنات الشمس سائله   على جوانبها تهفو المصابيح

وألفاظ متعلقة بالعلوم الإنسانية مثل النحو في قول أبي عبيدة البكري [2].

وما زال هذا الدهر يلحن في الورى   فيرفع مجرورا ويخفض مبتدأ

ومن العروض في قول أبي عبد الله بن حداد في قصيدة مدحية [3]

أيها سقطت على الخبير بحالهم   عند العروض حقائق الأوزان

هم كالقريض وكسره من وزنه   يبدو من التحريك والإسكان

ومن التاريخ له[4] :-

يا من يضيف إليه حاتم طيء   مرعى ولكن ليس كالسعدان

أعطته أهواء القلوب سياسة   خفيت لطائفها على ساسان

وكان للعلوم التطبيقية مثل الهندسة والكيمياء والطب والفلك أثر في دخول ألفاظ علمية إلى لغة الشعر، كما في قول أبي عبد الله بن حداد في قصر ابن صمادح [5].

وكأن راسم خطه إقليدس   فحوائل الأشكال فيه فنون

من دائر ومكعب ومعين   ومحجم تقويسه التحجين

فهناك التضعيف والتثليث والتر   بيع والتسديس والتثمين

---

(1) ديوان ابن رشيق/ 53.

(2) الذخيرة 2/ 1: 238.

(3) نفسه 1/ 2: 718.

(4) نفسه.

(5) النفح 5: 24.

وقول أبي العلاء المهدوي واستعماله لفظة مغناطيس[1]:-

وجميل صنعك في البلاد وأهلها   مغنطيس فيجذب قوته ثق

ولفظة كبريت،في قول ابن رشيق[2] :-

أشر بعود من الكبريت نحو فمي   وانظر إلى زفراتي كيف تلهبه

فضلا عن أسماء وأماكن لمواقع عسكرية ومعارك حربية وردت في بكثرة في القصائد تسلط الضوء على قسم من تاريخ الأندلس. كقول أبي عمر يوسف بن جعفر الباجي[3]:

ودار كما شئت القضاء مساعدا   فجاءت ولاءً غافقٌ والمدور

غافق والمدور حصنان استولى عليهما المعتمد .

أما أهم التقنيات الأسلوبية والتركيبات الفنية التي وجدت في الأدب الأندلسي في تلك الحقبة فهي:-

ا - كثرة الأمثال والحكم إلى درجة المبالغة والغلو والتكلف عند بعضهم كقول ابن رشيق الذي ثقل بيتاً واحداً بستة أمثال[4]:-

خذ العفو، وائب الضيم،واجتنب   واغضض تسد،وارفق تنل،واسخ تُحمد

وقول ابن مهران السر قسطي[5]:-

المال زين والحياة شهية   والجود يفقر والشجاعة تقتل

والبخل عيب والجبان مذمم   والقصد أحكم والتوسط أجمل

---

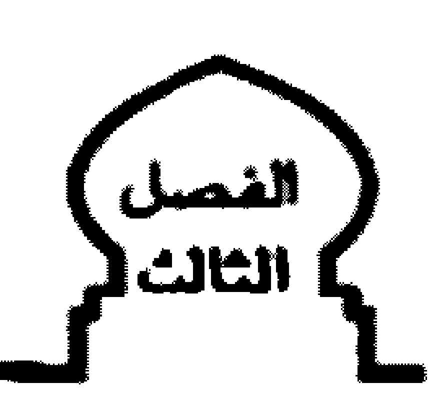
(1) الذخيرة 4/ 1: 362.

(2) ديوان ابن رشيق/ 33.

(3) الذخيرة 2/ 1: 197.

(4) ديوان ابن رشيق/ 65.

(5) النفح 3/ 567.



وقول أبي بكر بن الجزار السرقسطي في تضمين بيتيه بالحكم[1]

إيـــاك مـــن زلـــل اللـــسان فـــإنما ... عقـــل الفتـــى في لفظـــه المـــسموع

والمـــرء يختـــبر الإنـــاء بنقـــره ... لـــيرى الـــصحيح بـــه مـــن المـــصدوع

2- نظم المحلول: مثل قول أبي حفص الهوزني في حثه على الجهاد[2]:

فثبــوا واخــشوشنوا وأحزئلــوا ... كـــل مـــارزء ســـوى الـــدين قـــل

قوله ((فثبوا واخشوشنوا)) من قول عمر بن الخطاب (رض) ((اخشوشنوا واخشوشنوا وعليكم باللبسة المعدية))[3]:

3- التلاعب بالحروف كنوع من الرياضة الذهنية لبيان المقدرة الفنية في اهتمام مبالغ فيه بالشكل كقول الحصري الكفيف القيرواني (488هـ)[4]:-

مـــن طـــين طـــوبى خلقـــت فـــذاً ... فأنـــــت في ذا الـــــورى غريـــــب

بـــدلت النـــون فيـــك بـــــاءً ... فالنــــاس طـــين وأنـــت طيـــب

وقول ابن سارة الشنتريني[5]:

أرى الـــدينار للـــدنيا نـــسيباً ... يحيـــد عـــن الكـــرام كـــما تحـــيد

همـــا ســـيان إن صـــحفت حرفـــاً ... وجـــد ت الـــراء تـــنقص أو تزيـــد

---

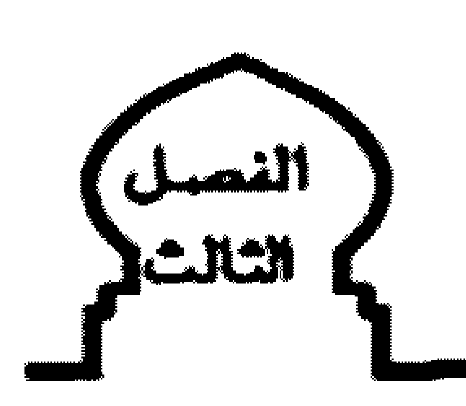
(1) نفسه 3/ 598.

(2) الذخيرة 2/ 1: 89-90.

(3) نفسه.

(4) نفسه 4/ 1: 253.

(5) نفسه 2/ 2/ 843.



4- **الحوار**: من الأساليب التي لجأ إليها الشعراء في قصائدهم لإضفاء الحركة وإبراز الأبعاد الشخصية والزمانية والمكانية وزيادة في عمق الواقع النفسي، كقول المعتمد في جاريته وداد [1] :-

قلـــت: متـــى ترحمنـــي   قـــال: ولا طـــول الأبـــد

وقول أبي العباس أحمد بن قاسم في قصيدة تبدأ بألفاظ قالت،قلت، مثل [2]:-

قالت: وقد نظرت شيبي فروَّعَها   إن المشيب لسود الشعر أكفان

فقلت: أنكرتِ كافور الزمان به   من بعد مسك وطيب الدهر ألوان

قالت: فأين من الكافور نفحته   قلت: انقضت وتبدى منه جثمان

وهي قصيدة في سبعة أبيات سارت على النهج في أعلاه،فيها محاورة بين الشاعر وامرأة تعيب عليه الشيب عن طريق المقابلة و الحجج.

ولأبي بكر البطليموسي [3] قصيدة تناوبيه خيالية يعتمد فيها على حوار في الفضل ابن المتوكل وأخيه العباس وأبيه المتوكل بعد أن قتلهم المرابطون ولم يدفنوا فمنحهم الحياة مرة أخرى في قصيدته وأجرى بينهم الحوار والحديث، ومما قاله أحدهم:

يا أخي قم تر النسيم عليلا   باكر الروض والمداوم شمولا

لا تنم واغتنم مسرة يوم   إن تحت التراب نوماً طويلاً

5 – **التكرار**: [4] ونعني به تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره [1] ويكون على أنماط مختلفة مثل تكرار الحروف

---

(1) النفح 4: 94، ديوانه: 7.

(2) الذخيرة 1/ 2: 914.

(3) الذخيرة 2/ 2: 773.

(4) ينظر كتاب قضايا الشعر المعاصر/ لنازك الملائكة في دلالات التكرار وأنواعه/ 260 وما بعدها.



أو الأصوات أو الكلمات التي لها دلالات خاصة ولا سيما التكرار الذي ينسجم مع المعنى العام أو ظرف القصيدة بمعان مختلفة، كقول المعتمد بن عباد وقد سجن بأغمات، وقالت له زوجته: يا سيدي لقد هنَا هنا فقال [2]:

قالت: هَنَا هُنا ... مولاي أين جاهنا

قلت لها: إلى هنا ... صيرنا إلهنا

((كذا وألا)) في أبيات قالها في ثورة ابنه عبد الجبار في اشبيلية على المرابطين وهو معتقل في أغمات [3]، أو تكرار في دلالات إيحائية وموسيقية مثل قول ابن خفاجة [4]

سلّم الغصن والكثيب علينا ... فعلى الغصن والكثيب السلام

فكرر كلمتي ((الغصن والكثيب)) في شطري البيت لإعطاء الهدوء والانسيابية بما ينسجم مع طبيعته الذي حاول من خلال التجانس الصوتي بين الكلمات والحروف دغدغة أذن المتلقي، أو من خلال الاعتماد على المماثلة الصوتية في خلق نوع من الموسيقى الداخلية كقوله [5] :

نادمتها ليلاً وقد طلعتْ به ... شمساً وقد رقّ الشراب سرابا

كرر حرفي السين والشين في عجز البيت.

---

(1) جرس الالفاظ ودلالاتها / 239.

(2) النفح 4: 212، ديوانه المعتمد: 114.

(3) النفح 4/ 220، ديوانه: 116.

(4) ديوان ابن خفاجة/ 62.

(5) نفسه / 280.

6- **الثنائيات التقابلية**: التي أعطت بعض القصائد الرونق والحيوية والخلود كنونية ابن زيدون التي مطلعها[1]:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ونـاب عن طيب لقيانا تجافينا

في المقابلة بين البعد والقرب وبين الوئام والتجافي.

فضلاً عن ذلك، إن الانسيابية التي اشتهر بها الأندلسيون ولدت عندهم نوعاً من الموسيقى الداخلية تضفي على البيت إيقاعاً صوتياً متميزاً يشد انتباه السامع وتحرك ذهنه إلى الدلالات المختلفة كالاستبدال الصوتي بين حرف وأخر منه قول ابن خفاجة[2]:

لاعب تلك الريح ذاك اللهب فعاد عين الجد ذاك اللعب

فالاستبدال الصوتي من الهاء إلى العين فضلاً عن التعادل الصوتي الذي تميز به البيت بين حرف الروى ونهاية الشطر الأول والذي تكرر كثيراً عند الشعراء كما عمدوا إلى موازنة ألفاظ في الصدر وموازنتها مع مثيلاتها في العجز كقول ابن حمديس[3]:

إلى متى منكم هجري وإقصائي ويلي وجدت أحبائي

في الموازنة بين هجري وأحبائي وبين اقصائي وأعدائي فضلاً عن الجناسات التي تكررت عندهم والتي تعد تماثلاً صوتياً داخل البيت الواحد.

7 -**القصص الشعرية**: مثل القصص الغرامية والخيالية وقصص مجالس الخمر وزيارة الحانات ودورة الحياة وذكر الحوادث وسرد الأخبار التاريخية......ويطغى عليه السرد والوضوح والبعد عن المحسنات البديعية والبيانية،وفي ذلك أمثلة كثيرة[4]

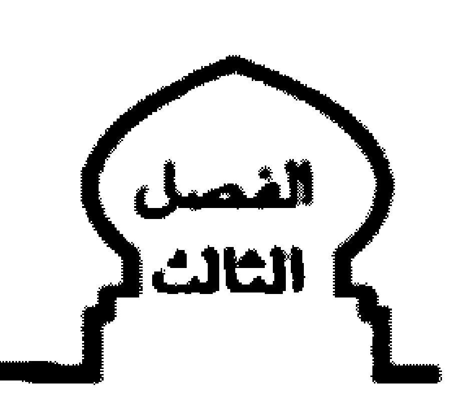
---

(1) ديوان ابن زيدون/ 141.

(2) ديوان ابن خفاجة/ 75.

(3) ديوان ابن حمديس/ 1.

(4) ينظر ملامح السرد القصصي في الشعر الأندلسي، انقاذ عطاء الله (رسالة دكتوراه/ الآدب بغداد1990.



منها قصيدة في ستة وعشرين بيتاً لأبي بكر محمد بن سوار الأشبوني يصف فيها كيفية أسره واعتقاله وما لحق به من سوء المعاملة مطلعها[1]:

وليلٍ كهمِّ العاشقين قميصه ركبت دياجيه ومركبها وعر

8- **نسق التناوب**: وهو مصطلح حديث النشأة،ظهر بشكل بارز في الروايات الحديثةأو في القصص الشعرية وأسلوبه قائم على سرد أجزاء من صورة أو مشهد معين ثم مقابلتها بأجزاء أو مشهد لحدث آخر في الزمان نفسه ومكان مختلف أو بالعكس، أو في قصة واحد مع اختلاف الزمان أو المكان من خلال التذكير أو الخيال فيما يسمى بالمونتاج. ولم يخل الأدب الأندلسي من هذا النوع من الشعر والذي يغلب عليه الوضوح والسهولة كقصيدة أبي الحسن عبد الكريم بن فضال القيرواني الملقب بالحلواني[2] يقابل بين عمل الخياط في ثوب وبين ما وصل إليه حاله وجسده من الشوق بنسق متناوب بين الصدر والعجز في كل بيت وتكراره في الأبيات الأخرى:

رب خياطٍ فتنت به فتنةً أفنت قوى جلدي

لاعب بالخيط يفتله أتراه ظنه من جسدي

ليت أني كنته فأرى بين ذاك الورد والبرد

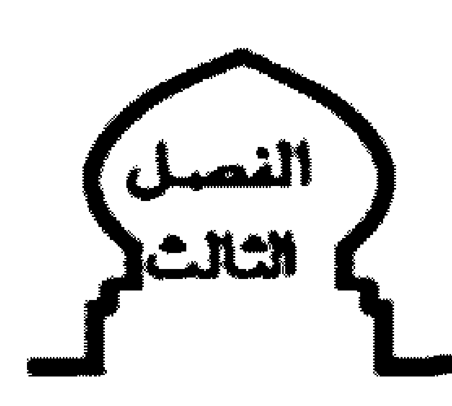
فعلت بالثوب إبرته فعل سهم الشوق في خلدي

وجرى المقراض في يده جرى عينيه على كبدي

---

(1) الذخيرة 2/ 2: 815.

(2) نفسه 4/ 1: 286.



الأخيلة والصور الشعرية:-

الخيال هو الملكة التي أنعم الله تعالى بها على البشر لتجسيد الأشياء وتصويرها والتعبير عنها بصور مختلفة،متجانسة مع الفكرة العامة والإحساس الذي ينتابهم،وقد تميز الموهوبون بجموح الخيال والقدرة على الابتكار والتأليف والتفسير بالاعتماد على ما اختزنته عقولهم من أفكار وإحساسات سابقة أو صور مستمدة من البيئة الطبيعية والاجتماعية في مزج فني بين المحاكاة التي نادى بها أرسطو [(1)] والإبداع والابتكار الذي يميز فنان عن آخر .وتطرق النقاد القدامى الى الخيال في مفهوم مغاير،وسموه بالتخيل أو الإيهام بالكذب في ربطه بالمبالغة والكذب[(2)]، متأثرا بما نادى بها أرسطو الذي ارجع الأمور جميعا الى العقل الفعال عن طريق المنطق والفلسفة[(3)].

أما الخيال عند الاندلسيين فإن التقليد والمحاكاة قد كبح جماحه، فجاءت معظم صورهم مستمدة من التراث العربي القديم، ومن الطبيعة التي أصبحت وعاءً خصبا تمدهم بما يلزمهم من صور في خلط واضح لمفهوم الصورة الشعرية من وسيلة التعبير عن تجربة شعرية او فكرة عامة الى غايات جمالية شكلية في تكوين صور جميلة مزخرفة تلائم الطبيعة الأندلسية، وميلهم لى التأنق والزخرفة والبعد عن الغوص في المعاني،وفي الوقت نفسه لا يخلو الأدب الأندلسي من صور جميلة من خلال التصوير وإبراز المعاني بأساليب ونفحات أندلسية، فيها الدقة وحسن الملاحظة فالطبيعة والمرأة تغلغلتا في ثناياهم فلم يتمكنوا من الآفلات منهما، فكانت صورهم مستمدة منهما، فأضفوا صفات المرأة على الطبيعة وبالعكس بحيث أصبح من الصعب أحياناً التفريق بينهما، فصورت الطبيعة على أنها امرأة جميلة فاتنة الحسن والجمال وتشبيهاتهم متبادلة كقول ابن خفاجة [(4)]:

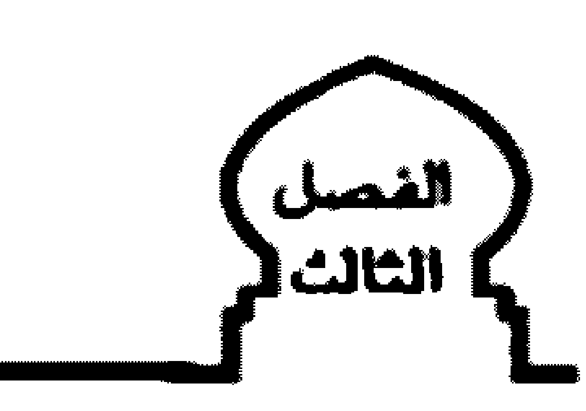
---

(1) ينظر فن الشعر/ 196.

(2) اسرار البلاغة / 231-235.

(3) فن الشعر/ 215.

(4) ديوان ابن خفاجة/ 351.



فكأنهـــا وكـــأن جـــدول مائهـــا   حـــسناء شـــد بخـــصرها زنـــار

لذلك قال المقري[1]: ((إنهم إذا تغزلوا صاغوا من الورود خدوداً، ومن النرجس عيوناً،ومن الآس اصداغاً، ومن السفرجل نهوداً، ومن قصب السكر قدوداً، ومن قلوب اللوز وسرر التفاح مباسم، ومن ابنة العنب رضاباً........)) كقول ابن خفاجة[2]:

غزاليـــة الألحـــاظ ريميـــة الطـــلى   مداميـــة الألمـــى حبابيـــة الثغـــر

وان مجالس اللهو والسهر لا تطيب إلا باجتماعها حيث تبعث في نفوسهم المرح والبهجة والطرب وهي من دواعي نظم الشعر، كما قال ابن زيدون[3]:-

الهـــوى في طلـــوع تلـــك النجـــوم   والمنـــــى في هبـــــوب ذاك النـــــسيم

وكانت صورهم متبادلة يقتنص الشاعر مفاتن الجسد في المرأة ويرصع مشاهد الطبيعة بها في تزاوج بينهما كقول أبن خفاجة[4]:-

كلـــما مـــر قـــاصراً مـــن خطـــاه   يتهـــــادى كـــــما يمـــــر الغـــــمام

لذلك كثرت عندهم ظاهرة التشخيص في إضفاء سمات بشرية على الجماد، كتشبيه ابن حمديس السحاب بامرأة حبلى تصرخ ألما، وقد داهمها المخاض فألقت بجنينها[5]:-

صرخت بصوت الرعد صرخة حامل   مـــلأت بهـــا الليـــل البهـــيم أنينـــا

حتـى إذا ضـاقت بمـضمر حملهـــا   ألقـــت بحجـــر الأرض منـــه جنينـــا

---

(1) النفح 3: 148.

(2) ديوان ابن خفاجة/ 24.

(3) ديوان ابن زيدون/ 49.

(4) ديوان ابن خفاجة/ 62.

(5) ديوان ابن حمديس/ 490.

وقصيدة ابـن خفاجـة في وصـف شـجرة خلـع عليهـا ملامـح إنـسانية، فهـي مائـسة متمايلة،ترتدي الوشاح، ولها ذوائب وتتلفع بعباءة، وتلتف بقميـــص.......مطلعها [1] :-

يـــا رب مائـــسة المعـــاطف تزدهـــي   مـــن كـــم كـــل غـــصن خـــافق بوشـــاح

ونشبيه المعتمد بن عباد قيده عندما دخل عليه ابنه الصغير منها [2]:-

قيـدي أمـا تعلمنـي مـسلمـــــاً   أبيـــت أن تـــشفق أو ترحمـــا

دمـي شراب لـك واللحـم قـــد   أكلتـــه، لا تهـــشم الأعظـــما

كما أن الحياة ألاجتماعية ومـا سـاد فيهـا مـن طغيـان المـادة، وشـيوع ظـاهرة الزخرفـة والاعتناء بالقصور والملابس والمشرب والمأكل، كـان لـه الأثـر في اقتبـاس صـور مـن هـذه الحياة،أو تكوين صور تلائم الحياة الحضرية التي سادت في المدن الأندلسية الكبيرة. مثل تشبيه ابن خفاجة الماء المتجمع وسط المروج بقرص من الفضة في بردة خضراء [3]:

لقـــد رق حتـــى ظـــن قوســـاً مفرغـــاً   مـــن فـــضة في بـــردة خـــضراء

لذلك ظهرت عندهم صور العيون الزرق والشعر الأشقر وعـن المـصانع والأحـواض والتماثيل والحدائق والبساتين والحلي و........مظاهر الأبهـة جميعـا وكـان للحيـاة الـسياسية انعكاس على الصورة الشعرية فابن عمار الوزير شبه مدينـة قرمونـة بارملـة فقـدت زوجهـا و لبست ثوب الحداد بعد سقوطها بيد المعتضد لأن هذه الحوادث و الـصور المـشابهة لهـا كانـت مكررة في تلك الفترة.

فأرملهـــا بالـــسيف ثـــم أعارهـــا   مـــن النـــار أثـــواب الحـــداد عـــلى الفقـــد [4]

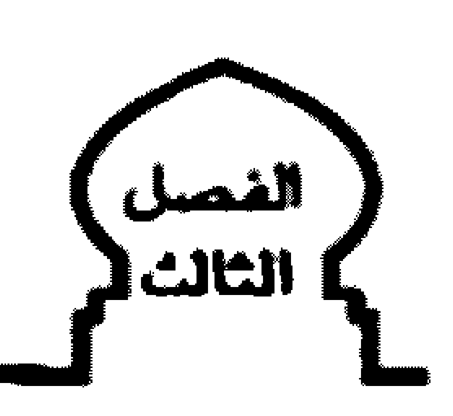
---

(1) ديوان ابن خفاجة/ 281.

(2) ديوان المعتمد/ 112.

(3) ديوان ابن خفاجة/ 356.

(4) ديوان ابن عمار/ 195.



و شبه المعتمد مدينة قرطبة بالمرأة التي خطبها الكثيرون و فاز بها بالقوة[1]، و كذلك تشبيه الحصري القيرواني المدن الساقطة بالسبايا الباكرات التي استطاع المقتدر بن هود الحصول عليهن بالسيوف[2]:

كذا نفتض أبكار البلاد   ولا مهر سوى بيض الحداد

و إن كثرة المعارك و الدماء كان لها أثر في تشبيهاتهم فأبو عيسى بن لبون وزير المأمون ابن ذي النون شبه الجلنار (ورد الرمان) بدماء القتلى[3]:

والجلنار دماء قتلى معرك   و الياسمين حباب ماء قد طفا

و اشتهر ابن دراج بالصور الحربية و المعارك كقوله في سليمان المستعين من الزناتيين[4]:

وأقمار حرب طالعات كأنما   عمائمهم في موقف الروع تيجان

بكل زناتي كأن حسامه   دهامة من لاقاه نار و قربان

و استعان بآلاتها في توضيح مشبهاته كقوله[5]:

فكأن حد سنانه من بأسه   و كأنّ صفحة سيفه من حلمه

فبهاؤه في نصله و ذكاؤه   في رمحه و مضاؤه في سهمه

و لسيطرة تلك المعارك على خياله و مشاعره فانه استخدم صورها في موضوعات بعيدة عن الحرب كالغزل و مجالس الأنس و الطرب كقوله[1]:

---

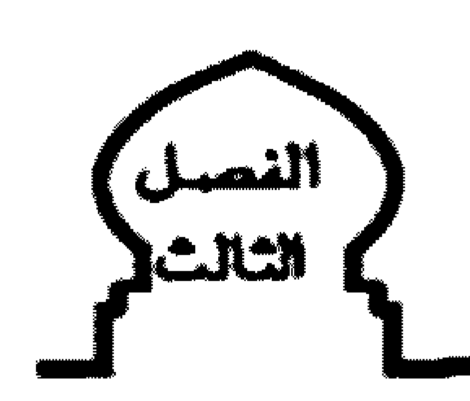
(1) ديوان المعتمد/ 65.

(2) أبو الحسن القيرواني/ 16.

(3) الذخيرة 3/ 1: 105، المغرب 2: 376.

(4) ديوان ابن دراج 49.

(5) نفسه / 257.



انــضيت خـــيلي في الهـــوى و ركـــابي   و عمـــرت كـــأس صـــباً بكـــأس نـــصاب

فالصورة عندهم قد غلبت عليها فنون البيان من التشبيه والاستعارة و الكناية على حساب المشاعر و العواطف و المضمون تحت غطاء الصنعة البيانية التي تزخرف الأبيات و تلفت أنظار المتلقين ومسامعهم ، لذلك تحولت جل مقطعاتهم لاسيما في وصف الطبيعة إلى نماذج جميلة تثير الإعجاب بتركيبها و صياغتها ولا تمس المشاعر أو تثير النفس الإنسانية ، فالشاعر عندما يصف شيئاً معيناً لم يكن قصده وصف ذلك الشيء بقدر البحث عن تشبيه ووجه شبه يجمع بين المشبه و المشبه به لذلك قال غرسيه غومس [(2)]:(ينتقل بذهنه انتقالات سريعة يلم فيها بالمتباعدات ،فنجده يشبه شيئاً صغيراً بشيء كبير كتشبيه الإبرة الدقيقة بالشهاب أو يفعل العكس فيشبه شيئاً كبيراً بشيء صغير كتشبيه مجاذيف القارب بأهداب العين)) وقول المستشرق الألماني فون شاك [(3)]: ((وإن أشعارهم لأشبه بألعاب نارية تومض ثم تتلاشى في الظلام ، فتبهر العقول لحظة بوميضها ، ولكنها لا تترك في النفس أثراً دائماً)) ولشغفهم بالتشبيهات ألفوا كتباً عنها مثل كتاب ((التشبيهات من أشعار أهل الأندلس)) للشيخ أبي عبد الله بن محمد بن الكتاني الطبيب (420هـ)[(4)] و كتاب التشبيهات لأبي الحسن علي بن محمد بن أبي الحسين الكاتب [(5)] ،فأثقلوا أبياتهم بصورة بيانية كقول ابن خفاجة في وصف حديقة[(6)]:

والنورعقـــد والغـــصون ســـوالف   والجـــزع زنـــد والخلـــيج ســـوار

---

(1) ديوانه/ 13.

(2) الشعر الأندلسي/ 96.

(3) تاريخ الفكر الأندلسي/ 47.

(4) التشبيهات من اشعار أهل الاندلس/ ابن الكتاني الطبيب تحق احسان عباس

(5) الجذوة/ 290.

(6) ديوان ابن خفاجة/ 281.

أما قول ابن حزم [1]:

كأني وهي والكأس والخمر والدجى ثرى وحياً والدر والتبر والسنج والتصنع بجمع اكبر صو في جهد جهيد كقصيدة أبي الربيع سليمان بن أحمد القضاعي الذي كرر أداة التشبيه (كأن) في بداية معظم أبياته [2] منها:

كأن النجوم الزهرفي حضرة الدجى أزاهير نوّار على روضة خيفا

كأن جناحي نسرها و هو واقع مهيضات لما يستقلا به ضعفا

وكان أكثر تشبيهاتهم بيانية (تفسيرية) كقول عبد الملك بن جهور [3]:

أقبلتِ في ثوب عليك بنفسجي كالسوسن الأرج النقي الأبهج

ولتراصف الصور والاعتماد على وحدة البيت و استقلاله،فكان من الصعب عند الشعراء جميعاً المحافظة على الانسجام والحركة التلقائية بين الصور كافة في القصيدة أو المقطعة كقول الأسعد بن بليطة [4]:

أي عيون صورن من ذهب ركب فيها اللجين اشفارا

إذا رأى الناظرون بهجتها قالوا نجوم تحف أقمارا

كأن ما اصفر من موسطه عليل قوم أتوه زوارا

فالصورة في البيت الثالث لا تنسجم مع الصورتين السابقتين، وكان للقلق النفسي وعدم الثقة بالمستقبل أثر في طبيعة الشعراء واختيار صورهم، فالهروب الى الطبيعة أو مجالس

---

(1) طوق الحمامة/ 63.

(2) الذخيرة 3/ 1: 508.

(3) كتاب التشبيهات / 138.

(4) الذخيرة1/ 2: 798.

اللهو والطرب انعكاس لهذا القلق، والرضى والمبالغة علامات من نفيها، فالشاعر الذي يمدح، قلق من جبروت الممدوح أو طغيانه فهو يرى غدره وبأسه، وحياته جميعها خشوع وخضوع واستسلام، والهجاء وسيلة للدفاع في حين نجد الرثاء والزهد استسلاماً ومرارة وخوفاً من الحياة والمستقبل.

أما فنون البديع فكانت مطلباً عندهم وقد أشار ابن بسام في حديثه عن ابن عمار بقوله [1]: ((وقد اثبت أكثره لاشتماله على البدائع، فأنه من كلامه الرائق الرائع....))،ومطلع القصيدة:

عليّ وإلا ما نياح الحمائم	وفيّ و إلا ما بكاء الغمائم

وقوله [2]:

قد خط في الخد نوناً	وآخر الحسن نون

وفي الطباق قوله [3]:

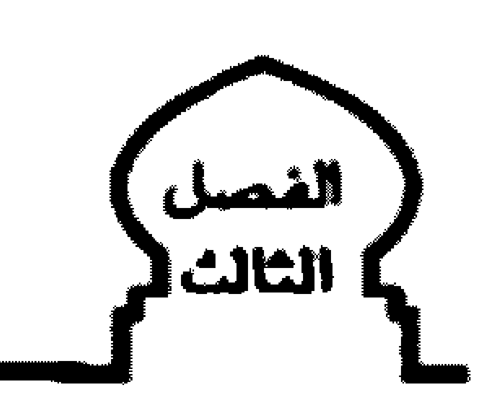
خبر بلنسية وكانت جنة	أن قد تدلت في سواء النار
غدرت وفياً بالعهود وقلما	عثر الوفي سعى الى الغدار
يا أهلها من غائب أو حاضر	وقطينها من حاضر أو سار

وصورهم في الغالب كانت بصرية مزخرفة بالألوان تقوم على رصد الأشياء ومقابلتها بأشياء أخرى من دون التوغل في الأعماق، لذلك جاءت لوحاتهم أشبه بصور جداريه

(1) نفسه 2/ 1: 371.

(2) النفح 4: 73.

(3) ديوان ابن عمار / 287.



مزخرفة جميلة غلبت الألوان على الصوت و الانفعالات النفسية و الحسية كقول ابن خفاجة في وصف مجلس في الطبيعة [1]:

كتابنا ولدينا البدر ندمان وعندنا لكؤوس الراح شهبان

والقضب مائسة والطير ساجعة والأرض كاسية والجو عريان

أما المبالغة ونعني بها ((أن تثبت للشيء وصفاً من الأوصاف تقصد فيه الزيادعلى غيره)) [2] وربطها المحدثون بالخيال والإيهام [3] وتميزت القصائد الأندلسية ولا سيما الوصفية والغزلية بنوع من المبالغة المحببة التي أضفت الجاذبية على بعضها، ولم تصل الى حد الإغراق والغلو فيما يمتنع وقوعه إلا في بعض القصائد المد حية التي تدخل في باب الكذب و التجاوز، كقول أبي الوليد حسان بن المصيص في المعتمد وابنه الراضي:

كأن أبا بكر أبو بكر الراضي وحسان حسان وأنت محمد

فلم يتمالك احد الناسخين وقال [4]:((يا مصيصي لقد أفرطت وفي قبيح القول تورطت، وفي التأدب فرطت)) أو قول المعتضد الذي يدخل في باب الإغراق وعدم الانسجام [5]:

كأنما ياسميننا الغض كواكب في السماء تبيض

أو قول ابن خفاجة في المزج بين غرضين غير منسجمين – الطبيعة و الرثاء [6]:-

في كل ناد منك روض ثناء وبكل خد فيك جدول ماء

---

(1) ديوان ابن خفاجة/ 356.

(2) النقد الأدبي الحديث/ 225.

(3) نفسه.

(4) الذخيرة 2/ 1: 441 وينظر الهامش2.

(5) نفسه 2/ 1 : 29.

(6) ديوان ابن خفاجة/ 178.

ولكـل شـخص هـزة الغـصن النـدي تحـت البكـاء ورنـة المكـاء

وأخيرا فان الشاعر الأندلسي الذي عرف بوصف دقائق الأشياء والبحث عما موجود في البيئة الطبيعية والاصطناعية لغرض وصفها كالورود والأشجار والثمار والحشرات و الطيوروأدوات الترف والزينة في صور ولقطات جزئية تتناسب مع حبه للزخرفة والألوان ، إلا أنه في حالات معينة لم يكن يحصر رؤيته في منظر جزئي معين و إنما كان يستوعب المنظر كله فيما يسمى بالنظرة الكلية، ومن ثم يجمع الصور الجزئية بعضها مع بعض في ازدحام متناسق كلوحة متكاملة ، ولنا في ذلك قول ابن خفاجة في روضة [1]:

حث المدامة فالنسيم عليل والظل خفاق الرواق ظليل

والنّور طرف قد تنبه دامع والماء مبتسم يروق صقيل

وقد انتشى عطف الأراكة فانثنى سكرا ورجع في الغصون هديل

وتطلعت من برقة و غمامة في كل أفق راية و رعيل

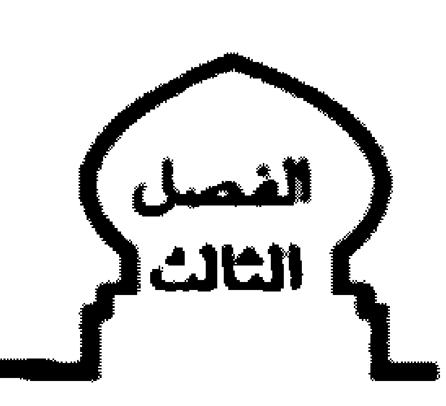
وانه لم يترك جزئية صغيرة من المنظر الا و أعطاها حيزاً من لوحته.

أما القصائد التي يغلب عليها المضمون كالزهد والتصوف و الرثاء والوصايا فتتصف بقلة الصور وعدم ازدحامها، لغلبة التقريرية والتفصيل والمواعظ عليها بأسلوب حزين لا يتناسب مع صور مستوحاة من الطبيعة الضاحكة المرحة المعروفة عند الاندلسيين.

الأوزان والقوافي: -

الشعر في الأساس مضمون موسيقي يتكون من ثابتين أساسيين هما الشكل والمعنى والاخير مشترك بين الأجناس الأدبية، وان الموسيقى هي الخاصية الأكثر تمييزاً للشعر من سواه، فالأبيات هي وحدات موسيقيه يلتزم بعضها ببعض في توازن موسيقي صوتي.فالتآلف الصوتي في الوزن والنهايات يشكلان الموسيقى الخارجية أو ما يسمى بالوزن والقافية التي

(1) ديوان ابن خفاجة/ 245.



تنظم القصيدة وتجعلها تدور في محور واحد ونغمة موسيقية واحدة ، فالأندلسيون الذين تربت مسامعهم على إيقاعات الطبيعة وموسيقاها كانوا أكثر فهماً واستيعاباً لبحور الخليل والالتزام بما يناسب أغراضهم وطبيعتهم، فأرسطو عد الموسيقى أو الإحساس بالنغم من الدوافع الأساسية للشعر الى جانب غريزتي المحاكاة والتقليد [1]، المتميزين للشعر الأندلسي فضلاً عن طريقة التعليم التي كانت متبعة في الأندلس التي تعلم الأولاد الشعر العربي القديم وتذوق موسيقاه ، وحفظ آيات القرآن الكريم وما فيها من دقائق الصوت [2]: فالمقطعات كانت تعتمد على البحور القصيرة والخفيفة التي تتناسب مع نفسية الشاعر والظروف المحيطة به، خاصة في المقطعات المعتمدة على البديهة والارتجال والمتلائمة مع حالات الفرح والطرب.

أما القصائد فان الشعراء اختلفوا في الاعتماد على بعض البحور من حيث القلة والكثرة تبعاً لأغراضهم الشعرية وطبيعة تكوين القصيدة، وفي الرجوع الى دواوين الشعراء يتبين أن أكثر البحور المعتمدة في قصائدهم هي: الطويل والكامل والبسيط والوافر والسريع، وفي إحصائية لقصائد ابن خفاجة تبين أن الوزنين: الطويل والكامل يشغلان 70,73٪ من مجموع أوزانه في حين خلا ديوانه من أوزان الهزج و المضارع والمقتضب والمتدارك [3].

أما الخروج عن أعاريض الخليل عن قصد و معرفة فضلاً عن الموشحات فان المراكشي صاحب الذيل و التكملة قد روى مقطوعة لأبي عبد الله بن حناط نظمها على غير أوزان الشعر العربي منها [4]:

لو كان بما فعل أحيا المحب الذي قتل

---

(1) موسيقي الشعر/ 145.

(2) مقدمة ابن خلدون/ 538.

(3) ابن خفاجة الشاعر الأندلسي/ 328.

(4) الذيل والتكملة/ السفر السادس/ 224.

طبـــــي بعينيـــــــه أسهــــــم   في كـــــل قلـــــب لهـــا عمــــــل

يحمـــــــر في خــــــده دمــــــي   ويــــــدعي انـــــه خــــجـــــــل

وقد علق ابن الملك المراكشي بقوله ((وهذا وزن لم تنظم عليه العرب وهـو قـد غـير فيـه مجزوء البسيط... فصار وزنه مستفعلن فاعلن فعل)).

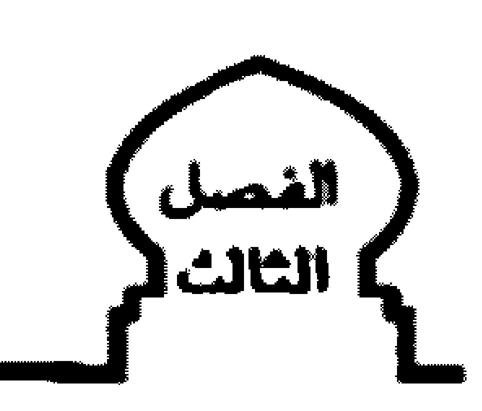
أما القافية: فقد اختلف القدامى في تحديدها ،فالخليل بـن احمـد الفراهيـدي (175هــ) يرى أنها أخر حرف من البيت الى أول ساكن يليـه مـن قبـل مـع حركـة الحـرف الـذي قبـل الساكن[1] وبهذا تكون في كلمة أو أكثر.

وعــــند الفراء يحيى بن زكريا (207هـ) و الأخفش الأوسـط (215هــ) هـي حـرف الروي [2] في حين خواتم الأبيات هي القوافي على رأي الجـاحظ (255هــ) [3] وهـي التماثـل الصوتي بين نهايات الأبيات المختلفة والذي يجب أن يتلائم مـع القيمـة الـصوتية للقـصيدة و إيقاعها للؤثر و المعنى ، وفي العصر الحديث اقتصرت على الحـرف الأخـير مـن البيـت والتـي تتكرر في أواخر الأبيات ضمن القصيدة الواحدة كفاصلة موسيقية يتوقع الـسامع تردادهـا في فـترات زمنيـة متقطعـة و منـسجمة و منتظمـة.وأنهـا إحـدى المرتكـزات الأساسـية في شـعر الأندلسيين و قد استعانوا بالحروف كافة و بنسب متفاوتة من شاعر آخر، فـأبن خفاجـة عـلى سبيل المثال كان ديوانه خالياً من قصائد بروي الخاء والذال والغين والظاء ، وفيه قصائد يتيمة في حروف الشين والصاد والضاد والطاء ،وقصيدتان بروي الثـاء، في حـين توزعـت قـصائده على حروف المعجم الأخرى ، وأن الحاء هي الأكثر وروداً في روي قصائد ابن حمـديس وكـان

(1) مفتاح العلوم/ 270.

(2) العمدة/ 1: 153.

(3) البيان والتبيين/ 1: 179.



الشعراء أحيانا يلتزمون في نهايات أبيات قصائدهم بأكثر من حرف على غرار ما عند ابي العلاء المعري (449هـ) في لزوم ما لا يلزم كقول ابن حمديس في قصيدة مطلعها[1] :

وبـــلي عـــلى مملوكـــة ملكـــت رقـــي بحـــسن مقالهـــا وبلـــي

غيـــداء تـــسحب كلـــما انعطفـــت مـــن فرعهـــا ذيـــلاً عـــلى الـــذيل

فالتزم بحرفي الياء و اللام في نهايات أبياتها.و كان للقران الكريم تأثير على قوافي بعـض الشعراء بما يناسب موضوعاتهم فابن دراج القسطلي في قصيدة في مدح منذر بـن يحيـى اختـتم قوله بما يشبه نبرة خاتمة الآية الكريمة ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [2] مطلعها [3]:

فيالـــك مـــن ذكـــرى ســـناء و رفعـــة إذا وضـــعوا في الـــترب أيمـــن جنبيـــاً

وقد حاول بعض الشعراء نقل أهمية القافية و دورها الى أوائل الأبيات بأساليب لبيـان المقدرة الفنية في نوع من التكلف و الصنعة الشكلية ، كقصيدة المعتمد بن عبـاد الـذي ضـمن أوائل أبياتها حروف اسم زوجته اعتماد مطلعها [4]:

أغائبـــة الـــشخص عـــن نـــاظري و حـــاضرة في صميـــــم الفـــؤاد

عليـــك الـــسلام بقـــدر الـــشجو ن ودمـــع الـــشؤون وقـــدر الـــسهاد

الى قوله:

دســـت اســـمك الحلـــو في طيـــه و ألفـــت فيـــك حـــروف اعـــتماد

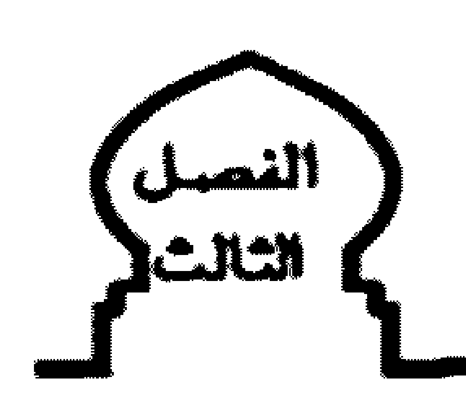
---

(1) ديوان ابن حمديس/ 363.

(2) مريم/ 1.

(3) ديوان ابن دراج/ 180.

(4) الحلة السيراء 2: 61، ديوانه:8.



وكذلك الحصري القيرواني (488هـ) الذي جعل لأوائل الأبيات قافية فيما يسمى بالمعشرات ، وهي قصائد لا تتعدى أبياتها العشرة ، تتحد في الوزن و القافية و الحرف الذي يستهل بها أبياتها ، و تبدأ القصيدة بحرف معين وتنتهي بالحرف نفسه لتبدأ قصيدة أخرى مماثلة مطلعها الحرف نفسه ، و بدايات باقي أبياتها الحرف الذي يليه حسب ترتيب حروف المعجم ، وجميعاً في النسيب ، وقد نشر ضمن مقدمة كتاب (علي الحصري) ومعشرته الأولى مطلعها [1]:

أما لك يا داء المحب دواء   بل عند بعض الناس منك شفاء

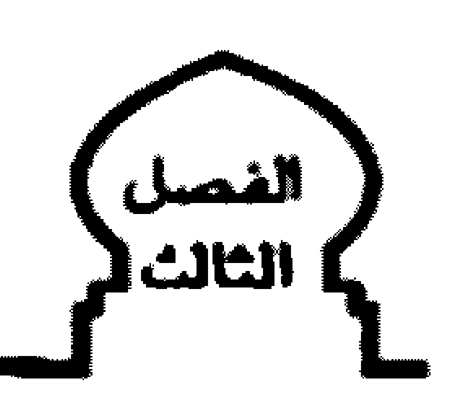
أما الجزء الثاني من الكتاب فهو ((اقتراح القريح و اجتراح الجريح)) مرثية في ابنه مرتبة حسب حروف المعجم ، وبأسلوب المعشرات ، وذيل مضاف لاحقاً في الموضوع نفسه.

ب- البناء الفكري و الذهني (المضمون)

المضمون هو الذي يعطي القصيدة الديمومة و البقاء من خلال تبلورها لفكرة معينة أو التعبير عن خلجات النفس الإنسانية،فالمعاني وان كانت مطروحة بشكلها الخام أو على هيئة هياكل مبعثرة أو مطروقة سابقاً فان عبرتها في تنسيقها وصقلها من خلال التأليف و الابتكار، بحيث تجد في نفسية الشاعر و المتلقي وشائج مشتركة و بيئة خصبة للتفاعل معها. فالفكرة قد تكون أفكاراً مشتتة أو بذرة صغيرة تتحول الى شجرة يانعة من خلال التحام الشكل بالمضمون .و الأندلسيون الذين اشتهروا العناية بالشكل كانت لهم قصائد جادة مؤثرة تحمل من الأفكار و العواطف بما تترك أثراً بالغاً في نفسية المتلقي كقصائد المعتمد بن عباد في الاسر ، و رثائيات الشعراء في الممالك الزائلة التي تعبر عن قمة الوفاء و الأخلاق الفاضلة عند بعض الشعراء تجاه ملوك لم يبق لهم ما يقدمونه ، وقصائد الحنين والغربة لشعراء طردوا من بلدانهم لم يبق ما يتكؤون عليه إلا ذكريات تراود مخيلتهم يعبرون عنها بنفحات محزنة ومؤلمة ، و قصائد الزهد، و رثائيات النفس، كلها عبر و تجارب من الحياة....

---

(1) علي الحصري/ 13.



فالآداب جميعاً تنقسم في موضوعاتها على نمطين: جاد و لاه،وما أثير من بعض المستشرقين [1] أو بعض الباحثين العرب [2] من أن معاني الشعر الأندلسي سطحية ليس فيها غوص في المعاني ، إنما يتعلق بالشعر اللاهي منها فقط، فالحياة الحضرية في تلك الحقبة كانت بحاجة الى قصائد مزوقة جميلة تنسجم معها ، وهذه ميزة الأدب الأندلسي فإن لكل مقام مقالاً، لذلك اتصف شعرهم بالصدق الفني ، والتعبير عن الواقع الذي كان سائداً بكل وضوح ،و بعيد عن الغوص والأفكار الفلسفية التي وجدت عند بعضهم. فالشعر كان بحق مرآة لما كان موجوداً في الواقع في التعبير عن الجانب المرح ، يقابله في الاتجاه المعاكس الجانب المعتم من الحياة وما ينسجم معه من المعاني و المشاعر الدافئة والتي يغلب عليها التأمل أو القتامة نقصائد المديح التي يتهم اصطحابها غالباً بالنفاق والرياء فيها من الصدق الفني الذي يتمثل في النموذج المثالي الجاهز الذي يرتضيه الشاعر في ممدوحه من العادات و التقاليد الاجتماعية المقبولة في عصره، و الصاقه بالممدوح عن قناعة كما عند كثير من شعراء بني عباد و بني الأفطس و غيرهم ، أومن أجل التكسب بتأثير ما اعتاده الشعراء في الأدب العربي منذ عصر ما قبل الإسلام فضلاً عن ذلك أن هذه المعاني فيها تذكير للممدوح للالتزام بها بطريقة إيحائية ، وحاجة ملحة من الشعراء أنفسهم لشد أزرهم من قبل الممدوحين في زمن لم يكن يحمد عقباه بعد أن كثر ترحل اغلبهم بين المدن الأندلسية كقول ابن دراج في مخاطبة علي بن حمود [3]:

لعلك يا شمس عند الأصيل ... شجيت لشجو الغريب الذليل

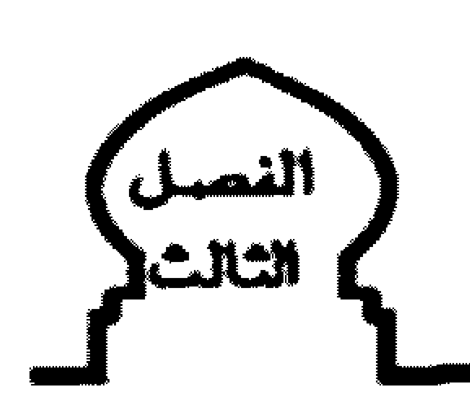
كما أنهم استمدوا معانيهم من واقعهم المحيط بهم المتمثل بالقيم الإسلامية الحميدة ، وما يدور في فلكها من الألقاب الإسلامية ، مثل خليفة المسلمين ، وتوقير حماة الدين....أو

---

(1) تاريخ الفكر الأندلسي/ 49 انحل جنثالث بالنثا.

(2) في الأدب الأندلس/ 59 جودة الركابي.

(3) ديوان ابن دراج / 64.



المعاني المتعلقة بها ، مثل الجهاد في سبيل الله ، واحتساب الأجر والثواب عند الله ، و التصدي للمشركين ،و رافع لواء الاسلام و دعوة المظلوم.... و كان القران الكريم و الحديث النبوي الشريف المنهل الأول لهم من المعاني ومن ثم الموروث العربي القديم والخصال التي اكتسبت صفة الثبوت مثل العقل والعفة و العدل والشجاعة [1] و الكرم و التضحية.....

وقد ربطوا مشاعر الطبيعة بالممدوح في مزج بين الغرضين في الصور و المعاني كقول ابن اللبانه الداني [2]:

شكا لشكواك حتى الشمس و القمر ... وبات در الدراري الزهر ينتشر

كما ربطوا بين الخَلق و الخُلق في تعداد لجمال الممدوح و بشره ،كقول ابي بكر بن بقي في يحيى بن علي بن القاسم [3]:

نوران ليس يحجبان عن الورى ... كرم الطباع و جمال المنظر

وقد لخص أبو مروان عبد الملك بن هذيل المعروف بحسام الدولة (496هـ) صاحب شنتمرية خصاله المحمودة [4]:

أنا ملك تجمعت في خمس ... كلها للأنام محيي مميت

هي ذهن وحكمة ومضاء ... و كلام في وقته وسكوت

أما معاني الغزل فأنها لم تخرج عن المعاني التقليدية في الأدب العربي، و اقتصر معظمها على المظاهر الخارجية للمرآة نتيجة الحياة اللاهية التي اتسم بها العصر كما ظهر عندهم ما يسمى بالشعر المعذب أو الشعر الحزين [5] في التذلل للحبيب و الخضوع له وبيان مظاهر

---

(1) نقد الشعر/ 19.

(2) شعر ابن اللبانة/ 47.

(3) النفح4/ 240.

(4) الذخيرة 3/ 1: 116، الحخلة: 1: 110.

(5) في الأدب الأندلسي/ 148.

الحب و شجواه في اختلاط بين الصدق والوهم ، ويعد كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي وما فيه من شعر عن الحب و المحبين في وصف لأحوال النفوس وما شهدوه و أحسوا به من عاطفة حارة مع ما رواه من قصص و أخبار و تفاصيل عنهم ، دراسة فريدة عن هذا النوع ، ومن شعره [1]:

وددت بان القلب شق بمدية	و أدخلت فيه ثم أطبق في صدري
فأصبحت فيه لا تحلين غيره	إلى منقضى يوم القيامة والحشر
تعيشين فيه ما حييت فان أمتْ	سكنت شغاف القلب في ظلم القبر

أما شعر الطبيعة فان جل اهتمام الشعراء انصب في الاهتمام بالشكل واختيار صور مزدحمة متلألئة من دون الغوص في المعاني.

أما قصائد الزهد و الرثاء و الحنين و الغربة فقد برز فيها المضمون ، و أصبح المحور الأساس في القصيدة ولا سيما قصائد الزهد و الوصايا و الأخلاق الحميدة التي غلبت عليها المواعظ و الحكم و التقريرية في حين ظهر التناسق بين الشكل و المضمون والعاطفة الحارة و النضج في التجربة في قصائد الرثاء و الحنين و الغربة التي تميز بها الأندلسيون أكثر من غيرهم.

---

(1) طوق الحمامة/ 139.

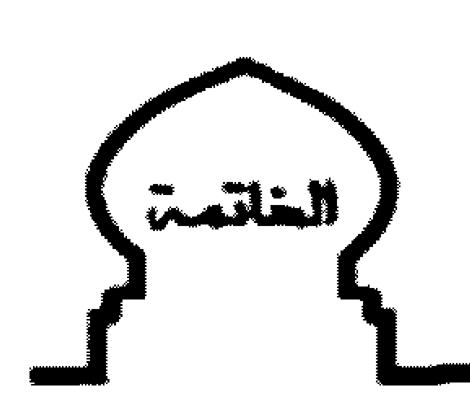
الخاتمة

كان القرن الخامس للهجرة نقطة البداية و النهاية للحكم العربي الإسلامي في ديار الأندلس،وفيه حُل عِقده،وتحول إلى ساحة للصراعات السياسية و الاجتماعية،وكانت العاصمة قرطبة لها النصيب الأوفر من الفتن والاضطرابات و الدمار و قد حكم فيها في مدة الفتنة (422-399 هـ) ثلاثة عشر حاكماً وكان الحظ اغلبهم القتل ونهب ممتلكاتهم، و بعدها تحولت الأندلس إلى دويلات صغيرة متصارعة و متطاحنة مع بعضها بعنف و شدة من غير اعتبار للدين و الانتماء و القيم الأصيلة، كما أن أفراد الأسر الحاكمة لم تفلت من المؤامرات و المكائد آنذاك رغم ما بينهم من صلة الرحم والقرابة إلى حد قتل الأب لابنه مثل ما حصل للمعتضد بن عباد في قتل ابنه إسماعيل بيده.

وفي المقابل كانت الإمارات النصرانية في الأندلس تتقوى بضعف هذه الدويلات و تفرض الاتاوات عليها التي كانت تؤخذ من الناس قهراً و ظلماً. ومن الملاحظ أن الأندلس في تلك الحقبة فقدت هيبتها و تعرضت مدنها للغزو و السلب و النهب، وسقطت مناطق كثيرة منها بأيدي الإفرنج إلى غير رجعة كمدينة طليطلة (عاصمتها القديمة)و جزيرة صقيلة التى بكاها الشاعر ابن حمديس في قصائد كثيرة.

وكانت معركة الزلاقة (479) التي انتصر فيها المسلمون على الإفرنج بقيادة يوسف بن تاشفين ضربة قوية أعادت إلى الأندلسيين شيئاً من هيبتهم وعزتهم التي لم تستمر طويلا لان العقود السابقة قد أضعفت كيانهم ولم يفلح مبضع ابن تاشفين في إصلاح ما أفسده الدهر ولا سيما أنه لم يكن منهم، وأصبحت الأندلس في حكمه ولاية مرابطية تابعة إلى شمال أفريقيا بعد أن قضى على معظم دويلات الطوائف.

أما الحالة الاجتماعية فإن الانحلال بلغ ذروته و أصبح اللهو منتشراً بين الملوك وعامة الناس، وقد استسلمت النفوس إلى الخضوع و الخنوع و انقسم المجتمع إلى فئتين إحداهما غنية مترفة تهتم بالجواري و بناء القصور والتفنن بمظاهر الأبهة و العيش الرغيد في حين أن العامة وهي الفئة الغالبة كانت تقبع تحت ظلم الحكام و تعاني الفقر و العوز.

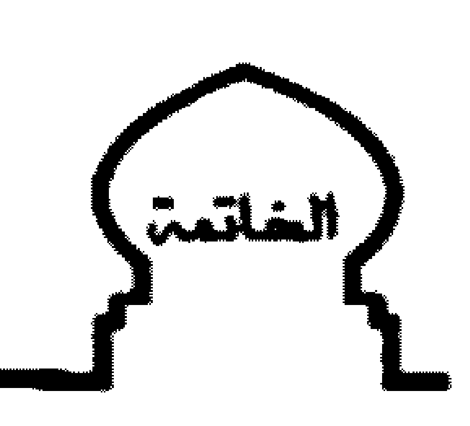


وفي المقابل كان هنالك وجه آخر للأندلس مشرق يتمثل بالمظاهر الدينية من حيث كثرة المساجد وحركات الجهاد والدعوات إلى مكارم الأخلاق والزهد .... و الحركة الثقافية التي تميز بها القرن الخامس للهجرة بحيث وصلت الأندلس الى قمة الازدهار الأدبي و العلمي، و أصبحت مدنها تنافس عواصم المشرق الاسلامي عن قدرة و جدارة، وأن الكتب التي الفت في تلك الحقبة كثيرة جداً قياساً بالحقب السابقة أو اللاحقة وفي كل العلوم المعروفة من دينية و لسانية و تطبيقية كالطب و الفلك و الحساب و الهندسة و الزراعة .....

و ازدهر الأدب ازدهارا عظيما و لا سيما الشعر من حيث الكمية و عدد الشعراء وكان يمثل حقبة النضج الشعري و التألق الأدبي و عصر عمالقة الأندلس من الشعراء بحيث أصبح الشعر عاملاً مشتركاً بينهم جميعاً.

وقد كسد الشعر في حقبة الفتنة (399- 422هـ) لضخامة الأحداث و تخلف الشعر عن مسايرتها، و كانت من أصعب الحقب في حياة الأندلسيين حيث توقفت الحياة الثقافية تقريباً و برز شعر الحنين الى الماضي و الخوف من المستقبل و رثاء المدن التي خربت بيد الأندلسيين أنفسهم و الشعر الأسري. كما ضعف الشعر نسبياً في بداية حكم المرابطين بعد سقوط بلاطات ملوك الطوائف التي تميزت فترتهم بكثرة شعراء الملوك ورعايتهم للشعر، وكان شعرهم يمتاز بالصدق الفني في تصوير أفكارهم وبيئاتهم وطموحاتهم وغلبت عليه البساطة والألفاظ السهلة والبحور القصيرة من غير الغوص في المعاني وكانت لهم حياة فكرية وأدبية وبلاطات تنعقد فيها مجالس العلماء وحلقات الشعراء تحت إمرة ملكها أو أميرها بحيث أصبح الشعر مرتبطا بالأسر الحاكمة، وكانوا يتنافسون في جذب الأدباء والعلماء ويحرصون على تعليم أبنائهم واقتناء الكتب والمكتبات، وكان لهذا اثر على الحركة الشعرية والنقدية في الأندلس وعلى توجه الطبقة المنتفعة من المجتمع بحيث أصبح الشعر وسيلة للارتزاق والجاه والمال ومظهراً من مظاهر الثقافة والتمدن.

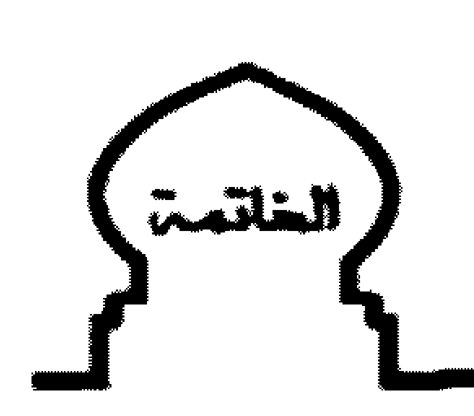
وقد شارك معظم الشعراء في الحياة السياسية فكانت عواقب بعضهم سيئة، كما شاركت النساء الرجل في ميادين الشعر وظهرت أسماء لامعة لشواعر في كتب التراجم واحتلت الرسائل الشعرية حيزاً كبيراً من ادب القرن الخامس للهجرة بحيث أصبح الأمراء والشعراء غالباً يتراسلون



شعراً، ولم تكن الفلسفة رائجة في ذلك القرن وانحصر تأثيرها في دخول بعض مصطلحاتها وأفكارها الشعر من خلال الإشارة أو إخضاع الشعر للفكر الفلسفي عند بعض الشعراء وبنسب قليلة لان الاندلسيين لم يميلوا الى إقحام الفلسفة في الشعر،كما أن الاقتداء بالشرق وترسم خطاهم أدى الى كثرة فن المعارضة الشعرية لبيان المقدرة الفنية،فظهرت عندهم قصائد معارضة لعيون القصائد العربية وقد فاق بعضها القصائد الاصلية،ولحاجة الاندلسيين النفسية والاجتماعية والفنية ازدهرت الموشحات في القرن الخامس للهجرة وظهر شعراء جمعوا بين الشعر والموشحات في آن واحد رغم معارضة التيار المحافظ.ولكثرة المجالس الأدبية والترفيهية وشيوع الشعر بينهم وملكتهم الفطرية الجاهزة وتوفر بواعث قول الشعر،أصبح شعر البديهة والارتجال ظاهرة منتشرة بينهم لما فيه من السلاسة واللطافة والصور الجميلة الواضحة المنسجمة مع طبيعتهم التواقة الى اللفظ السمح والكلام الجميل.

واشتهر الأندلسيون بالفكاهة والتندر واللطافة والظرف لإدخال السرور والتسلية على مجالسهم لذلك كثر عندهم شعر الفكاهة والتندر والاستعارات القصيرة المضحكة لرفع الملل والسأم عن نفوسهم، وكان بعضهم يقف على هذا النوع من الشعر جهده وقريحته وكما برز عندهم شعر الإجازة والتذييل وشعر الألغاز والأحاجي لبيان المقدرة الفنية وسعة الخيال كنوع من الرياضة الذهنية فضلاً عن المفاضلة بين الأشياء المختلفة على شكل مناظرات شعرية ونثرية ولا سيما بين الزهور المختلفة.

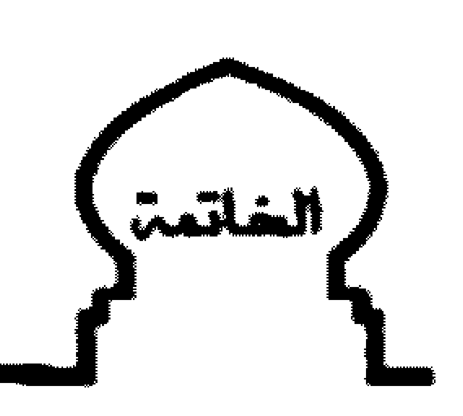
وقد احتلت المقطعات القسم الأكبر من الشعر الأندلسي ولا سيما عند الشعراء المقلين في حين قلت عند الشعراء الذين يغلب على شعرهم المديح وقصائد الآداب والصحبة والدفاع عن الإسلام ووصف المعارك وقصائد الرثاء،وكانت قصائد الغزل التي تتضمن معاني الهوى وتعذيب النفس طويلة نسبياً بينما قصائد الغزل المكشوف والغزل بالغلمان تكون على الأغلب قصيرة، وتوزعت المقطعات على وصف الطبيعة والغزل الحسي وأشعار في الزهد والحكمة والأخلاق السامية والدعوة الى العلم وآدابه....



وقد أضاف الأندلسيون الى مطالع القصائد المدحية مواقف الوداع وفراق الأهل ووصف الأسفار بحراً. ولانتعاش الطبيعة في نفوسهم فإنهم كثيراً ما افتتحوا قصائدهم بوصفها، كما وجدت عندهم المطالع في وصف الزيارات الليلية والغزل ومطالع قصصية مبنية على الاحتيال فيما تشبه فن المقامة ومطالع بالشكوى من الشيب والكبر والمطالع التذكرية والمطالع الفلسفية والحكمية ووصف الدهر والزمان في قصائد الرثاء.

ونظر لاتكاء الاندلسيين على الطبيعة في أغراضهم جميعاً فإنهم تميزوا بحسن التخلص والانتقال من غرض الى آخر بسهولة ويسر الى حد الجمع بين غرضين مختلفين في بيت واحد في حين لم يخرجوا في الخواتم عما كانت مقننة عند النقاد، فالقصائد المدحية كانت تختتم بنهايات فرحة دالة على السمو مع الإشارة الى المغزى الحقيقي للقصيدة، بينما قصائد الغزل في تجربة غير موفقة فان خواتمها في الغالب كانت تنتهي بحكم وأمثال أو إشارات لحوادث مماثلة بأسلوب تبدو فيه المرارة، أما القصائد الغزلية لتجربة مستمرة فإنها في الغالب تكون مقطوعة مبتورة من غير خاتمة،وكانت قصائد الرثاء تنتهي بالحكم والأمثال والدعاء وتكرار الأسف.

أما أساليبهم فتوزعت بين تيارين، أحدهما محافظ متمسك بالقديم وقد غلب على قصائد المديح و الرثاء حيث اتسم شعرهم بالجزالة و البعد عن التقريرية و المحافظة على نهج القصيدة العربية و هيكلها العام في حين غلب التيار الحديث المنسجم مع بيئتهم الاجتماعية و الطبيعية على قصائد في وصف الطبيعة و على المقطعات الشعرية في الغزل الرقيق والتي تغلب على أكثرها السرعة و البداهة المتسمة بالأسلوب العذب و البعد عن الكلمات الموحشة والميل إلى الأوزان الخفيفة، و أن التيارين ما كانا بالقوة نفسها عند الشعراء جميعاً، فتفاوت الالتزام به بين شاعر و آخر وبين قصيدة وأخرى للشاعر نفسه تبعاً لنفسيته و مراحل عمره و الظروف الباعثة لها. و كان للدين الاسلامي و العلوم المتعلقة بـه انعكاس على اختيار الألفاظ و التراكيب ذات الدلالات الدينية أو تضمين آيات و أحاديث نبوية، كما كان للعلوم الإنسانية و التطبيقية أثرها الواضح في اختيار ألفاظهم نكثرت عندهم مفردات ذات دلالات علمية و أدبية.



و كان للحياة الحضرية دورها البالغ في وصف مظاهرها فكثرت عندهم قصائد و مقطعات في وصف القصور و البرك و التماثيل و الملابس و الأثاث و اللعب و أدوات الزينة و الحلي...

و كانت أساليبهم تتضمن التضمين و التلاعب بالحروف و الحوار و التكرار و الثنائيات التقابلية و القصص الشعرية ونسق التناوب و ظاهرة التشخيص فضلاً عن فنون المعاني و البيان و البديع أما الخيال فان التقليد و المحاكاة قد كبح جماحه عند معظمهم فكانت صورهم مستمده من صور في التراث العربي القديم ومن الطبيعة التي أصبحت وعاءً خصباً تمدهم بما يلزمهم من صور في خلط واضح لمفهوم الصورة من وسيلة التعبير عن تجربة شعرية أو فكرة عامة إلا غايات جمالية شكلية في تكوين صور جميلة مزخرفة تلائم الطبيعة الأندلسية، كما كان للمرأة أثرها الواضح في اختيار صورهم فأضفوا صفاتها على الطبيعة و بالعكس بحيث أصبح من الصعب أحياناً التفريق بينهما.وتميز الشعر الأندلسي بالانسيابية و السلاسة في إيقاع محكم للموسيقى الداخلية من خلال التجانس الصوتي بين الكلمات و الأصوات،و المماثلة الصوتية بين الألفاظ المختلفة من جهة وبين القافية من جهة أخرى بما يلائم الغرض الرئيس للقصيدة.و كان الأندلسيون أكثر فهماً و استيعاباً لبحور الخليل و الالتزام بها بما يناسب أغراضهم و طبيعتهم و كان أكثر البحور المعتمدة في قصائدهم هي الطويل و الكامل و البسيط و الوافر و السريع.

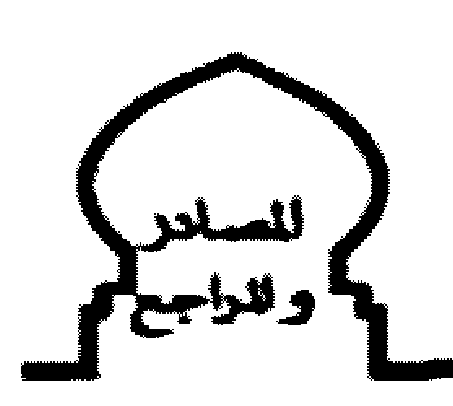
ورغم اهتمامهم بالشكل كانت لهم قصائد مؤثرة تحمل من الأفكار و العواطف تترك أثراً بالغاً في نفسية المتلقي كقصائد زوال الملك و الممالك الزائلة و قصائد الحنين و الغربة فكان شعرهم يتوزع على نمطين:جاد يحمل من الأفكار و المعاني العميقة، ولاه ينسجم مع حياتهم اللاهية وبيئتهم المزخرفة.

وقد عكس الشعر صور حياتهم المختلفة عن صدق و تفاعل و تأثر بها في صوره و أساليبه و لغته و موسيقاه و مضمونه، وقد كشف الكتاب عن ذلك من خلال الشواهد الشعرية الكثيرة التي زخر بها كتاب ((الذخيرة)) و الدواوين الشعرية للشعراء الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب..وخاتمة قولي الحمد لله ومن ثم الحمدلله، وله وحده البقاء والخلود وللصالحين الذكر الطيب، وهو المعين.

المصادر والمراجع

- أ -

- **ابن بسام وكتاب الذخيرة**: د. حسين يوسف حسين خريوش، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 1984.
- **ابن حزم الأندلسي، حياته وأدبه**: عبد الكريم خليفة، دار العروبة - بيروت، د. ت.
- **ابن حزم، صورة أندلسية**: طه الحاجري - محط الاعتماد، دار الفكر العربي – القاهرة د.ت.
- **ابن خفاجة، الشاعر الأندلسي**: حمدان حجاجي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر – 1974.
- **أبو الحسن الحصري**: جمع محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحي، مكتبة المنار – تونس – 1963.
- **الاتجاه الاسلامي في الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف والمرابطين**: د.منجد مصطفى بهجت، مؤسسة الرسالة، بيروت – 1986.
- **الإحاطة في إخبار غرناطة**: لسان الدين ابن الخطيب، محمد عبد الله عنان، القاهرة – **1977**.
- **أخبار وتراجم أندلسية – مستخرجة من معجم السفر للسلفي**: تح إحسان عباس – بيروت – 1963.
- **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**: د. منجد مصطفى بهجت، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل،1988.
- **الأدب العربي في الأندلس تطوره وموضوعاته، أشهر أعلامه**: د. علي محمد سلامة، الدار العربية للموسوعات – بيروت – 1989.



- **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة:** د. أحمد هيكل، دار المعارف، مصر،1979.
- **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض:** المقري التلمساني تح مصطفى السقا وآخرون، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، 1939.
- **أسرار البلاغة:** عبد القاهر الجرجاني، نشر رشيد رضا، القاهرة، 1939.
- **الإسلام في اسبانيا:** د. لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958.
- **الإسلام في المغرب والأندلس:** ليفي بروفنسال – تعريب السيد محمود عبد العزيز و محمد صلاح الدين حلمي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1956.
- **أشبيلية في القرن الخامس، دراسة تاريخية أدبية:** د. صلاح خالص، دار الثقافة – بيروت – 1965.
- **أعمال الإعلام (تاريخ اسبانيا الإسلامية):** لسان الدين ابن الخطيب، تح ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت – 1965.
- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس:** ابن أبي زرع الفاسي، تح محمد هاشم الغيلاني، مط الوطنية، الرباط – 1936.

- ب -

- **بدائع البدائه:** هامش معاهد التنصيص – علي ظافر الأزدي – القاهرة – 1316 هـ.
- **البديع في وصف الربيع:** أبو الوليد إسماعيل الحِميري، تح هنري بيرس، الرباط – 1940.
- **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس:** أحمد بن يحي الضبي، دار الكاتب العربي، مط سجل العرب، القاهرة – 1967.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:** جلال الدين السيوطي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم وعيسى البابي الحلبي القاهرة -1965.
- **بهجة المجالس وأنس المجالس:** ابن عبد البر القرطبي، تح محمد مرسي الخولي، دار المصرية للتأليف والترجمة والنشر القاهرة – 1967.

- **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر:** د. سعد إسماعيل شلبي، دار النهضة المصرية للطبع والنشر القاهرة – 1976.
- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب:** ابن عذاري المراكشي تح كولان و بروفنسال (حـ3) تح ليفي بروفنسال باريس (حـ4) تح إحسان عباس بيروت –1967.
- **البيان والتبيين:** الجاحظ تح عبد السلام هارون مكتبة الخانجي القاهرة – 1968.
- **-تاريخ ابن خلدون** (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) عبد الرحمن خلدون مط بولاق- 1284هـ.

- ت -

- **تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة** : د. إحسان عباس/ دار الثقافة بيروت 1985.
- **تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين:** د. إحسان عباس دار الثقافة – ط7 بيروت – د.ت.
- **تاريخ الادب العربي – العصر العباسي الاول:** د. شوقي ضيف، دار المعارف – مصر – 1977.
- **تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي:** د. حسن ابراهيم حسن، مط النهضة العربية –1967.
- **تاريخ افتتاح الاندلس:** محمد بن عبد العزيز ابن القوطية تح عبد الله أنيس طباع – دار النشر للجامعين – بيروت – مدريد – 1985.
- **تاريخ الأندلس (الاكتفاء في اخبار الخلفاء):** أبو مروان عبد الملك التوزي ابن الكرديوس تح احمد مختار العبادي، مدريد – 1971.
- **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين:** يوسف اشباخ تعريب محمد عبد الله عنان دار المعارف - بيروت – د.ت.
- **تاريخ التمدن الاسلامي:** جرجي زيدان دار الهلال - القاهرة - 1955.

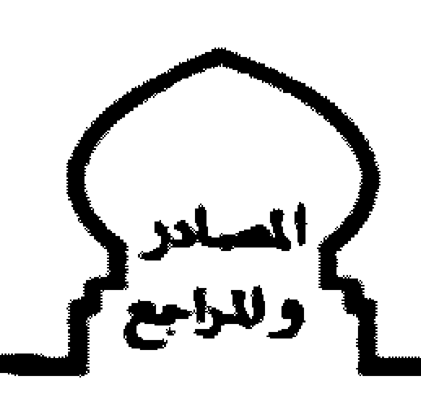
- **تاريخ العرب:** فليب حتي - مط دار الكشاف، بيروت - 1951.
- **تاريخ العرب وحضاراتهم في الأندلس:** د. ناطق صالح مطلوب وآخرون، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، د.ت.
- **تاريخ الفكر الأندلسي:** انخل جنثالث بالنثيا، تعريب حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - 1955.
- **تاريخ قضاة الأندلس:** أبو الحسن عبد الله النباهي، نشر ليفي بروفنسال - القاهرة - 1948.
- **تاريخ المعارضات في الشعر العربي:** د. محمد محمود قاسم نوفل، مؤسسة الرسالة - دار الفرقان - بيروت - 1983.
- **تاريخ النقائض في الشعر العربي القديم:** أحمد الشايب، مط السعادة، مصر - 1954.
- **تاريخ النقد الأدبي عند العرب:** د. إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن -1986.
- **التبيان (مذكرات الأمير عبد الله):** عبد الله بن بلقين، تح ليفي بروفنسال - القاهرة - 1955.
- **التجديد في الأدب الأندلسي:** محمد باقر سماكة، مط الإيمان، بغداد - 1971.
- **التشبيهات من أشعار أهل الأندلس:** أبو عبد الله محمد بن الكتاني، تح د. إحسان عباس، دار الشروق - بيروت - 1981.
- **تكملة الصلة:** ابن الأبار البلنسي، نشر وتصحيح عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955.
- **توشيح التوشيح:** خليل بن أيبك، تح البير حبيب مطلق، بيروت - دار الثقافة - 1966

- ث -

- **الثغر الأعلى الأندلسي:** د. خليل إبراهيم السامرائي - دار الحرية بغداد 1976.

- ج -

- **جامع بيان العلم وفضله:** ابن عبد البر القرطبي، تح عبد الرحمن عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة -دت.



- **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس:** أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي، مط السعادة، مصر، 1953.
- **جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب:** د. ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة، بغداد – 1980.
- **جمهرة أنساب العرب:** ابن حزم الأندلسي، تح عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر – 1962.
- **جيش التوشيح:** لسان الدين ابن الخطيب، تح هلال ناجي، تونس مط المنار – 1967.

-ح-

- **الحضارة الإسلامية في الأندلس:** د. عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد، بيروت – 1970.
- **حضارة العرب:** غوستاف لوبون، تعريب عادل زعيتر، مط عيسى الحلبي، القاهرة – 1964.
- **حضارة العرب في الأندلس:** ليفي برو فنسال ، تعريب عبد العزيز سالم وآخرون – القاهرة -1956.
- **الحلة السيراء:** ابن الآبار تح حسين مؤنس مط لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – 1964 ؟
- **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية:** شكيب أرسلان، القاهرة – 1936
- **الحياة العلمية في بلنسية، من (92 – 494 هـ):** كريم عجيل حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت – 1976.

-خ-

- **خريدة القصر: (قسم المغرب والأندلس):** عماد الدين الأصفهاني، تح محمد المرزوقي ورفيقيه، تونس – 1966.

- د -

- **دار الطراز في عمل الموشحات :** ابن سناء الملك ، تح جودة الركابي، دمشق – 1949.
- **دولة الإسلام في الأندلس:**محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة – 1969.
- **دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي:** محمد عبد الله عنان مط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة – 1960.
- **ديوان ابن حمديس:** صححه وقد له احسان عباس، دار صادر – بيروت – 1960
- **ديوان ابن خفاجة:** تح سيد مصطفى غازي دار المعارف مصر – 1960.
- **ديوان ابن دراج القسطلي:** تح محمود علي مكي الشركة المتحدة للتوزيع ط2 بيروت – 1389 هـ.
- **ديوان ابن رشيق القيرواني:** جمع وترتيب د. عبد الرحمن باغي دار الثقافة بيروت د.. ت.
- **ديوان ابن الرومي:** تح حسين نصار دار الكتب مصر – 1974 – 1981.
- **ديوان ابن الزقاق:** تح عفيفة محمود الديراني دار الثقافة – بيروت 1964.
- **ديوان ابن زيدون:** تح علي عبد العظيم دار نهضة مصر – 1957 وتح كرم البستاني دار صادر بيروت.
- **ديوان ابن شهيد الأندلسي:** تح يعقوب زكي مراجعة د. محمود علي مكي دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – القاهرة – د. ت.
- **ديوان أبي إسحاق الألبيري:** تح د. محمد رضوان الداية مؤسسة الرسالة بيروت 1976.
- **ديوان أبي تمام:** بشرح الخطيب التبريزي تح محمد عبده عزام دار المعارف مصر 1972.
- **ديوان أبي نواس:** شرح الصولي تح بهجة الحديثي دار الرسالة بغداد – د. ت.
- **ديوان الأعمى التطيلي:** تح احسان عباس دار الثقافة – بيروت – 1963.

- **ديوان الحطيئة:** تح نعمان أمين طه مصر – 1958 .
- **ديوان الحكيم أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني:** جمع وتح محمد المرزوقي دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع تونس – 1979 .
- **ديوان قيس بن الخطيم:** تح إبراهيم السامرائي واحمد مطلوب محط العاني – بغداد – 1962.
- **ديوان المتنبي:** بشرح العرف الطيب تح ناصيف البازجي – بيروت – د.ت.
- **ديوان المعتمد بن عباد:** تح أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد القاهرة – 1951 .
- **ديوان الموشحات الأندلسية:** د. سيد غازي منشأة المعارف – الإسكندرية – 1965 .

– ذ –

- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:** ابن بسام الشنتريني تح احسان عباس دار العربية للكتاب ليبيا تونس – 1975 – 1981 .
- **النيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة:** أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكش أجزاء متفرقة تح د. احسان عباس – دار الثقافة بيروت – 1965 وتح د. محمد بن شريفة دار المعارف الجديدة – الرباط – 1984 .

– ر –

- **رحلة الأندلس:** محمد لبيب البتنوني مط الكشكول القاهرة – د. ت.
- **رسالة ابن عبدون التجيبي في الحسبة** (ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب) تح ليفي برو فنسال وكولان المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة – 1955.
- **الرمز الشعري عند الصوفية:** د. عاطف جودة نصر دار الأندلس بيروت – 1978 .
- **الروض المعطار في أخبار الأقطار:** عبد المنعم الحميري نشر ليف برو فنسال القاهرة 1937 .

- س -

- **سلسلة محاضرات عامة في الأدب الأندلسي وتاريخها**: ليفي برو فنسال تعريب عبد الهادي شعيرة وعبد الحميد العبادي بك مط الأميرية – القاهرة 1951.
- **سنن ابن ماجة**: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني تح محمد فؤاد عبد الباقي دار الحديث القاهرة – د. ت.
- **سنن أبي داود**: أبو داود سليمان ابن الأشعث الأزدي السجستاني مط مصطفى البابي الحلبي – القاهرة – 1952.
- **سنن النسائي**: شرح الحافظ جلال الدين السيوطي دار الحديث القاهرة – د. ت.

- ش -

- **شعر ابن اللبانة الداني**: جمع وتح د. محمد مجيد السعيد مط دار الكتب جامعة الموصل – 1977.
- **الشعر الأندلسي/ بحث في تطوره وخصائصه**: أميليو غرسيه غومس تعريب حسين مؤنس مكتبة النهضة المصرية – 1956.
- **الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي**: عدنان حسين العوادي دار الرشيد للنشر بغداد – 1979.
- **شعر عمر بن الفارض/ دراسة في الشعر الصوفي**: د. عاطف جودة نصر دار الأندلسي بيروت – 1982.
- **الشعر في ظل بني عباد**: د. محمد مجيد السعيد مط النعمان النجف الأشرف – 1972.
- **الشعر في عهد المرابطين والموحدين**: د. محمد مجيد السعيد دار الرشيد للنشر بغداد – 1980.

- ص -

- **صبح الأعشى في صناعة الأنشا**: أبو العباس بن عبد الله القلقشندي القاهرة – 1963.

- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) الشريف الإدريسي مط ليدن د. ت.
- **الصقالبة في اسبانيا:** أحمد مختار العبادي مدريد – 1953.
- **الصلة:** ابن بشكوال الدار المصرية للتأليف والترجمة – 1966.
- **الصناعتين:** أبو هلال العسكري تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم دار أحياء الكتب العربية د.ت.

- ط -

- **طبقات الأطباء والحكماء:** أبو داود سليمان ابن الجلجل تح فؤاد سيد القاهرة – 1955.
- **طبقات الأمم:** أبو القاسم سعيد بن أحمد بن الطليطلي تح علي محمد البجاوي القاهرة – د.ت.
- **طبقات الأمم:** صاعد بن أحمد بن صاعد التغلبي – النجف – 1967.
- **طبقات الصوفية:** السلمي تح نور الدين شريبة القاهرة – 1953.
- **طوق الحمامة:** ابن حزم الأندلسي تح صلاح الدين القاسمي دار الشؤون الثقافية بغداد – 1986.

- ظ -

- **ظهر الإسلام:** أحمد أمين مط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة – 1953.

- ع -

- **العرب واليهود في العصر الاسلامي:** علي حسين الخربوطلي دار القومية للطباعة والنشر – 1962.
- **العقد الفريد:** ابن عبد ربه الأندلسي تح أحمد أمين وآخرين لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة – 1965.
- **علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالأندلس وبالدول الإسلامية:** د. خليل إبراهيم السامرائي دار الحرية – بغداد – 1985.

- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:** ابن رشيق القيرواني تح محمد محيي الدين عبد الحميد مط السعادة مصر – 1963 .
- **عيار الشعر:** ابن طباطبا تح طه الجابري ومحمد زغلول سلام القاهرة - 1956
- **عيون الأخبار:** ابن قتيبة ط تراثنا – القاهرة د. ت.

- غ -

- **غابر الأندلس وحاضرها :** محمد كرد علي مط الرحمانية القاهرة – 1924 .

- ف -

- **الفصل في الملل والأهواء والنحل:** ابن حزم الأندلسي – مصر – 1321هـ.
- **الفلاحة:** أبو عبد اللح بن بصال نشر بيكروسا ومحمد غريبان تطوان المغرب 1955 .
- **فن التقطيع الشعري:** صفاء خلوصي مط دار الكتب بيروت – 1974 .
- **في الأدب الأندلسي:** د. جودة الركابي دار المعارف – مصر – 1963 .

- ق -

- **قضايا أندلسية:** د. بدير متولي دار المعارف مصر – 1964 .
- **قضايا الشعر المعاصر:** نازك الملائكة دار العلم للملايين – بيروت – 1978 .
- **قلائد العقيان:** الفتح بن خاقان نشر علي بن أحمد الهواري مط التقدم العلمية القاهرة – 1320هـ.

- ك -

- **الكامل في التاريخ:** عز الدين ابن الأثير مط ليدن – 1863 .

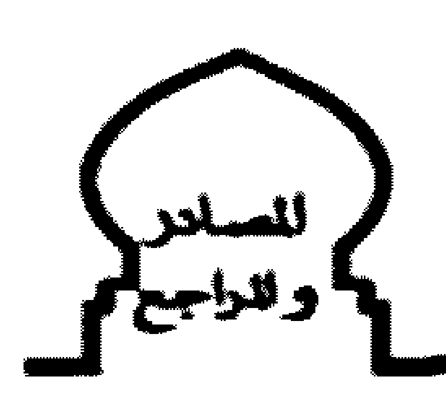
- ل -

- **اللزوميات:** أبو العلاء المعري دار العلم للملايين – بيروت – 1963 .

- م -

- **المثل السائر في أدب الكاتب:** ضياء الدين ابن الأثير تح أحمد الحوفي وبدوي طبانة مط الرسالة القاهرة – 1959 .

- محاسن المجالس: أبو العباس بن العريف نشر أسين بلاثيوس باريس – 1949.
- محمد بن عمار الأندلسي / دراسة أدبية وتاريخية ديوانه: صلاح خالص مط الهدى – بغداد – 1957.
- مختارات في الشعر الأندلسي: أ.نيكل دار العلم للملايين – بيروت – 1949.
- المطرب من أشعار أهل المغرب: ابن دحية الكلبي تح إبراهيم الأبياري وآخرَين مط الأميرية القاهرة – 1954.
- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح الأندلس: الفتح بن خاقان مط الجوائب الأستانة – 132هـ.
- المعتمد بن عباد وشعراء عصره: زهدي يكن تح محمد زهدي يكن دار يكن للنشر بيروت -1975.
- المعجب في تلخيص أعمال المغرب: عبد الواحد المراكشي تح محمد سعيد العريان القاهرة – 1963.
- معجم البلدان: ياقوت الرومي الحموي صححه محمد أمين الخانجي مط السعادة مصر.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة كامل المهندس مكتبة لبنان 1979.
- المغرب في خلى المغرب: ابن سعيد المغربي تح شوقي ضيف دار المعارف مصر 1964.
- مفتاح العلوم: السكاكي – القاهرة – 1937.
- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون تح عبد الواحد الوافي – القاهرة د. ت
- المكتبة العربية الصقلية: جمع وتح ميخائيل اماري ليبسك – 1857.
- ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري: د. مصطفى محمد السيوفي عالم الكتب بيروت 1985.
- ملامح الشعر الأندلسي: د. عمر الدقاق دار الشرق بيروت – 1975.
- ملحمة السيد: الطاهر أحمد مكي دار المعارف القاهرة 1970.



- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء:** حازم القرطاجني تح محمد الحبيب وابن خوجة دار الكتب الشرقية تونس – 1966.
- **موسيقى الشعر:** إبراهيم أنيس مكتب أنجلو المصرية – 1965.
- **الموشحات الأندلسية:** د. محمد زكريا عناني سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1980.
- **الموشحات والأزجال:** مصطفى عوض الكريم دار المعارف مصر – 1965.

- ن-

- **النتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف:** أبو البركات عبد العزيز الميمني السلفي القاهرة – 1903.
- **النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين:** د. حازم عبد الله خضر – وزارة الأعلام – بغداد – 1980.
- **نشأة التصوف في الإسلام:** إبراهيم البسيوني القاهرة – 1969.
- **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام:** علي سامي النشار القاهرة – 1969.
- **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب:** الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني دار صادر بيروت – 1986.
- **النقد الأدبي الحديث:** محمد غنيمي هلال دار العودة بيروت – 1982 .
- **نقد الشعر:** قدامة بن جعفر تح كمال مصطفى مكتبة المثنى – بغداد – د. ت.

-و-

- **وفيات الأعيان وأنباء الزمان:** ابن خلكان تح محمد محي الدين مكتبة النهضة – 1945.
- **يتيمة الدهر:** أبو منصور الثعالبي مط السعادة – القاهرة 1956.

الرسائل الجامعية:

- **أدب الزهد في الأندلس في عصر الطوائف والمرابطين:** حميدة البلداوي كلية الآداب جامعة بغداد رسالة ماجستير – 1985
- **دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة:** د. خليل إبراهيم الكبيسي – كلية الآداب – رسالة دكتوراه في التاريخ الاسلامي – 1980
- **الشعر الصوفي في الأندلس من المهد المرابطي حتى نهاية الحكم العربي:** د. حميدة البلداوي كلية الآداب جامعة بغداد رسالة دكتوراه – 1990
- **المرأة في الشعر الأندلسي / عصر الطوائف:** سلمى سلمان علي كلية الآداب جامعة المستنصرية رسالة ماجستير – 1986
- **المعارضات في الشعر الأندلسي في القرنيين الخامس والسادس:** يونس طركي سلوم كلية الآداب جامعة الموصل رسالة ماجستير – 1988
- **ملامح السرد القصصي في الشعر الأندلسي:** إنقاذ عطاء الله كلية الآداب جامعة بغداد رسالة دكتوراه – 1990

المجلات والدوريات

- ابن زيدون ومعارضوه مختار الوكيل مجلة الكتاب عدد خاص في ذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون –بغداد – 1975
- **التوحيد عند ابن حزم:** د. صلاح رسلان المؤتمر الرابع للحضارة الأندلسية جامعة القاهرة – 1998
- **ديوان المعتضد:** تح د. محمد مجيد السعيد مجلة المورد المجلد الخامس العدد الثاني 1976 بغداد
- **ظاهرة تفاضل الأزهار في الأدب الأندلسي** : هدى شوكة بهنام مجلة المورد المجلد السادس والعشرون العدد الأول – 1998 بغداد

- **المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الإسلامية:** خوليتان ريبيرا تعريب جمال محمد محرز مجلة المخطوطات العربية جامعة الدول العربية المجلد الرابع الجزء الأول القاهرة – 1958
- **نقط العروس في تواريخ الخلفاء:** ابن حزم تح شوقي ضيف مجلة كلية الآداب كانون الأول – 1951 – القاهرة....أمير أ